روايات
مصرية للجيب

د. نبيل فاروق

10

سلسلة
الأعداد
الخاصة



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

سلسلة الأعداد الخاصة

سلسلة جديدة ، تقدمها لك (روايات مصرية للجيب) ، بأقلام مصرية مائة فى المائة ، عبر روايات ذات طابع فريد ، تتميَّز بالإثارة والتشويق ، والتنوّع ، فى طبعات وإصدارات خاصة متميِّزة ، تضيف إلى مكتبتك شكلًا جديدًا من أشكال الأدب والقصة والرواية ، ولمحة جديدة من ثقافة العصر .

روايات مصرية للجيب

روايات مصرية للجيب

سلسلة الأعداد الخاصة

رجل العدالة



١ ـ السرقة الفنية ..

اخترق بوقُ سيارةِ الشرطةِ سُكونَ الليلِ وهدوءَه ، والسيارة تعبرُ شوارع العاصمة ، التى خلت من المارة والسيارات ، فى تلك الساعة المتأخرة ، من ليالى الشتاء الباردة ، حتى توقفت سيارة الشرطة أمام مبنى صغير من طابقين ، تعلوه لافتة زاهية الألوان ، تحمل كلمات : « متحف الفن الحديث » ..

ومن سيارة الشرطة هبط (هاشم همام) ، أشهر رجال الأمن فى المنطقة العربية ، وخلفه زميله (يحيى) ، الذى أحكم ياقة معطفه حول عنقه ، وهو يقول :

ـ يا لها من ليلة باردة ! كيف استطاع المجرم ارتكاب جريمته ، فى مثل هذا الطقس ؟

مطَّ (هاشم) شفتيه ، وقال :

ـ اللصوص دائمًا أكثر برودة من الطقس يا صديقى .

ثم دسَّ كفيه فى جيبى معطفه ، وأسرع مع (يحيى) إلى داخل المتحف ، حيث استقبلهما أحد رجال الشرطة ، وقال بلا مقدمات :

ـ لقد اختفت لوحة ثمينة .

سأله (هاشم) وهو يعبر ممر المتحف إلى صالة عرض اللوحات ؟

ـ ومتى كشفوا أمر السرقة ؟

أجابه الضابط :

ـ منذ ساعة واحدة .

هتف (هاشم) مستنكرًا :

ـ فقط ؟! ألا يوجد طاقم أمن هنا ؟

أتته الإجابة من داخل صالة العرض ، وبصوت بالغ التوتر ، يقول :

ـ بل يوجد .

التفت (هاشم) إلى صاحب الصوت ، ووقع بصره على رجل نحيل أصلع ، فى أواخر الأربعينات من عمره ، واضح العصبية ، يستطرد :

ـ طاقم الأمن لدينا مدرَّبٌ جيدًا ، ولستُ أدرى كيف حدث هذا ؟

أدار (هاشم) عينيه فى صالة العرض ، التى حملت جدرانها عشرات اللوحات ، ذات الألوان الصارخة ، التى بدت له شديدة التداخل والتنافر ، وقال :

ـ أخبرنى بما حدث بالتفصيل ، وسنحاول معًا إجابة هذا السؤال .

ازدرد الرجل لعابه ، وقال :

ـ لقد كان كل شىء عاديًا ، عندما أغلقنا المتحف ، فى العاشرة مساءً .. كل اللوحات كانت فى مواضعها ، ولقد راجعت كل شىء بنفسى ، وبعدها أغلقت أبواب صالة العرض ،

وصعدت لأنام فى حجرتى الخاصة ، فى الطابق العلوى ، وبدأ طاقم الحراسة عمله ..

صمت الرجل لحظة ، ليزدرد لعابه ، ثم استطرد بنفس التوتر :

ـ ومنذ ساعة تقريبًا ، تلقيتُ مكالمة هاتفية أيقظتنى من نومى ، وسمعت رجلاً يخبرنى بأن لوحة (الغراب الأصفر) قد سُرقت .

عقد (هاشم) حاجبيه ، وهو يغمغم مستنكرًا :

ـ الغراب الأصفر ؟!

ثم بدا له أن الوقت والظروف لا يناسبان انتقاد الفن الحديث ، فأسرع يستطرد :

ـ وماذا فعلت ؟

أجابه الرجل :

ـ فكرت فى البداية أن أتجاهل هذا ؛ باعتباره نوعًا من الدعابة الثقيلة ؛ ولثقتى الشديدة فى كفاءة طاقم الأمن الذى اخترته بنفسى ، إلا أن القلق لم يلبث أن ملأ صدرى ، فارتديت ثيابى ، وهبطت إلى المتحف ، وهناك وجدت طاقم الحراسة يقف فى أماكنه ، وسألنى قائد الطاقم عن سر نزولى إلى المتحف ، فأخبرته بما حدث ، وشاركنى فتح صالة العرض ، ثم أسرعنا معًا إلى حيث لوحة (الغراب الأصفر) ، إلا أننا لم نجد اللوحة فى موضعها .. الإطار فقط كان هناك ، أما اللوحة فقد اختفت تمامًا .

صمت (هاشم) لحظات ، وهو يرتب الأمر فى ذهنه ، ويدرسه جيدًا ، قبل أن يسأل الرجل :

ـ وما وظيفتك هنا بالضبط ؟

تطلع إليه الرجل فى دهشة :

ـ إننى مدير هذا المتحف بالطبع .

قال (هاشم) فى برود :

ولماذا بالطبع ؟

ثم استطرد فى سرعة ، قبل أن يترك للرجل فرصة التعقيب أو الرد :

ـ وأين كانت هذه اللوحة ؟

أشار المدير إلى إطار خال ، فى منتصف الحائط المواجه تمامًا ، وقال :

ـ هناك .

تطلع (هاشم) إلى الإطار الخالى ، ثم سأل :

ـ وكم ثمن هذه اللوحة ؟

أجابه المدير فى توتر :

ـ مليون دولار تقريبًا .

هتف (يحيى) فى دهشة :

ـ مليونَ دولار ؟!

صاح المدير :

ـ إنها لوحة رائعة ، للفنان العبقرى (وليام فلورى) و ...

قاطعه (هاشم) فى صرامة :

ـ دعنا من هذا .

ثم عاد يدير عينيه فى صالة العرض فى اهتمام ..

ـ كانت صالة واسعة فسيحة ، لها باب واحد ، يبعد عن موضع اللوحة المفقودة بخمسة عشر مترًا تقريبًا ، وكل الجدران مكتظة باللوحات الحديثة ، على نحو أثار ضيق (هاشم) ، فأشاح بوجهه ، وهو يسأل المدير :

ـ وأين قائد الأمن ؟

أجابه المدير ، وهو يشير إلى رجل قوى البنية ، غليظ الملامح :

ـ ها هو ذا .

التفت (هاشم) إلى قائد الأمن ، وسأله مباشرة :

ـ هل قصة المدير صحيحة ؟

أجابه قائد الأمن فى برود شديد :

ـ لست أملك جوابًا ، بالنسبة للجزء الأول منها ، ولكن الجزء الأخير صحيح ، فعندما هبط المدير كنت وحدى هنا ، ولقد أخبرنى بأمر المحادثة الهاتفية المجهولة ، فشاركته فتح صالة العرض ، واتجهت معه إلى حيث لوحة (الغراب الأصفر) ولكننا لم نجدها فى موضعها .

سأله (هاشم) :

ـ ولكن ماذا عن الجزء السابق من رواية المدير ؟

سأله قائد الأمن :

ـ أى جزء تقصد ؟

قال (هاشم) :

ـ ذلك الخاص بتفقده اللوحات كلها ، قبيل إغلاق المتحف ؟

هزّ الرجلُ كتفيه ، وأجاب :

ـ إنه يفعل هذا كل مرة .

سأله (هاشم) :

ـ وهل كانت لوحة (الغراب الأصفر) فى موضعها ؟

ـ لم تكن هناك إطارات خالية .

سأله (هاشم) فى صرامة :

ـ أريد جوابًا حاسمًا .

ابتسم قائد الأمن ابتسامة مقيتة ، وقال :

ـ كل تلك اللوحات السخيفة متشابهة ، ولست أميز بعضها عن بعض .. كل ما أعمله هو أن كل الإطارات كانت مشغولة بلوحاتٍ .

سأله (هاشم) :

ـ كيف تمكن السارق من الحصول على اللوحة إذن ، من داخل حجرةٍ مغلقة ؟ أريد جوابًا حاسمًا .

أجابه القائد فى تشف :

ـ أظننا قد استدعيناكم لإجابة هذا السؤال بالذات .

التفت (هاشم) إلى (يحيى) وسأله :

- أين المدير ؟

أجابه (يحيى) :

- لقد ذهب إلى مكتب الأمن و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفعت صرخة المدير فى نهاية المكان ، وهو يهتف :

- النجدة .. السارق هنا .. إننى أمسك به .

ثم انقطعت الأضواء بغتة ..

وبأقصى سرعته ، اندفع (هاشم) وسط ظلام دامس ، نحو المنطقة التى انطلقت منها صرخة المدير ، وهذا الأخير يواصل هتافه :

- إنه يحاول الفرار .. النجدة .. النجدة .

اقتحم (هاشم) مكتب الأمن ، هاتفًا :

- انتظر .. إننى ..

وفجأة انطلق دوى رصاصة ، والتمع بريقها فى الظلام ، وصرخ (يحيى) :

- (هاشم) .. ماذا حدث ؟

ولم يحصل (يحيى) على جواب ..

قط ..

خفق قلب (يحيى) بين ضلوعه فى قوة ، عندما تلقى الصمت جوابًا على هتافه ، بعد ذلك الطلق النارى الغامض ، فاندفع محاولاً بلوغ موضع (هاشم) فى الظلام ، وهو يهتف :

- (هاشم) .. هل أصابك مكروه يا صديقى ؟ أين أنت يا (هاشم) ؟

فوجئ بالجواب على لسان (هاشم) ، الذى يقول فى هدوء بالغ ، لا يتناسب أبدًا مع الموقف :

- هنا يا صديقى .. هنا .

لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى عاد الضوء يسطع فى المكان بغتة ، فأغشى عينى (يحيى) لحظات ، ثم لم تلبث عيناه أن استطاعتا الرؤية مرة أخرى ، فاتسعتا فى دهشة ، وهما تحدقان فى (هاشم) الذى يقف أمام حجرة الأمن صارم الملامح ، يصوب مسدسه إلى مدير المتحف ، الذى راح يرتجف فى شدة ، وهو يتطلع إلى فوهة المسدس فى ذعر ورعب هائلين ..

وقبل أن تنفرج شفتا (يحيى) ليهتف بعبارة ملؤها الدهشة ، سبقه صوت قائد الأمن ، وهو يصيح :

- ما الذى تفعله أيها الرجل ؟

أجابه (هاشم) فى صرامة :

- ألقى القبض على اللص الحقيقى .

صرخ المدير وقائد الأمن ، و (يحيى) نفسه فى آن واحد :

- اللص ؟!

ثم أضاف المدير وحده :

- هل جننت يا رجل ؟

ابتسم (هاشم) فى هدوءٍ ، وقال :

- بل أنت أخطأت أيها المدير .. أخطأت عندما تركتنا وذهبت وحدك إلى حجرة الأمن ، ثم قطعت التيار ، فلن يمكنك اقناعنا أبدًا بأن سارق اللوحة قد بقى داخل المتحف و ...

قاطعه قائد الأمن فى حدةٍ :

- استنتاج سخيف .

أجابه (هاشم) فى برود :

- إننى لم أنته منه بعد .

قال الرجل فى لهجة أكثر عصبية :

- لا حاجة بك إلى هذا ، لقد بدأت بداية خاطئة .

ثم أضاف فى حدة تمتزج بشىء من التشفّى :

- فلا توجد وسيلة لقطع التيار ، فى حجرة الأمن .

عقد (هاشم) حاجبيه فى شدة ، وبدا كالمصدوم ، حتى إن (يحيى) قد شعر بالشفقة على زميله ، الذى لم يخطئ استنتاجًا من قبل ، إلا أن (هاشم) لم يلبث أن قال فى هدوء ، وهو يعيد مسدسه إلى جيبه :

- هذا يغير الكثير .

أطلق المدير زفرة ارتياح قوية ، وهو يهتف :

- لقد كدت تقتلنى رعبًا يا رجل .

تجاهل (هاشم) هذا القول تمامًا ، والتفت إلى قائد الأمن يسأله فى حزم :

- من أين يمكن قطع التيار ؟

أجابه قائد الأمن فى غلظة :

- من حجرة الاتصالات .. هناك فى نهاية الممر .

اندفع (هاشم) نحو حجرة الاتصالات واقتحمها بحركة حادة وأدار عينيه فيها ، ثم قال :

- ما تفسير ما حدث إذن ؟

صاح المدير :

- لقد هاجمنى اللصُّ فى حجرة الأمن ، وحاول أن يطلق على النار و ...

أشار إليه (هاشم) فجأة فى حزم ، وقال :

- اصمت .

ابتلع المدير باقى عبارته فى دهشة ، فى حين عبر (هاشم) الممر فى هدوء مثير ، وعاد إلى حجرة الأمن ، وراح يفحصها بعينيه فى اهتمام ، ثم سأل ، وهو يشير إلى نافذة صغيرة ، ترتفع عن الأرض مترًا واحدًا :

- إلى أين تقود هذه النافذة ؟

أجابه المدير :

- إلى حديقة صغيرة خلف المتحف .

قال قائد الأمن فى صرامة :

- سأفتشها بنفسى .

شعر (يحيى) بالدهشة ، عندما قال (هاشم) فى هدوء :

- لا داعى .

عقد قائد الأمن حاجبيه فى شكٍّ ، خاصة عندما ارتسمت على شفتى (هاشم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- إنها أصغر من أن يعبرها شخص .

قال (يحيى) فى حيرة :

- ولكن هذا يجعل الموقف كله عجيبًا محيرًا .. لقد سمعنا جميعًا المدير يهتف بأن لصًّا يهاجمه ، ثم انقطع التيار الكهربى ، واندفع (هاشم) نحو حجرة الأمن ، وسمعنا ورأينا جميعًا رصاصة تنطلق نحو (هاشم) ، وبعدها عاد التيار الكهربى ، واختفى اللصُّ ، فما الذى حدث ؟ وأين ذهب هذا اللص الغامض ؟

هتف المدير :

- إننى أسأل نفس السؤال ذاته .

قال (هاشم) فى هدوء :

- مادام المدير قد رأى اللص بنفسه ، ومادام رجالنا يقفون لحراسة الباب الوحيد للمتحف ، والنافذة الصغيرة لاتسمح بفرار شخص ، فالتفسير الوحيد هو أن اللص قد صعد إلى أعلى .

سأله قائد الأمن فى حذر :

إلى أين ؟

أجابه (هاشم) فى بساطة :

- إلى حجرة المدير ، فى الطابق الثانى .

خيل لـ (يحيى) أن لهجة قائد الأمن قد حملت شيئًا من السخرية ، وهو يقول :

- هكذا ؟!

ابتسم (هاشم) وقال :

- نعم .. هكذا .

ثم استل مسدسه ، وأضاف :

- وسأبحث بنفسى فى الطابق العلوى .

قال المدير فى سرعة :

- سأرافقك إلى هناك .

تردَّد (يحيى) لحظة ، ولكن (هاشم) أعفاه من تردده ، وهو يقول :

- فى هذه الأثناء يمكنك استجواب طاقم الحراسة يا (يحيى) .. استجوبهم جيدًا ، وسلهم عمن غادر المتحف ، بعد التفتيش الأخير .

أومأ (يحيى) برأسه إيجابًا ، وانتظر حتى اختفى (هاشم) والمدير ، فى الممر المنحنى ، الذى يقود إلى سلم الطابق الثانى ، والتفت إلى قائد الأمن ، وقال :

- أريد استجواب الجميع .

لم يكن أسلوب قائد الأمن يروق لـ (يحيى) ، إلاَّ أنه اعتاد ، طوال عمله بالشرطة ، ألا يمزج مشاعره الشخصية بالعمل ، لذا فقد تجاهل الأمر ، وانهمك فى استجواب طاقم الأمن ، حتى رأى

(هاشم) يهبط مع المدير ، من الطابق الثانى ، فسأله :

ـ هل عثرت على شىء ؟

أجابه (هاشم) فى هدوء :

ـ مطلقًا .

هتف المدير :

ـ ولكن أين ذهب ذلك اللص اللعين ؟

قال (هاشم) فى هدوءٍ :

ـ اطمئن .. إنه لم يذهب بعيدًا .

ثم أضاف فى صرامة مباغتة :

ـ إنه هنا .

التفت إليه (يحيى) ، يسأله فى حيرة :

ـ أين :

أجابه (هاشم) فى هدوء :

ـ هنا .. فى هذه القاعة .

انعقد حاجبا قائد الأمن فى قوة وغضب ، فلم تكن القاعة تحوى سوى أربعة ، المدير وهو ، و (هاشم) و (يحيى) ..

وفى غضبٍ شديد ، قال قائد الأمن :

ـ من تقصد باتهامك هذا يا رجل ؟

عقد (هاشم) ساعديه أمام صدره ، وقال فى برود :

ـ ما رأيك أنت ؟

وبأسرع مما يتوقع أحد ، انتزع قائد الأمن مسدسه من

غمده ، وقفزت سبَّابته لتضغط زناده ، فى اللحظة التى كانت فيها فوهته مصوبة نحو صدر (هاشم) ..

نحوه تمامًا ..

★ ★ ★

من المؤكد أن قائد الأمن لم يدرك أبدًا ماذا حدث ، فى اللحظات التى تلت تصويبه المسدس إلى (هاشم) ، فكل ما يذكره هو أنه قد رفع فوهة مسدسه إلى صدر هذا الأخير ، ثم اختفى (هاشم) من أمامه بغتة ، ثم ظهر فجأة على قيد خطوة واحدة منه ، وبعدها رأى قبضة (هاشم) تطير فى الهواء ، وانفجرت قنبلة فى فكه ، وأخرى فى أنفه ، وأظلمت الدنيا أمام عينيه ، وقفز جسده إلى الخلف فى عنف ، ثم سقط على ظهره ..

وعندما سمع بعدها صوت (هاشم) ، خيل إليه إنه يدوى فى أذنه ، على الرغم من أنه يأتى من بعيد ، قائلاً :

ـ معذرة يا رجل ، لم يرق لى رأيك هذا .

قالها (هاشم) بكل السخرية والتهكم ، حتى إن قائد الأمن قد شعر وكأنه قد تلقى صفعة قوية على وجهه ، فى حين أتاه صوت مدير المتحف ، يقول فى توتر :

ـ ماذا تفعلون يا سادة ؟ إنكم تتشاجرون كالهمج .

أما (يحيى) ، فسأل (هاشم) فى لهفة :

ـ هل توصلت إلى شىء يا (هاشم) ؟

ابتسم (هاشم) ابتسامة لم تخلُ من الغموض ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .
نهض قائد الأمن ، وهو يترنح ، قائلاً فى حنق :
ـ يا لغرورك أيها المحتال !! تتحدث كما لو أنك أذكى أذكياء الأرض ، على الرغم من أنك لم تبحث الأمر كما ينبغى .
سأله (هاشم) فى سخرية :
ـ أى أمر ؟
أجابه الرجل فى حدة :
ـ أمر اللوحة المسروقة .. لو أن سارقها هو أحدنا حقًا ، كما تدعى أيها الذكى ، فأين هى ؟ أين اللوحة ؟
أطلق (هاشم) ضحكة قصيرة ، وقال :
ـ ليس هذا بالأمر العسير .
زادت الإجابة من حدة قائد الأمن ، فهتف :
ـ بل هو أصعب نقطة فى اللغز كله أيها المغرور ، فاللوحة لم تغادر المكان ، طبقًا لأقوال طاقم الحراسة ، وهى ليست هنا أيضًا ، فأين ذهبت ؟ هل تبخرت ؟
هزَّ (هاشم) كتفيه ، وقال :
ـ اللوحات لا تتبخر حسبما أعلم ، لو أن هذا ينطبق على اللوحات الحديثة أيضًا ، ولكن ما دام هناك لص غامض ، أمكنه الدخول إلى هنا ، على الرغم من وجود طاقم الحراسة ، واستطاع مهاجمة مدير المتحف فى حجرة الأمن ، ثم أطلق علىَّ النار فى الظلام ، ونجح فى الفرار ، فهذا يعنى أنه ليس من العسير أن يحمل اللوحة معه .

هتف مدير المتحف فى حماس :
ـ بالتأكيد .. أنت عبقرى يا سيد (هاشم) .. هذا هو الحل الصحيح حتمًا .
رفع (هاشم) سبابته ، وقال :
ـ كان سيسعدنى هذا ، ولكن هناك نقطة تتعارض مع هذا الموقف ، فلو أن اللصَّ كان يختبئ فى حجرة الأمن ، وأمكنه مهاجمتك هناك ، فمن الذى تسبب فى قطع التيار الكهربى ، من حجرة الاتصالات ؟
عقد قائد الأمن حاجبيه فى شدة ، فى حين غمغم المدير فى ارتباك :
ـ من يدرى ؟ قد ...
قاطعه (هاشم) :
ـ إن لدى تفسيرًا لهذا .
شعر (يحيى) بحيرة حقيقية ، وراح ينقل بصره بين وجوه الجميع ، عن سبب هذا الأسلوب العجيب ، الذى يتبعه (هاشم) ، فى حين سأل قائد الأمن (هاشم) فى غلظة :
ـ أى تفسير ؟
ابتسم (هاشم) وقال :
ـ جهاز توجيه عن بعد (ريموت كنترول) .
لاحظ (يحيى) ذلك الشحوب ، الذى اعترى وجه مدير المتحف ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟
لوّح (هاشم) بكفه ، وقال :
- لقد استخدم المجرم جهاز توجيه عن بعدٍ ، أوصل جزأه المتحرك بأزرار التحكم فى التيار الكهربى ، واحتفظ بالجزء الخاص بالتوجيه فى جيبه ، بحيث يستطيع قطع التيار وإعادته ، دون أن يقترب من حجرة الاتصالات .
ثم ابتسم ابتسامة غامضة ، قبل أن يستطرد :
- من حجرة الأمن مثلاً .
احتقن وجه المدير فى شدة ، وقال فى حدة :
- ما الذى تقصده بهذا الاتهام ؟
قال (هاشم) بنفس الهدوء ، والابتسامة الغامضة :
- أقصد أن اللعبة ليست محكمة هذه المرة ، وكان من الممكن أن تصبح أكثر إحكامًا ، لولا خدعة المجرم هذه .
قال المدير فى عصبية :
- إننى لست ...
قاطعه (هاشم) فى حزم :
- لقد كان الغرض من لعبة المجرم هذه اقناعنا بوجود مجرم خارجى ، حتى تنتفى التهمة عن الموجودين هنا ، ولكن العكس هو الذى حدث ، فلقد وضعنا هذا أمام حاجز صلب ، من المستحيل اجتيازه ، ولقد تأكدت بنفسى من استحالة فرار أى مجرم ، وهذا يعنى أنك قد ذهبت إلى حجرة الأمن ، وضغطت

جهاز التوجيه الآلى فى جيبك ، بعد أن أطلقت صرخة الاستغاثة ، ثم أخرجت المسدس من جيبك ، وأطلقت رصاصة فى الهواء ، وبعدها ألقيت المسدس فى الحديقة الخلفية ، عبر النافذة الصغيرة فى حجرة الأمن ، وأعدت التيار مرة أخرى بوساطة جهاز التوجيه أيضًا .
شحب وجه المدير فى شدة ، وزاغت نظراته ، وهو يلتفت إلى قائد الأمن ، ثم يدير بصره إلى (يحيى) ويقول فى عصبية :
- خطأ .. خطأ .. إنك لا تملك دليلاً واحدًا على هذا .
ابتسم (هاشم) .. فى سخرية ، وهو يقول :
- هل تظن هذا حقًا ؟ وماذا لو فتشنا الحديقة الخلفية ، وعثرنا على المسدس وعليه بصماتك ؟
قال المدير فى حدة :
- افعل .. وأتحداك أن تجده .
عقد (هاشم) حاجبيه لحظة فى عنفٍ ، لم تلبث ملامحه أن لانت فى سرعة ، وعادت إليها ابتسامته ، وهو يقول :
- سأفتشك إذن ، وأتحداك أنا أننا سنجد المسدس وجهاز التوجيه فى جيبك ، وعندما نعثر على الجزء الآخر من الجهاز فى حجرة الاتصالات ، فإن هذا سيكفى لـ ...
وفجأة ، وقبل أن يتم (هاشم) حديثه ، تراجع المدير فى حركة حادة ، وامتدت يده إلى جيب سترته ، وخرجت تحمل مسدسًا ضخمًا ، صوبه إلى (هاشم) ، صارخًا :

- من سوء حظك أن توصلت إلى هذا يا رجل الأمن .

تحركت يد (يحيى) بسرعة نحو مسدسه ، إلا أن المدير أدار فوهة المسدس نحوه ، وصاح فى عصبية :

- حذار أن تفعل ، وإلا فجرت جمجمتك .

تجمدت يد (يحيى) فى الهواء ، فتابع المدير فى توتر بالغ :

- أخرج مسدسك فى رفق ، وألقه أرضًا .. هيا .. بسرعة .

أطاعه (يحيى) فى غيظ ، وقال :

- لو أنك تتصور أنك ستنجح فى الفرار ، فأنت ...

قاطعه (هاشم) فى هدوء ، وهو يكمل عبارته :

- غبى .

أدار المدير عينيه إليه ، فى حركة حادة ، إلا أنه استطرد بنفس الهدوء :

- غبى ، لأنك لم تنجح فى التخطيط للأمر ، ولم تنجح حتى فى تقبل الهزيمة .

جحظت عينا المدير ، وهو يصرخ :

- فليكن .. لقد خسرت .. إننى لست مجرمًا بطبعى ، ولكننى لن أخسر وحدى ..

سأحملك معى أيها الحاذق ..

وارتفعت فوهة مسدسه نحو رأس (هاشم) وهو يستطرد فى ثورة أقرب إلى الجنون :

- الوداع يا أشهر رجال الأمن .

ودوى فى المكان صوت رصاصة ..

رصاصة أصابت هدفها ..

وبمنتهى الدقة ..

★ ★ ★

قفز قلب (يحيى) بين ضلوعه فى عنف ، مع دوى الرصاصة ، ثم اتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يحدق فى المشهد الماثل أمامه ..

كان (هاشم) يقف سليمًا معافًى ، والغضب يملأ كل خلية من خلايا وجهه ، فى حين جحظت عينا المدير فى ألم ورعب وذهول ، وشحب وجهه شحوبًا رهيبًا ، وترنح جسده فى شدة ، ويده تمسك صدره ، وتحاول منع الدماء المتدفقة منه ، أمَّا قائد الأمن ، فقد وقف عاقدًا حاجبيه فى صرامة ، وهو يمسك بيده مسدسًا ، ما زالت الأدخنة تتصاعد من فوهته ..

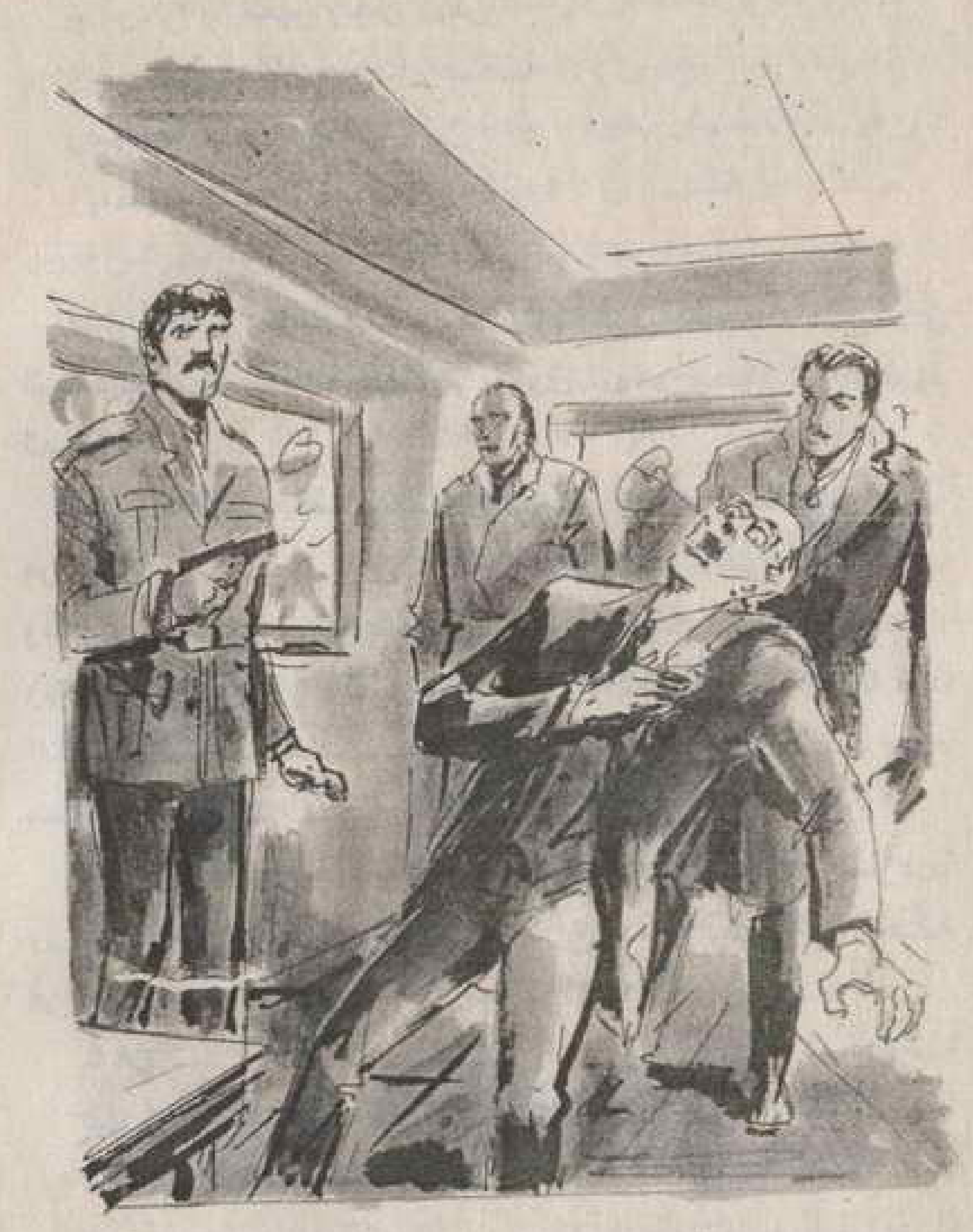
ثم سقط المدير فجأة كقطعة حجر ، فاندفع (هاشم) نحوه ، وراح يفحصه فى توتر بالغ ، وأسرع إليه (يحيى) ، يسأله فى توتر :

- هل ...

قبل أن يتم سؤاله ، قاطعه (هاشم) فى حنق :

- نعم .. لقد لقى مصرعه .

ثم رفع عينيه إلى قائد الأمن ، وقال فى غضب :



ثم سقط المدير فجأة كقطعة حجر ، فاندفع (هاشم) نحوه ، وراح يفحصه في توتر بالغ ..

ـ قتله هذا الرجل .

لوّح قائد الأمن بمسدسه ، وقال في حدة :

ـ لقد حاول قتلك .

قال (هاشم) غاضبًا :

ـ كان يمكنك أن تكتفي بإصابة يده أو مسدسه .

هتف قائد الأمن :

لم يكن هناك وقت للتفكير .

ضم (هاشم) قبضته في عنفٍ غاضبٍ ، وهو يقول :

ينبغي أن تفكر في مثل هذه الظروف يا رجل .. إنه قتل .. والقتل أبغض فعل في الوجود كله .

قال قائد الأمن في حدة .

ـ كنت أحاول إنقاذك .

هتف به (هاشم) بغتة :

ـ بل كنت تسعى لإنقاذ نفسك .

صاح الرجل في مزيج من الدهشة والذعر :

ـ أنا ؟

أجابه (هاشم) في غضبٍ :

ـ نعم .. أنت يا قائد الأمن .. هل تصورت أنك ستنجو بقتله ؟ هل تصورت أنني لم أفهم دورك ؟ أنت مخطئ إذن يا رجل .. لقد أدركت منذ البداية أنكما شريكان ، فلم يكن من الممكن أبدًا أن يسرق المدير اللوحة وحده ، لأنك تقوم على

حراسة المدخل الرئيسى لصالة العرض ، ولابد لك من مشاركته ، حتى يمكنه الحصول عليها .. سأخبرك كيف حدث هذا ، فهو أمر أبسط مما يبدو كثيرًا ، إذ إن قصة المحادثة الهاتفية هذه مجرد قصة وهمية ، أما الواقع فهو أن المدير قد قام بدورته التفتيشية الأخيرة ، فى وجود طاقم الحراسة كله ، ثم صعد إلى حجرته ، وبعد أن قمت أنت بتوزيع أفراد الطاقم على مختلف الأماكن ، واخترت لنفسك حراسة الباب الرئيسى ، هبط المدير من الطابق العلوى ، واشتركتما معًا فى نزع اللوحة من إطارها ، ثم أخفيتماها معًا ، وأبلغتما الشرطة بتلك الخطة الوهمية .. هل رأيت كيف أن الأمر بسيط للغاية ؟

قال قائد الأمن فى حدة :

- ولكنك نسيت أيضًا نفس النقطة أيها العبقرى المغرور .. أين اللوحة ؟

أين أخفيناها ؟

شاركه (يحيى) تساؤله ، وهو يقول :

- هذا صحيح يا (هاشم) .. لقد استجوبت طاقم الحراسة بنفسى ، وكلهم يؤكدون أن اللوحة لم تغادر المتحف ، ثم إنك لم تعثر عليها هنا ، فأين هى ؟

أشار (هاشم) إلى صالة العرض ، وقال :

- هنا .

هتف (يحيى) فى دهشة :

- أين ؟

قال (هاشم) فى حزم :

- بقلب المتحف يا صديقى .. وهذه هى الميزة الوحيدة للفن الحديث .. انظر إلى هذه اللوحة مثلاً .. إنها مجردَ خطوط متوازية مختلفة الألوان ، وهذه عبارة عن دائرتين متقاطعتين ، وتلك تحوى عدة بقع لونية .. وهكذا .

بدا التوتر على وجه قائد الأمن ، فى حين سأل (يحيى) :

لست أفهم بعد الذى يعنيه هذا ؟

أجابه (هاشم) :

- سأشرح لك يا صديقى .. لو أنك راجعت سجلات المتحف ، لوجدت أن عدد لوحات صالة العرض ينقص واحدة ، من اللوحات المعروضة بالفعل ، لأن المدير وقائد الأمن قد أضافا لوحة ذات ألوان صارخة ، ولها نفس مقاييس لوحة (الغراب الأصفر) ، وعندما هبطا إلى الصالة ، بعد منتصف الليل ، قاما بنزع اللوحة الزائدة من إطارها ، ثم مزقاها إربًا ، وألقيا بها من شباك حجرة الأمن إلى الحديقة الخلفية ، ثم نزعا لوحة (الغراب الأصفر) من إطارها ، وأخفياها ببقع لونية مختلفة ، يسهل إزالتها فيما بعد ، ثم وضعاها فى إطار اللوحة الأخرى ، وتركاها هكذا ، بحيث يبدو إطار لوحة (الغراب الأصفر) خاليًا ، فى حين تختفى اللوحة نفسها فى إطار آخر ، خلف ضجةٍ من الألوان الصاخبة ، حتى ينتهى التحقيق ، وتهدأ الأمور ، وعندئذ

يستعيدان اللوحة ، ويقومان ببيعها ، ويحصلان على المليون دولار .

والتفت فى حركة حادة إلى قائد الأمن ، وهو يستطرد :

ـ وعندما اتهمت أنا المدير ، وقبل أن أتم شرح استنتاجى ، فقد المدير أعصابه ورفع مسدسه فى وجهى ، وهنا وجدها قائد الأمن فرصة سانحة ، للفوز باللعبة كلها ، فلو لقى المدير مصرعه بعد أن فعل ، فسنجد نحن المسدس وجهاز التوجيه فى جيبه وسيدينه هذا حتمًا ، وهكذا يكون قائد الأمن قد تخلص من الشخص الوحيد الذى يعرف سره ، وألقى بالتبعة كلها عليه ، وفاز بالغنيمة كلها وحده فى الوقت ذاته .. أليس كذلك ؟

هتف قائد الأمن فى حنق :

ـ لن تجد دليلا واحدًا ، على هذا الاستنتاج السخيف .

أجابه (هاشم) فى صرامة :

ـ هل تتصوَّر هذا ؟ يا لكما من مجرمين ساذجين ! لقد حملت اللوحة مع المدير يا رجل ، وشاركته نزعها من إطارها ، وتغطيتها بالألوان ، ووضعها فى الإطار الآخر ، ومن المحتم أنك قد تركت دستة من البصمات الواضحة على الطلاء ، ورفْعُ هذه البصمات سيحسم الأمر ، وسيمنحنا الدليل الذى تتحدث عنه أيها المجرم .

احتقنت عينا قائد الأمن ، وهو يغمغم فى مرارة :

ـ أنت ذكى بالفعل أيها الشرطى .

ثم رفع المسدس نحو هاشم ، مستطردًا فى غضبٍ مكتوم :

ـ وستدفع حياتك ثمن هذا .

توترت عضلات (يحيى) ، فى حين قال (هاشم) فى صرامة :

ـ هل سترتكب جريمة قتل أخرى ؟

قال الرجل فى مرارة أكثر :

ـ وما الفارق .. لا يمكنهم إعدامى مرتين .. أليس كذلك ؟

هزَّ (هاشم) كتفيه ، وقال :

ـ من يدرى ؟

إننا فى متحف الفن الحديث ، وفجأة هتف (هاشم) :

ـ لا .. لا تهاجمه .

التفت قائد الأمن فى حركة حادة ، إلى حيث يشير (هاشم) ، ثم انتبه فى سرعة إلى تلك الخدعة التقليدية ، فاستدار بأقصى سرعته إلى (هاشم) ، ولكن هذا الأخير انحنى فى سرعة ، متفاديًا رصاصة أطلقها نحوه قائد الأمن ، ثم قفز نحو مسدس (يحيى) الملقى أرضًا ، والتقطه فى خفة بالغةٍ ، ثم انقلب على ظهره ، وأطلق رصاصة نحو مسدس قائد الأمن ..

وأطاحتِ الرصاصة بمسدس الرجل ، الذى أطلق صرخة ألم .

* * *

وقف (هاشم) يتطلع طويلاً إلى لوحة (الغراب الأصفر) ، عندما اقترب منه (يحيى) ، وربت على كتفه ، قائلاً :

ـ لقد اعترف بكل شىء

غمغم (هاشم) :

ـ عظيم .

ثم أشار إلى اللَّوحة ، وسأل (يحيى) :

ـ قل لى : أين الغراب الأصفر فى هذه اللوحة ؟

تطلع (يحيى) بدوره إلى اللوحة ، التى كانت عبارة عن أرضية سوداء ، يتوسطها مثلثان متقاطعان لهما لون أصفر صارخ ، فابتسم (يحيى) وقال : وهو يربت على كتف زميله مرة أخرى :

ـ ومن يهتم ؟! لقد عادت اللوحة إلى موضعها ، وهذا هو عملنا .. إننا رجال أمنٍ ، ولسنا نقادًا للفن الحديث .

أومأ (هاشم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ الواقع أننى أفضل هذا .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، واستطرد :

ـ وإننى لأفخر بكونى رجل أمن .

ابتسم (يحيى) وقال :

ـ لست مجردَ رجل أمن يا صديقى .. إنك رجل العدالة ، العدالة الحقة .

* * *

(تمت بحمد الله)

٢ ـ سباق الخطر ..

ضغط (هاشم همام) ، أشهر رجل أمن فى الشرق الأوسط ، فرامل سيارته ، وهو يوقفها أمام حلبة السباق الجديدة ، فى بلدٍ أوروبىٍّ عريقٍ ، والتفت إلى زميله (يحيى) وهو يبتسم ، قائلاً : أخيرًا يا صديقى ، يمكننا أن نشاهد سباق سيارات حقيقيًا .

أطلق (يحيى) ضحكة مرحة ، وهو يقول :

ـ من الضرورى أن نرسل برقية شكر لرئيسنا ، فلولا الإجازة القصيرة ، التى منحنا إياها ، بعد عامين متصلين من العمل ، لما أمكننا أن نسافر إلى هنا ، ونشاهد السباق .

قال (هاشم) فى بساطة ، وهو يغادر السيارة :

ـ هذا صحيح .

اتجها معًا نحو حلبة السباق ، و (يحيى) يلوِّح بكفه ، قائلاً فى حماسٍ :

ـ إنها أحدث حلبة سباق فى (أوروبا) كلها ، وهذا السباق يقام فيها لأوَّل مرة ، وجائزته الأولى تبلغ المليون جنيه دفعة واحدة .

هتف (هاشم) :

ـ مليون جنيه ؟! إنها جائزة ضخمة بالفعل ، حتى إنها تغرى بالقـ ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، ولكن (يحيى) أدرك مضمونها ، فضحك قائلاً :

ـ تذكّر أننا فى إجازة ، ولسنا فى أثناء العمل .

هزّ (هاشم) رأسه ، وقال :

ـ هذا صحيح يا صديقى ، ولكن خبرتى السابقة تقول : إنّ العالم يكتظ بضعاف النفوس ، الذين قد تغريهم ضخامة المبلغ بارتكاب كل الموبقات ، واللجوء إلى كل وسائل الخداع والغش ، فى سبيل الفوز به ، حتى ولو اضطرهم الأمر إلى القتل .

هتف (يحيى) :

ـ لا .. ليس إلى هذا الحدّ .

ثم ترك (هاشم) ، واتجه نحو شباك التذاكر ، مستطردًا :

ـ انتظرنى .. سأبتاع تذكرتين ، وأعود إليك .. لا تبتعد ، وإلا فقدتك وسط الزحام .

ابتسم (هاشم) ، قائلاً :

ـ اطمئن .

تابع زميله ببصره ، وهو يغوص وسط أكوام البشر ، فى طريقه إلى شباك التذاكر ، ثم استند بظهره إلى حاجز خشبى مرتفع ، وهو يتمتم :

يا لها من أعداد غفيرة !

اختفى (يحيى) تمامًا وسط الزحام ، وعقد (هاشم) ساعديه

أمام صدره ، ثم راح يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، للحن عربى شهير ، فى محاولة لإضاعة الوقت ، والتسرية عن نفسه ، لحين عودة (يحيى) ..

ودون أن يقصد ، تسلل إلى مسامعه صوت خشن جاف ، من خلف الحاجز الخشبى ، يقول :

ـ هل وضعتها ؟

أجابه صوت آخر حادُّ النبرات :

ـ نعم .. وضعتها داخل المحرك بوسيلة فنية ، لن يكشفها أى مخلوقٍ أبدًا ، وسيبدأُ تشغيلها مع إدارة المحرك ، و ... تنفجرْ .

لم يكد صاحب الصوت الحاد ينطق جملته الأخيرة ، حتى اعتدل (هاشم) بحركة حادة ، وتوترت كل عضلةٍ من عضلات جسده فى عنفٍ ، وانعقد حاجباه فى شدة ، فى حين انحل انعقاد ساعديه من أمام صدره ..

هذا ما توقعه تمامًا ..

محاولة قتل ..

وسيلة للتخلص من منافس قوى ، لنيل الجائزة الضخمة ..

قفزت غريزته القتالية إلى ذروتها ، وتحفزت كل خلية من خلاياه للانقضاض على صاحب النبرات الحادة ، لولا ذلك الحاجز الخشبىُّ الذى يفصلهما ، ولولا أن أضاف صاحب الصوت الأجشّ ، فى لهجة تحمل كل مقت وكراهية العالم :

ـ إن ذلك العربى يستحق القتل حقًا .

جمدت العبارة (هاشم) فى مكانه ، كتمثالٍ من رخامٍ باردٍ ..
إنهم يقصدون عربيًا إذن ..
عربيًا يشاركه العقيدة والتاريخ والدم ..
وتدفقت دماءُ الغضب فى أعماق (هاشم) ..
واندفع يبحث عن وسيلة ، لبلوغ الجانب الآخر من الحاجز ..
ووجد (هاشم) الوسيلة ..
وعبر إلى الجانب الآخر من الحاجز الخشبى ..
ولكن من المستحيل أن يعرف غريميه هناك ..
كان هذا الجانب أيضًا يكتظ بالبشر ، على نحو أدهش (هاشم) ، وجعله يتساءل :
ـ كيف سمع حديث الرجلين ، عبر الحاجز الخشبى ، وهما يتحدثان وسط كل هذا الزحام :
تلفت حوله فى توتر ، وهو يغمغم :
ـ أين أنتما أيها الحقيران ؟
كان من الواضح أنه لن يعثر عليهما أبدًا ، ولقد زاد هذا من حنقه وتوتره ، فراح يتحدث إلى نفسه فى انفعال ، مغمغمًا :
ـ إنهما يقصدان عربيًا .. لقد ذكرا هذا بنفسيهما .. لاريب أن هذا العربى أحد المشاركين فى السباق ، وأنه منافس قوى .
تلفت حوله مرة أخرى ، ثم اندفع نحو حجرة منظمى السباق ، وهتف فيهم فى حدة :

ـ ألديكم قائمة بأسماء المشاركين فى السباق ؟
تطلع إليه الجميع فى دهشة ، وأجابه أحدهم ، وهو يناوله ورقة كبيرة :
ـ بالتأكيد .. ألم تتقدم برهانك بعد ؟
اختطف (هاشم) القائمة من يده ، وهو يقول فى حدة :
ـ نحن لانرتكب هذه المعصية فى بلادنا .
وراح يلتهم أسطر القائمة بعينيه فى سرعة ، ثم تمتم :
ـ ثلاثة .. يوجد ثلاثة من العرب فقط فى هذا السباق .. (جاسم) ، و (عدنان) ، و (رفيق) .. تُرى أيهم المقصود ؟
انحنى يقول لرئيس منظمى السباق فى توتر :
ـ اسمع يا رجل .. هناك أمر بالغ الخطورة سيحدث فى هذا السباق .. هناك عربى سيلقى مصرعه .
تطلع إليه منظمو السباق فى دهشة ، وسأله رئيسهم فى قلق :
ـ ماذا تعنى بأنه سيلقى مصرعه يا رجل ؟
أجاب فى حدة :
ـ ستنفجر سيارته .. لقد دس أحدهم قنبلة فى محركها .
تبادل الرجال نظرات الحيرة ، وبدا الشك والقلق فى عيونهم ، فاستطرد (هاشم) فى صرامة :
ـ لابد من إيقاف السباق ، حتى يتم العثور على القنبلة .
تبادل الرجال نظرة أخرى ، ثم قال رئيسهم فى حزم :

- مستحيل يا رجل .. لا يمكنك إيقاف السباق الآن ، فسيبدأ بعد دقائق .
هتف (هاشم) :
ماذا تعنى بأنه من المستحيل إيقافه ؟ إنها حياة رجل ؟!
قال أحد منظمى السباق فى حدة :
فلينسحب العرب الثلاثة لو أرادوا ، ولكننا لن نوقف السباق من أجل عربى واحدٍ .
رمقهم (هاشم) بنظرة صارمة غاضبة ، ثم قال وهو يبتعد فى سرعة :
- حسن .. اتركوا لى هذه المهمة .
وراح يجتاز الزحام فى عنفٍ ، متجهًا نحو مناطق انتظار سيارات السباق ، التى تستعدُّ لاتخاذ مراكزها ، عند خط البداية ، وهو يتطلع إلى ساعة معصمه ، قائلاً فى توتر :
- أمامى سبع دقائق فقط ؛ لبلوغ حظائر السيارات ، والعثور على ثلاثة من العرب ، وتحذيرهم .
انتابه حنق مفاجئ ، وهو يستطرد :
- وهذا مستحيل تقريبًا !
احتك به فى اللحظة نفسها رجل ضخم الجثة ، وامتدت يده فى سرعة تختطف القائمة من يد (هاشم) ؛ وهو يقول فى صوت خشن جاف :
- سأستعير هذه القائمة .

كان تصرفًا عجيبًا ، ولكن اقترانه بنفس الصوت الخشن الجاف ، الذى سمعه (هاشم) من خلف الحاجز الخشبى ، جعل أجراس الخطر تنطلق فى أعماق هذا الأخير ، وهو يلتفت إلى الضخم فى حركة حادة ، ابتسم لها المجرم فى سخرية ، وهو يقول :
- هل يزعجك هذا ؟
وفجأة .. وبلا مقدمات . انقضَّ (هاشم) على الضخم ، ودفعه فى صدره بقوةٍ ، ثم أمسك معصمه فى سرعة ، ولوى ذراعه خلف ظهره ، وهو يقول فى صرامة :
- لا أيها المجرم .. لن يزعجنى هذا .
احتفظ بالقائمة ، لأنك ستخبرنى باسم العربى ، الذى دسستم له القنبلة ، قبل أن أكسر ذراعك .
تأوه الضخم فى ألم ، فهو لم يكن يتوقع هذا الهجوم السريع المباغت ، وهتف :
- أيها العربىَ الـ ...
ضغط (هاشم) ذراع الرجل فى عنف ، وهو يقول :
- لا تنطقها ، وإلا انتزعتَ لسانك من قاعدته .. هيا .. أخبرنى بما أريد معرفته .
سمع من خلفه صوتًا حادَّ النبراتِ ، يقول :
- سأخبرك أنا .
وعندما التفت فى سرعةٍ وقعت عيناه على مدية حادةٍ لامعةٍ



وفجأة .. وبلا أى مقدمات . انقضَّ (هاشم) على الضخم ، ودفعه فى صدره بقوةٍ ، ثم أمسك معصمه فى سرعة ..

تندفع فى قبضةِ رجلٍ نحيل طويل نحو قلب عربى ..

قلبه هو ..

★ ★ ★

اندفع خنجرُ المجرم نحـو قلب (هاشم) تمامًا ، ولكنـه لم يبلغه أبدًا ..

هذا لأن (هاشم) نفسه لم يكن هناك ، فى موضع الطعنة ..

لقد تحرك بسرعة مدهشـة ، فدفـع المجرم الضخم أمامـه ، وانحنى فى رشاقة ، ومال جانبًا فـى مرونـة ، ثم ثنى ركبتـه ، حتى كادت تلتصق بصدره ، وفرد ساقه فى وجه حـامل الخنجر فى عنف ..

وتلقـى المجرم النحيل ركلـة (هاشـم) فـى أنفـه مباشـرة ، وتراجع وهو يطلق سبابًا ساخطًا ، والدم يتفجر من أنفه ..

وصاح الضخم فى سخطٍ :

ـ هل تتصور نفسك بطلاً أيها العربى ؟

هوى (هاشم) على أنفه بلكمة كالقنبلة ، وهو يقول :

كل العرب أبطال يا رجل .

اندفع أحد مسئولى السباق نحو منطقة الصراع ، وهتف :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

انقضَّ النحيل على (هاشم) فى شراسة ، وهو يجيب :

ـ لا عليك يا رجل .. إننا سنذبح عربيًّا فحسب .

تفادى (هاشم) نصل الخنجر هذه المرة أيضًا ، واستقبل النحيل

بلكمة صاعقة فى معدته ، وهو يقول :

ـ هكذا ؟!

ثم هوى على فك الرجل بلكمةٍ ساحقةٍ ، مستطردًا :

ـ ما رأيك لو أبدلنا الأدوار إذن ؟

ولوى معصم النحيل فى عنفٍ ، وانتزع منه خنجره ، مردفًا :

ـ وذبحك هذا العربى .

سقط المجرم النحيل تحت قدمى (هاشم) ، فى حين صاح مسئول السباق ، وقد بلغ توتره ذروته :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

انحنى (هاشم) يمسك النحيل من عنقه ، وأجبره على النهوض بقبضةٍ فولاذيةٍ ، وهو لايزال ممسكًا ذراع الضخم فى قوةٍ ، وأجاب مسئول السباق :

ـ هناك متسابق معرّضٌ لجريمة قتل يا رجل .

هتف مسئول السباق فى ذعر :

ـ جريمة قتل ؟! ومن هو هذا ؟

تطلع (هاشم) إلى ساعته ، وقال :

ـ إنه واحد من العرب الثلاثة ، (جاسم) ، أو (عدنان) ، أو (رفيق) ، وسيحدث هذا بعد خمس دقائق فقط ، عندما يبدأ السباق .

قال المسئول فى توتر :

ـ يمكننا أن نتفادى حدوث هذا ، لو علمنا من هو العربى المعرض للقتل .

التفت (هاشم) إلى المجرم الضخم ، وسأله فى صرامة :

ـ من منهم المقصود ؟

ـ زمجر الضخم ، وغمغم محنقًا :

ـ حاول أن تعرف وحدك أيها الذكى .

بدا الغضب على وجه (هاشم) ، وقال :

ـ لا بأس .. سأعثر عليه وحدى .

ثم استدار إلى مسئول السباق ، وسأله :

ـ أين يمكننا أن نجد أولئك الثلاثة ؟

أجابه المسئول فى انفعال :

ـ من حسن الحظ أنهم فى ثلاثة مقصورات متجاورة .. هناك ، فى الجانب الغربى و ...

اندفع (هاشم) نحو مقصورات الجانب الغربى ، وهو يتخلى عن المجرمين ، هاتفًا :

ـ ألق القبض على هذين إذن .

بلغ المقصورات الثلاث المتجاورة ، فى نصف دقيقة فحسب ، وقال فى توتر :

ـ أأنتم (جاسم) ، و (عدنان) ، و (رفيق) ؟

نظر إليه المتسابقون الثلاثة فى دهشة ، وقال أكثرهم نحولاً :

ـ نعم .. أنا (عدنان) .. من أنت ؟
قال (هاشم) فى انفعال ، وهو يتطلع إلى ساعته :
ـ لا وقت للتعارف يا رجل .. هناك قنبلة فى سيارة أحدكم ، وستنفجر فور إدارته المحرك .
هتف الثلاثة فى آنٍ واحدٍ :
ـ قنبلة ؟!
كان (جاسم) ضخم الجثة ، مفتول العضلات ، ولقد بدا ـ على الرغم من هذا ـ أكثر الثلاثة ذعرًا ، وهو يهتف :
ـ ماذا تعنى يا رجل ؟ من يرغب فى قتلنا ؟
أجابه (هاشم) :
ـ منافس أيها الشقيق .. منافس حقير ، لا يتورع عن القتل ، فى سبيل مليون جنيه .
تبادل المتسابقون الثلاثة نظرة ذعر وقلق ، ثم تطلع (رفيق) إلى عقارب ساعته ، وقال فى عصبية :
ـ اسمع يا رجل .. سيبدأ السباق بعد ثلاث دقائق ونصف ، ولست مستعدًا لإضاعة الوقت فى ...
قاطعه (هاشم) فى حدة :
ـ وهل أنت مستعد لإضاعة حياتك ؟
عقد (رفيق) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :
ـ هذا لو أننى أصدق حرفًا واحدًا من قولك هذا .
تطلع إليه (جاسم) فى قلق ، وقال :

ـ أتعنى أنه من المحتمل أن يكون هذا الرجل كاذبًا ، أو ؟
قاطعه (رفيق) ، وهو يجيب فى حدة :
ـ بالتأكيد .. أنها محاولة من المنافسين ، لتحطيم أعصابنا ، وإضاعة وقتنا .
قال (هاشم) فى غضب :
ـ اسمع يا فتى .. أنا رجل أمن عربى و ..
صاح (رفيق) مقاطعًا :
ـ قلت لن أصدق حرفًا واحدًا .
صرخ (هاشم) فى وجهه :
ـ بل ستفعل .. وبالقوة لو اقتضى الأمر .
ثم انتزع بطاقة هويته ، ووضعها أمام عينى (رفيق) ، مستطردًا فى صرامة :
ـ هل تجيد القراءة ؟ هل تفهم طبيعة هذه البطاقة ؟
عقد (رفيق) حاجبيه ، وأشاح بوجهه عن البطاقة ، دون أن ينبس ببنت شفةٍ ، فى حين قال (عدنان) فى قلق :
ـ أظن أنه من الأفضل أن أفحص سيارتى .. أليس كذلك ؟
قال (جاسم) فى توتر :
ـ ولكن الوقت لن يكفى لهذا ، ولابد لى من الاشتراك فى السباق .
لوَّح (هاشم) بكفه ، قائلاً :
ـ وهل أنت مستعد للمراهنة بحياتك ، مقابل هذا ؟

تردَّد (جاسم) لحظة ، ثم قال :

ـ لا يمكنك أن تتصوَّر كم استغرقت ، من وقت وجهد وتدريبات ، ليمكنني تسجيل اسمى ، فى هذا السباق .

قال (هاشم) فى حزم :

ـ ولكنها حياتك .

بدا التردُّد واضحًا فى ملامح (جاسم) ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها رجال الأمن ، وقد أحاطوا معصمى المجرمين بالأغلال ، وسأل قائدهم (هاشم) :

ـ هل توصلت إلى المطلوب ؟

هزَّ (هاشم) رأسه نفيًا فى حنق ، وهو يقول :

ـ ليس بعد .. لست أمتلك دليلاً واحدًا .

ثم التفت إلى المجرمين ، مستطردًا فى صرامة :

ـ إلا إذا اعترف أحد هذين الحقيرين .

ابتسم الضخم فى سخرية شامتة ، فى حين قال النحيل فى عصبية :

لا تعتمد على اعترافنا .. حاول أن تستنتج الحل ، كما تفعل دائمًا .. ألست أشهر رجل أمن عربى ؟

تطلع إليه (هاشم) لحظة فى برود ، ثم التفت إلى المتسابقين الثلاثة ، وتطلع إلى ساعته ، قائلاً فى حزم :

ـ أظن أنكم ستضطرون للتخلى عن الاشتراك فى هذا السباق أيها السادة ، و ...

قاطعه (رفيق) فى حدة :

ـ محال .

ثم اتجه نحو سيارته ، مستطردًا :

ـ إننى هنا للفوز فى السباق ، وحتى القنابل لن تنجح فى منعى من الاشتراك فيه .

وبحركةٍ سريعة ، قفز داخل سيارة السباق ، فهتف به (هاشم) :

ـ ماذا ستفعل أيها المجنون ؟

أجابه (رفيق) فى عنادٍ :

ـ سأتحدى الخوف .

وقبل أن يتحرك (هاشم) حركة واحدة ، كان (رفيق) قد أدار محرك سيارته القوية ، و ...

وخفقت قلوب الجميع ..

فى عنف ..

★ ★ ★

كان (هاشم) يتوقَّع انفجارًا ..

انفجارًا عنيفًا ، يطيح بالمكان ، والمقصورات الثلاث ..

ولكن هذا لم يحدث ..

لقد أدار (رفيق) محرك سيارته ، فانطلق المحرك ناعمًا منتظمًا ، لا يوحى أبدًا بوجود أى خلل ..

وتنفس (هاشم) الصعداء ، فى حين ارتسمت على وجه (رفيق) ابتسامة مزهوة ، وهو يقول :

ـ أرأيت ؟ كلها مجرد مخاوف ، لا مبرر لها .
أدار (جاسم) عينيه ، فى وجوه الجميع ، فى شك وحيرة ، وهو يغمغم !
ـ أحقًا ؟!
قال (هاشم) فى حزم :
ـ لقد كان (رفيق) حسن الحظ ، لأن القنبلة ليست فى محرك سيارتك ، ولكن هذا لا يعنى أنه لا توجد قنبلة .
ألقى (عدنان) نظرة متوترة على ساعة يده ، قبل أن يقول :
ـ اسمع يا رجل الأمن .. ربما كانت هناك قنبلة بالفعل ، ولكننى مستعد للمخاطرة ، فى سبيل الاشتراك فى هذا السباق .
أجابه (هاشم) :
ـ لست أنصحك بهذا ، تطلع (جاسم) إلى وجهيهما وقال :
ـ سيبدأ السباق بعد دقيقتين ، ولابد من تسخين المحرك .
ثم قفز داخل سيارته ، مستطردًا .
ـ وأظننى سأمنح ثقتى لـ « رفيق » .
تراجع (هاشم) فى سرعة ، عندما أدار (جاسم) محرك سيارته ، ثم لم يلبث أن حدق فى السيارة فى دهشة ، فى حين تهللت أسارير (جاسم) ، وهتف فى سعادة :
ـ لقد كان (رفيق) محقًا .. لا يوجد أية قنابل .
ابتسم (رفيق) فى فخر ، وقال :
ـ أرأيت يا رجل .. هيا يا صديقى .. فلنتخذ أماكننا فى حلبة السباق .

انطلقا بسيارتيهما مبتعدين ، فى حين بدأ التوتر على وجه (عدنان) ، فقال (هاشم) فى حزم :
ـ إنها سيارتك إذن .
تردد (عدنان) لحظة ، ثم قال فى حدة :
ـ لست أصدق هذا .
بدا مزيج من الصرامة والضيق على وجه (هاشم) ، وهو يقول :
ـ اسمع يا (عدنان) .. لقد سمعت بنفسى هذين المجرمين ، يتحدثان عن قنبلة ، وضعاها فى محرك سيارة عربى ، و ...
قاطعه (عدنان) فى حدةٍ :
ـ ومن أدراك أنه يقصد عربيًّا يشارك فى السباق ؟ ربما يقصد أى عربى من المتفرجين ؟
صدم القول (هاشم) تمامًا .
لماذا تصور أن القنبلة داخل محرك سيارة أحد المتسابقين العرب ؟
إن المجرم لم يقل هذا ..
بل لم يشر إليه ..
عقله هو الذى فعل ..
اهتمامه بالسباق ، وفكرته المسبقة عن الجائزة الكبرى ، وما يمكن أن يفعله أى شخص فى سبيلها ، هما اللذان أوحيا إليه بهذا ..

وفى صوت شديد الخفوت ، تمتم :

ـ نعم ... لماذا ؟

اتجه (عدنان) إلى سيارته فى حزم ، وهو يقول :

ـ معذرة ، يا رجل الأمن .. إننى سأقود سيارتى ، فالسباق سيبدأ بعد لحظات و ...

اعتدل (هاشم) فجأة ، وقال :

ـ نعم .. قد سيارتك يا رجل .

هتف (عدنان) :

ـ هل تعنى أنها ؟

قاطعه (هاشم) فى حزم :

ـ نعم يا صديقى .. سيارتك آمنة تمامًا .

وكأنما كان (عدنان) ينتظر هذا التصريح ، فقد قفز داخل السيارة ، وأدار محركها ، وزفر فى ارتياح ، ثم لوّح بيده لـ (هاشم) ، هاتفًا :

ـ شكرًا لك يا رجل .. شكرًا لك .

واندفع بدوره يتخذ مكانه فى حلبة السباق ، فى حين هتف مسئول السباق :

ـ ما معنى هذا ؟ هل أخطأت الفهم ؟

ابتسم (هاشم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ إلى حدٍّ ما .

ثم اتجه إلى المجرمين ، الضخم والنحيل ، وقال :

ـ إننى أعتذر .. لقد اتهمتكما بطريق الخطأ .

شعر مسئول السباق بالدهشة ، وتساءل عما يعنيه (هاشم) الذى أضاف بابتسامةٍ خبيثةٍ :

ـ وتعبيرًا عن اعتذارى ، سأقودكما بسيارتى إلى منزلكما .

عقد الضخم حاجبيه فى توترٍ ، فى حين قال النحيل فى حدةٍ :

ـ لا .. سنقودُ سيارتنا .

أمسك (هاشم) عنق النحيل ، وهو يقول فى صرامةٍ :

ـ بل سيارتى أنا يا رجل .. ستقود سيارتى أو لاشىء .

شحب وجه الرجل ، وارتبك مغمغمًا :

ليس من حقك أن ...

قاطعه (هاشم) فى حزم .

ـ بل ستقودها .

سأله مسئول السباق فى توترٍ :

ـ لماذا تصر أيها العربى ؟ من حق الرجل أن ...

قاطعه (هاشم) فى هدوءٍ :

ـ لقد وضعا القنبلة فى سيارتى أنا .

اتسعت عينا مسئول السباق فى دهشةٍ ، وهتف :

ـ سيارتك أنت ؟!

بدت المرارة على وجهى الرجلين ، ممتزجة بالحنق والهزيمة ، فى حين راح (هاشم) يستطرد :

صحيح أنها مصادفة عجيبة ، ولكن هذا ما حدث .. لقد تعرّفنى هذا النحيل ، عندما وصلت مع زميلى (يحيى) إلى حلبة

السباق ، فأمر رفيقه الضخم بوضع قنبلةٍ فى محرك سيارتى ، ولقد استمعت إليهما ، وهما يتحدثان عن هذا ، ولكننى لم أتصور أن تحيطنى العدالة الإلهية بكل هذه العناية ، بحيث أكشف جريمة تعدُ ضدى ، بمحض المصادفة .

بدا مسئول السباق شديد الدهشة ، وهو يهتف :

ـ ولكنها مصادفة مستحيلة !

أجابه (هاشم) :

ـ هذا صحيح ، ولكن النحيل كشف نفسه ، عندما تحدثَ إلىَّ بلهجةٍ تشف عن معرفته الكاملة بى ، على الرغم من أننى لم أقدم نفسى إلى أحدٍ ، وهنا انتبهت إلى أن هذا الأمر عجيب ، وأنها مصادفة مثيرة ، قادتنى بدورها إلى المصادفة الأخرى .

هتف المسئول :

ـ ولكن لماذا ؟ لماذا يسعون لقتلك ؟

اندفع النحيل يقول فى حدةٍ :

ـ نصف المنظمات الإجرامية ، فى (أوروبا) تسعى للقضاء على هذا العربى .. إنه داهية .. لقد حطم العشرات من أفضل رجالنا ..

هتفَ المسئول فى إعجاب وانبهارٍ :

ـ حقًا !! يا لك من رجلٍ !

ابتسم (هاشم) فى هدوءٍ ، وقال :

ـ إننى عربى يا رجل .. لا تنس هذا أبدًا .. إننى عربى .

قالها بكل الفخر ، وتلقاها الجميع بكل احترام ..

إنه عربى ..

وهذا يكفى ..

* * *

لم يكد (يحيى) يلمح زميله (هاشم) وهو يرتكن إلى مقدمة سيارته ، حتى أسرع إليه هاتفًا :

أين أنت يا رجل ؟ إننى أبحث عنك منذ نصف الساعة .. لقد بدأ السباق بالفعل ، و ...

قاطعه (هاشم) مبتسمًا :

ـ لن تصدق أبدًا ما حدث فى غيابك يا صديقى .

ضحك (يحيى) ، وقال :

ـ لا تقل لى : إنك قد وجدت قنبلة .

قهقه (هاشم) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ ولم لا يا صديقى ؟ ولم لا ؟

وجلجلت ضحكته مرة أخرى فى المكان ..

ضحكة صافية ..

وعربية ..

* * *

(تمت بحمد الله)

٣ ــ الزورق الضائع ..

أشرقت شمس ذلك اليوم ، من أيام الربيع ، لتبعث حرارتها ودفأها فى النفوس وتلقى أشعتها الساحرة على مبنى يحتل مساحة واسعة ، من منطقة السهول ، ويعلو إلى ارتفاع طابقين ، وقد بدا عند مدخله الشرقى رتل من السيارات ، تحمل كلها شعار إدارة الأمن ، العام وأحاط بها عدد من رجال الأمن ، يحملون أسلحتهم وأجهزة الاتصالات اللاسلكية الخاصة ، وهم يراقبون المنطقة فى حذر ، فى حين وقف قائدهم إلى جوار بوّابة المدخل ، عاقدًا حاجبيه ، ومغمغمًا فى حنق وخفوت :

ـ يا للسخافة !

ابتسم زميله الواقف إلى جواره ، والتفت إليه قائلاً فى هدوء :

ـ ما الذى يحنقك هكذا يا (هاشم) ؟

أجابه (هاشم همام) ، أشهر رجال الأمن فى المنطقة العربية :

ـ إنها تبدو لى مهمة تقليدية للغاية يا (يحيى) ، فكل المطلوب منا هو أن نرافق سيارة مركز بحوث البحار الخاصة وهى تحمل زورقًا صغيرًا ، يتسع لشخصين فحسب ، ويدّعى رجال المركز أن تكلفته تفوق تكلفة زورق طوربيد كامل .

ضحك (يحيى) وقال :

ـ وهل تبدو لك مهمة تقليدية ؟

الواقع أننى أراها مهمة بالغة الخطورة .

هزّ (هاشم) كتفيه ، وقال :

ـ أية خطورة فى مثل هذا ؟

إنها مجرّد عملية نقل .

أتى صوت من خلفه يقول :

ـ أنا أخبرك .

التفت مع (يحيى) إلى ذلك الرجل النحيل ، الباسم الثغر ، الذى تقدم إليهما ، مادًا كفه ؛ لمصافحتهما ، قائلاً :

ـ أنا الدكتور (فاضل حسين) .. رئيس مركز البحوث .

تمتم (هاشم) وهو يصافحه :

ـ وأنا (هاشم همام) .. رجل أمن .

ابتسم (يحيى) ، وهو يصافح الدكتور (فاضل) .

تحرّك (هاشم) جانبًا يتطلع ، مع باقى رجال الأمن ، إلى سيارة النقل الضخمة ، التى تحرّكت فى بطء خارج المركز ، بصندوقها الخلفى الطويل المغلق حتى أصبحت كلها خارج المكان ، فالتف حولها رجال الأمن ، فى حين قال الدكتور (فاضل) وهو يتجه إلى مؤخرة السيارة ؛ ويفتح باب صندوقها الخلفى :

ـ ها هى ذى تحفتنا .

تطلّع (هاشم) و (يحيى) فى اهتمام إلى الزورق الصغير ، البسيط المظهر ، الذى يستقر فوق قاعدة خاصة ، مثبتة إلى أرض الصندوق ، وبدت خيبة الأمل فى وجه (هاشم) وملامحه وهو يغمغم :

ـ أهذا هو مقاتلكم الأوّل ؟

ابتسم الدكتور (فاضل) ، وهو يقول :

ـ لا تحكم على الأمور بظواهرها أيها المفتش .. دعنا نصعد أوّلًا ، لنفحص مقاتلنا عن قرب .

صعد الثلاثة إلى داخل صندوق سيارة النقل ، وربّت الدكتور (فاضل) على الزورق الصغير فى رفق ، وكأنما هو كائن حى ، وهو يقول :

ـ هذا الصغير ، الذى يبدو عادى المظهر ، يملك محركًا بقوة ستة عشر حصانًا ، مزودًا بدافع نووى نفاث ، يُمكنه من الإنطلاق على سطح الماء بسرعة تفوق ضعفى سرعة الطوربيدات النووية الحديثة ، وهو مناورٌ بارعٌ ، إذ يمكنه تعديل مساره إلى زاوية تبلغ ٨٥° .. أى ما يقرب من الزاوية القائمة ، وهو مزود بمدفعىْ ليزر أماميين ، وآخر خلفى ، وسونار لسبر الأعماق ، ومدفع مضاد للطائرات و ..

قاطعه (هاشم) فى قلق :

ـ عجبًا .. وهل تكفى فرقة من رجال الأمن لحراسة ذلك الشىء ؟ إنه يبدو لى كسر حربى بالغ الخطورة ، ويحتاج إلى حماية لواء كامل من الجيش .

ضحك الدكتور (فاضل) ، وقال :

ـ ليس إلى هذا الحد ، صحيح أن هذا الزورق سر حربى خطير ، ولكن الحصول عليه يحتاج إلى عملية انتحارية عنيفة ، وهذا يستلزم فى البداية اختراق حدودنا ، وهو أمرٌ مستحيلٌ .

وعاد يربت على سطح الزورق ، مستطردًا :

ـ ثم إنَّ (المقاتل البحرى) شديد المناعة ..

واعتدل يسأل (هاشم) فى زهو :

ـ هل تحمل مدية ؟

تردّد (هاشم) لحظة ، ثم أجاب :

ـ أحمل واحدة سويسرية ، متعددة الاستعمالات .

قال الدكتور (فاضل) ، وهو يشير إلى الزورق :

ـ اطعن بها مقاتلنا .

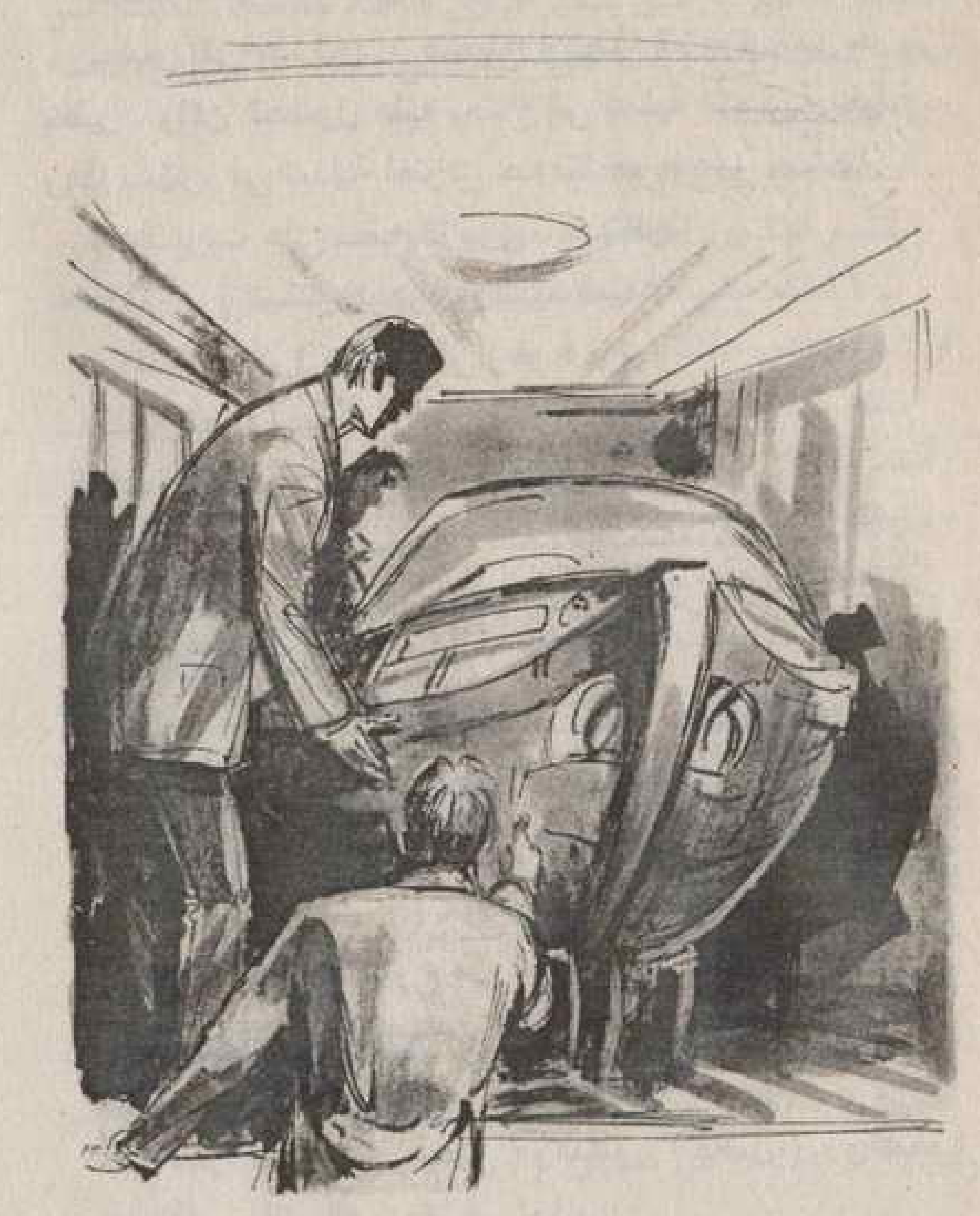
أخرج (هاشم) مديته فى شك ، وهوى بنصلها على سطح الزورق ، ولكن المدية انزلقت فى عنف ، وانغرست فى القاعدة التى تحمل الزورق دون أن تترك بالزورق نفسه أى خدش صغير ، فضحك (فاضل) ، وقال :

ـ أرأيت .. إنه مصنوع من مادةٍ شديدة الصلابة والصلادة .

تنهد (هاشم) وقال :

ـ إنه يبدو رائعًا بحق .

ثم غادر المكان مع (يحيى) والدكتور (فاضل) ، وغمغم ، وهذا الأخير يغلق الصندوق فى إحكام :



قال الدكتور (فاضل) ، وهو يشير إلى الزورق :
ـ اطعن بها مقاتلنا !

ـ ولكننى أصرّ على رأيى ، بشأن احتياجه للمزيد من الحماية .

ابتسم الدكتور (فاضل) وقال :

ـ اطمئن .

ثم أشار إلى سائق سيارة النقل الضخمة ، وهو يقول فى صوت مرتفع :

ـ هيا .. سنبدأ السير يا (كامل) .

واتجه إلى سيارة (هاشم) ، وهو يضيف :

ـ السائق شديد العصبية اليوم .. يبدو أن الجميع يشعر بالقلق مثلك يا رجل الأمن .

تمتم (هاشم) ، وهو يدير محرك سيارته :

ـ أتمنى هذا .

انطلق الموكب على نفس النحو المخطط مسبقًا بعشرة أمتار فالجميع يسيرون فى خط واحد كقطار بلا وحدات اتصال ..

وبدا الأمر هادئًا بسيطًا ، حتى إن (يحيى) قد غمغم مبتسمًا :

ـ يلوحَ لى أنها مهمة تقليدية بالفعل يا (هاشم) .. سنعبر هذا النفق ، ونقطع عشرةَ كيلومترات فحسب ، ثم نصل إلى الميناء الخاص بمركز أبحاث البحار ، حيث تتمِ تجربة القارب .

لم يعلق (هاشم) بحرف واحد ، ولكن شيئًا ما فى أعماقه كان يؤكد عكس ما يبدو ..

ربما هى غريزة المقاتل فى داخله ..

أو هو حدس نما مع الزمن والخبرة ..

المهم أنه ظل يشعر بالقلق ، والموكب يجتاز النفق ، حتى عبرت سيارة النقل مدخل النفق المظلم و ...

وفجأة دوى الانفجار ..

انفجار قوى عنيف ..

لم يدوّ داخل النفق ، وإنما خارجه ، على بعد أمتار من مدخله ..

وبحركة حادة عنيفة ، ضغط (هاشم) فرامل سيارته ، فتوقفت السيارة بغتة ، وكادت تنحرف فى حدة ، قبل أن يقفز هو منها ، صائحًا :

- أشهروا أسلحتكم .. فليستعد الجميع .

أوقف كل رجال الأمن سياراتهم ، وغادروها حاملين أسلحتهم ، وراحت عيونهم تجوب المكان فى حذر وتحفز ، قبل أن يقول (يحيى) فى حيرة :

- عجبًا !! لم يحدث شىء .

قال (هاشم) فى توتر :

- ماذا تعنى ؟ لقد حدث انفجار !

تمتم (يحيى) :

- أعنى أن الأمر اقتصر على هذا ! لقد كنت أتوقع هجومًا أو ..

لم يجد داعيًا لإتمام عبارته ، فأغلق شفتيه عليها ، وراح يتبادل مع الجميع نظرات حائرة ، قبل أن يلتفت (هاشم) فى حدة ، إلى حيث تقف سيارة النقل ، ثم يعقد حاجبيه ، متمتمًا فى صوت أقرب إلى الهمس :

- ولكن لماذا ؟

ران الصمت لحظات ، قبل أن يقول الدكتور (فاضل) فى عصبية واضطراب :

- أليس من الأفضل أن نبتعد عن هذا المكان ؟

بدا (هاشم) لحظة وكأنما لم يسمع عبارة الدكتور (فاضل) ، إلى أن برز وجه السائق (كامل) من نافذة سيارة النقل ، وهو يقول فى حدة وعصبية :

- هل سنبقى هنا إلى الأبد ؟

رمقه (هاشم) بنظرة نارية ، وهو يقول :

- لا .. سننطلق إلى الميناء .

عاود الموكب سيره ، وإن ملك التوتر حواس الجميع ، وبدا (هاشم) شديد الشرود ، حتى إن (يحيى) قد سأله فى قلق :

- هل يقلقك أمر الانفجار إلى هذا الحد ؟

أجابه فى ضيق :

- من الطبيعى أن يقلقنى .. خاصة مع نوع البضاعة ، التى نشرف على نقلها .

قال (يحيى) محاولاً تهدئته :

- لا بأس .. سينتهى القلق بعد قليل ، فلقد بلغنا الميناء .

عبر الموكب بوابة الميناء الخاص ، واتجه نحو رصيف التجارب ، حيث هبط الدكتور (فاضل) ، وقال لمسئول أمن الميناء :

- هل أعددتم كل شىء للتجربة ؟

أجابه مسئول الأمن فى حزم :

ـ كل شىء على أهبة الاستعداد يا سيدى .

اتجه الدكتور (فاضل) نحو مؤخرة سيارة النقل ، وهو يقول :

ـ على بركة الله .. فلنعمل على إنزال الزورق ، لبدء التجربة .

وأزاح رتاج الصندوق ، وفتح الباب و ...

وأطلق شهقة قوية ، كادت تسلب الروح من جسده ..

واتسعت عيون (هاشم) و (يحيى) فى ذهول ..

لقد كان الصندوق خاليًا ..

ولقد اختفى الزورق ..

تمامًا ..

* * *

مضت نصف دقيقة من الصمت والذهول ، قبل أن يهتف (هاشم) :

ـ مستحيل !

وبقفزة واحدة أصبح داخل صندوق السيارة ، وراح يتحسَّسُ قاعدة الزورق فى عصبية ودهشة ثم استطرد فى حدة :

ـ ولكن هذا مستحيل بالفعل .. لقد تحسَّستُه بنفسى .

هتف الدكتور (فاضل) وقد شحب وجهه ، حتى صار أشبه بوجوه الموتى :

ـ كيف .. كيف حدث هذا ؟ لقد سرنا خلف السيارة لحظة فلحظة !

قفز (هاشم) خارج السيارة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ وسنفحص تلك السيارة شبرًا شبرًا .

والتفت إلى (يحيى) مستطردًا :

ـ أرسل فى طلب رجال المعمل الجنائى ، وأقم حراسة حول هذه السيارة ، ولا تسمح لمخلوق واحد بالاقتراب منها حاليًا .

واندفع نحو كابينة السائق ، وفتحها فى عنف ، ليهتف بالسائق (كامل) :

ـ وأنت اخرج من هنا ، فستقصُ علىَّ تاريخ حياتك كله ، دون أن تهمل تفصيلاً واحدًا .

بدا الغضب على وجه السائق ، وهو يقول :

ـ ليس لك الحق فى أن تأمرنى بشىء .

قفز (هاشم) داخل الكابينة وانتزع (كامل) من مقعده ، ودفعه خارج السيارة فى عنفٍ ، وهو يقول :

ـ قلت لك اخرج .

لم يكد (كامل) يسقط أرضًا ، حتى هبَّ واقفًا على قدميه ، وانتزع من جانب السيارة قضيبًا حديديًّا صلبًا ، وهو يهتف :

ـ لا أحد يفعل هذا بـ (كامل) .

وهوى على رأس (هاشم) بالقضيب الحديدى ..

وبحركة بارعة رشيقة ، تفادى (هاشم) القضيب الحديدى ، وهو يقول :

ـ لن تفلح يا رجل .
ثم ارتفعت قدمه تركل القضيب بعيدًا ، وهو يستطرد :
ـ ضخام الحجم مثلك يصلحون لقتال الشوارع .
وقفزت قدمه الأخرى تركل وجه (كـامل) ، وتلقيـه أرضًا ، وهو يضيف فى حزم :
ـ ولكنهم لا يصلحون لقتال منظم مع محترف .
سقط (كامل) أرضًا ، وراح يسبُّ ساخطًا ، فى حين أسـرع (يحيى) نحو (هاشم) ، هاتفًا :
ـ كفـى يـا (هاشـم) .. إنـك تفـرغ غضبـك فـى السـائق بلا مبرر .
عقد (هاشم) حاجبيه ، وخفض قبضته إلى جواره ، وهـو يقول :
ـ أنت على حق .
نهض (كامل) وقال فى غضب :
ـ يبدو أن رجل الأمن يعجز عن فهم سر اختفـاء الـزورق ، ويحـاول مـداراة ذلـك بصراعـات جانبيـة ، يسـتعرض فيهـا عضلاته ، بدلًا من مخه .
ابتسم (هاشم) فى سخرية ، وهو يقول :
ـ هكذا ؟
ثم مال نحو (كامل) واستطرد :

ـ ما رأيك إذن فـى اختبـار عقلانـى بحت ، عندمـا أسـألك : كيف علمت أن الزورق قد اختفى ، وأنت لم تغادر كابينتك بعد ؟
ابتسم (كامل) فى سخرية مماثلة ، وقال :
ـ لقد سمعت الجلبة التى أحدثتموها ، عندما اكتشفتم ضيـاع الـزورق ، وتطلعت إلـى داخـل صنـدوق السيارة ، عبر نـافذة زجاجية صغيرة ، تربط كابينة القيادة بالصندوق .. هل يبدو لـك جوابى منطقيًّا ؟
اعتدل (هاشم) وهو يقول فى برود :
ـ بالتأكيد .
صاح به الدكتور (فاضل) فى ارتياع :
ـ المهم هو أين الزورق ؟ هل اختفى ؟ تبخر ؟
بدا (هاشم) شديد الضيق ، وهو يقول :
ـ لا .. لم يختف أو يتبخر .
هتف الدكتور (فاضل) منهارًا :
ـ أين ذهب إذن ؟
ران الصمت لحظات ، ثم قال (هاشم) فى حزم :
ـ هذا ما سنبحث عنه .
والتفت إلى (يحيى) يسأله :
ـ هل استدعيت رجال المعمل الجنائى ؟
أجابه :
ـ نعم .. وسيصلون بعد لحظات .

أشار إليه (هاشم) قائلاً :

ـ حسن .. هيًا بنا ، وسنترك السيارة فى حراسة رجالنا .

صاح بهما الدكتور (فاضل) ، وقد رآهما يتجهان إلى سيارتهما :

ـ إلى أين ؟

أجابه (هاشم) وهو يدير محرك سيارته :

ـ سنعيد فحص الطريق كله .

انطلق مع (يحيى) عائدين من نفس الطريق ، الذى اتخذته سيارة النقل ، وسأله (يحيى) ، والحيرة تملأ نفسه :

ـ ولكن كيف يمكن أن يختفى زورق هائل هكذا ؟ وأين ؟

أجابه (هاشم) فى حزم :

ـ لست أملك جواب الجزء الأوَّل من السؤال ، ولكننى أستطيع الإجابة على الجزء الثانى منه ، حسبما أظن .

استدار إليه (يحيى) ، وسأله فى لهفة :

ـ أين اختفى الزورق إذن ؟

أجابه فى لهجةٍ لا تقبل النقاش :

ـ عند النفق .. فى نفس الوقت الذى حدث فيه الانفجار تقريبًا .

سأله فى دهشة :

ـ ولماذا هذا الوقت بالتحديد ؟

أجابه بنفس اللهجة الواثقة :

ـ لأنها الفترة الوحيدة التى ابتعدت فيها أنظارنا عن السيارة ، ونحن نبحث عن سبب الانفجار .

هزَّ (يحيى) رأسه فى حيرة ، وقال :

ـ ولكن إخراج الزورق من السيارة ، والابتعاد به ، يحتاج إلى عدد من الرجال ، أو إلى رافعة كبيرة ، وإلى وقت كافٍ ، فى حين لم نتوقف نحن إلا لخمس دقائق أو أقل .

عقد (هاشم) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ هذا هو التفسير الوحيد .

تنهد (يحيى) ، وقال :

ـ يبدو لى ذلك تفسيرًا ناقصًا للغاية .

بلغا ذلك النفق ، الذى حدث عنده الانفجار ، فأوقف (هاشم) السيارة على جانب الطريق ، وقال وهو يغادرها :

ـ هيا .. سنفحص مسرح الجريمة .

تبعه (يحيى) إلى داخل النفق ، وتمتم وهو يعبره :

ـ يا إلهى ! إنه يبدو أكثر اتساعًا ، والمرء يعبره على قدميه .

قال (هاشم) فى هدوء :

ـ وهو مظلم أكثر من اللازم .

ورفع رأسه إلى سقفه ، مستطردًا :

ـ يبدو أن شيئًا ما يعطل كل مصابيحه .

هزَّ (يحيى) كتفيه ، وقال :

- كثيرًا ما يحدث هذا .

بدا له وكأن (هاشم) لم يستمع إلى عبارته الأخيرة ، وهو يتطلع إلى الأرض فى اهتمام شديد ، فسأله :

- هل عثرت على شىء ؟

أجابه (هاشم) :

- مطلقًا ..

وصمت لوهلةٍ ، ثم أضاف :

- وهذا ما يقلقنى .

ابتسم (يحيى) ، قائلاً :

- هل اعتدت العثور على شىء ما ، فى مسرح الجريمة حتمًا ؟

هزّ (هاشم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- ليس حتمًا ، ولكن هذا المكانِ نفق عام ، تعبره مئات السيارات ، ومن المثير للدهشة حقًا ألا تبدو فيه أى آثار إطاراتٍ حاليًا .

تطلّع (يحيى) إلى أرضية النفق فى حيرة ، وهو يقول :

- وما الذى يعنيه هذا ؟

اعتدل (هاشم) وارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- يعنى أن أحدًا قد محا كل الآثار لهدف ما .

وشرد ببصره لحظاتٍ، ثم التفت بغتةً إلى (يحيى) ، وسأله :

- قل لى يا (يحيى) : هل تعرف كيف يمارس السحرة ألعابهم على المسرح ؟

هزّ (يحيى) رأسه نفيًا . وغمغم فى حيرة :

- لا .. لست أعلم هذا ، ولكن ما علاقة السحرة والحواة بضياع الزورق ؟

ابتسم (هاشم) وهو يقول :

- علاقة وثيقة يا صديقى .. إن سارقى الزورق قد اتبعوا معنا نفس أسلوب السحرة والحواة .

بدا (يحيى) أكثر حيرة ، وهو يقول :

- الأمر يزداد غموضًا بالنسبة لى .

تزايد فرح (هاشم) وقال ملوحًا بكفه على نحو مسرحى :

- سأخبرك بكل شىء يا صديقى ، ولكن بعد أن أعثر على الدليل .

سأله (يحيى) فى اهتمام وفضول :

- وما الدليل الذى تتوقع العثور عليه ؟

رفع (هاشم) سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

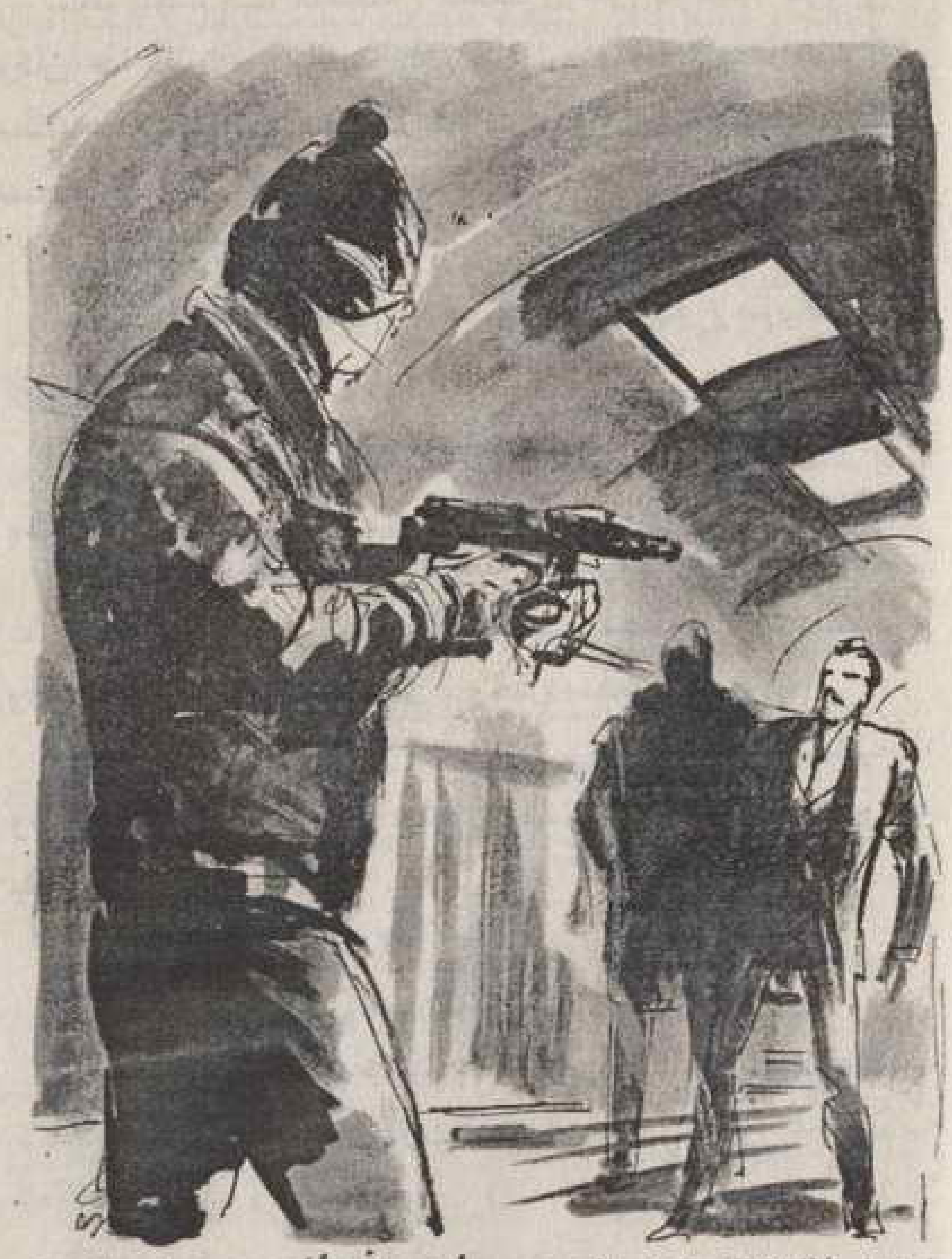
- طعنة قوية .

هتف (يحيى) فى دهشة :

- طعنة ماذا ؟

ثم هزّ رأسه مستطردًا :

لست أفهم شيئًا .



استدار الاثنان إلى مصدر الصوت ، ورأيا رجلاً مقنَّعًا ، يصوب إليهما فوهة مدفع رشاش ..

ومن نهاية الممر ، تعالى صوت يقول فى صرامة :

ـ أنا فهمت .

استدار الاثنان إلى مصدر الصوت ، ورأيا رجلاً مقنعًا ، يصوب إليهما فوهة مدفع رشاش ..

وانطلق ناقوس خاص فى رأس (هاشم) .. ناقوس الخطر .

★ ★ ★

مضت لحظات من الصمت التام ، زادت من رهبة وظلمة النفق الكبير ، و (هاشم) ، و (يحيى) يتطلعان إلى حامل المدفع الرشاش ، قبل أن يقول (هاشم) فى هدوء عجيب ، لم يكن يتناسب أبدًا مع الموقف :

ـ أهو اعتراف ؟

تطلع إليه (يحيى) فى دهشة من السؤال ، فى حين قال المقنع فى صرامة :

ـ بل هى خطوة مهمة ، للتخلص من نقطة الضعف الوحيدة فى الخطة .

وازداد صوته صرامة وحدة ، وهو يضيف :

ـ أنت .

ابتسم (هاشم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ أنا ؟ إنك تدفعنى إلى الغرور يا رجل .

أكمل المقنع ، وكأنما لم يسمع تعليق (هاشم) :

- كنا نعلم أنك الشخص المسئول عن حراسة الزورق ، وكان هذا هو الأمر الوحيد الذى يقلقنا ، ولقد أكد الزعيم أنك ستنتبه إلى خطتنا ، على الرغم من حبكتها وتعقيدها ، وأنك ستعود إلى هنا ، ولهذا انتظرناك .

كرَّر (هاشم) فى تساؤل :

- انتظرتمونى ؟ أهى صيغة جمع ، أم نوع من المبالغة اللغوية .

أتاه صوت من خلفه ، يقول فى برود :

- بل حقيقة .

التفت مع (يحيى) إلى مصدر الصوت ، ووقع بصراهما على رجل آخر ضخم الجثة ، يقف عند الجانب الآخر للنفق ، وقد أخفى وجهه بقناع مماثل ، وحمل مدفعًا آليًا بدوره ..

وشعر (يحيى) بالتوتر يسرى فى كل خلية من خلاياه ، وأدهشه أن يأتى صوت (هاشم) هادئا إلى هذا الحد ، وهو يقول :

- إذن فأنتما اثنان .. هذا عظيم .

ثم أضاف فى لهجةٍ تحمل الكثير من اللامبالاة :

- ويلوح لى أنكما أجنبيان .. أليس كذلك ؟ صحيح أنكما تتحدثان العربية جيدًا ، ولكن لكنتكما تختلف كثيرًا عن اللكنة العربية الأصيلة و ...

قاطعه الضخم من خلفه فى خشونة :

- هل ستستغرق محاضرتك وقتًا طويلاً ؟

أجابه (هاشم) فى لهجةٍ عجيبة ، حملت قدرًا هائلاً من البرودة المفاجئة :

- مطلقًا .

وفجأة قفزت يده إلى سترته ، هاتفًا :

- والآن يا (يحيى) .

وبسرعة البرق ، وقبل أن يستوعب خصماه الموقف ، انتزع (هاشم) مسدسه من جيب سترته ، وأطلق منه رصاصة نحو المقنع الذى يواجهه ، ثم دفع (يحيى) جانبًا ، وألقى نفسه أرضًا ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها المجرم الضخم الجثة :

- أيها الـ ...

اكتفى بتلك الكلمة المبتورة ، وضغط زناد مدفعه الآلى ..

وردَّد النفق صوت الرصاصات القاتلة ، ممتزجًا بدوى رصاصة واحدة ، وبصوت (هاشم) يهتف :

- الـ (ماذا) ؟

وكانت مفاجأة مذهلة للرجلين ..

لقد مرقت رصاصات الضخم فوق رأس (هاشم) و (يحيى) ، دون أن تصيب أحدهما ، وواصلت طريقها عبر النفق ، لتصيب المجرم الآخر فى ذراعه وكتفه ، فى حين أصابت رصاصتا (هاشم) هدفهما فى إحكام مذهل ..

والهدف نفسه كان مفاجئًا للمجرمين ..
لقد أصابت كل رصاصة مدفعًا آليًا ، وألقت به بعيدًا عن يد صاحبه ، دون أن تصيبه بسوء ..
ومع تلاشى صدى دوى الرصاصات ، كان الموقف قد اختلف ..
واتسعت عيون المجرمين فى ذهول ، عندما رأيا أمامهما (هاشم) و (يحيى) ، وقد نهضا واقفين ، وصوب كل منهما مسدسه إليهما ..
وفى سخرية ، قال (هاشم) :
ـ هل يدهشكما ما حدث ؟
لم يجب أى من المجرمين بلفظ واحد ، وإن ارتسم مزيج من الحنق والسخط على وجهيهما ، فأضاف (هاشم) فى صرامة :
ـ أظن أنه يمكننا الآن أن نناقش الأمور بوضوح أكثر :
ـ زمجر الضخم فى شراسة ، وهو يقول :
ـ لو أنك تتصورَّ أنك ستحصل منا على حرف واحد ، فأنت واهم .
ابتسم (هاشم) وقال :
ـ بل أنت الواهم يا رجل ، فلست أحتاج منكما إلا لمعلومة واحدة .
وانعقد حاجباه فى صرامة بالغة ، وهو يستطرد :
ـ اسم من يختفى خلف كل هذا ؟

هتف المجرم الآخر فى سخط ، وهو يمسك ذراعه المصابة :
ـ لن تحصل على حرف واحد .
قال (هاشم) فى حزم :
ـ فليكن .
سأله (يحيى) فى لهفة :
ـ هل توصلت إلى شىء ؟
ابتسم (هاشم) وقال :
بل أنت الذى فعل هذه المرة يا صديقى .
هتف (يحيى) فى دهشة :
ـ أنا ؟!
أجابه (هاشم) :
نعم يا صديقى العزيز .. ألم تقل إن النفق يبدو أكثر اتساعًا ؟
تضاعفت حيرة (يحيى) ، وهو يقول :
ـ وما الذى يعنيه هذا ؟
زمجر المجرم الضخم مرة أخرى ، وقال :
ـ يعنى أن هذا العربى يتصور نفسه ذكيًّا ، لمجرد أنه يمسك مسدسًا ، ويصوبه إلينا ، ونحن عزّل من السلاح .
ابتسم (هاشم) ، وهو يقول :
ـ هكذا ؟!
ثم التفت إلى (يحيى) ، وقال فى هدوء :
ـ أبق مسدسك مصوبًا إلى ذلك المجرم هناك ، وسأتحدث أنا إلى هذا الفيل .

وأعاد مسدسه إلى جيب سترته ، وهو يتجه إلى المجرم الضخم ، قائلاً :

- هأنذا دون سلاح .

كشّر الضخم عن أنيابه ، وهو يقول فى وحشية شامتة :

- من المؤكد أنك لن تندم على هذا الخطأ أيها العربى .

ثم انقض على (هاشم) ، مستطردًا فى شراسة :

- لأنك لن تبقى على قيد الحياة لتفعل .

كان بالغ الضخامة بحق ، حتى لقد بدا وكأنما يبلغ ضعف حجم (هاشم) وكانت انقضاضته على هذا الأخير تشبه انقضاضة دُب ضخم على غزال رشيق ..

ولكن متى كان الحجم هو الفيصل ، فى أى صراع ؟

لقد انقض الضخم على (هاشم) كالصاروخ ، وهوى على فكه بلكمة عنيفة قوية ، ولكن (هاشم) تفادى اللكمة فى رشاقة وهو يقول :

- أخطأت أيها المجرم .

ثم انزلق فى خفة وضم قبضتيه وهوى بهما على فك الضخم كالقنبلة مستطردًا :

- لقد نسيت أن الفيل هو الأكثر ضخامة .

ترنح الضخم ، من هول اللكمة ، وخيل إليه أن مطرقة من الصلب قد هوت على عنقه و (هاشم) يضيف :

- ولكن الأسد هو الملك بلا منازع .

ومن المؤكد أن الضخم قد شعر بندم شديد ، على تحديه لرجل العدالة العربى ؛ فقد انهالت عليه لكمات هذا الأخير فى سرعة ثم انتهى القتال فجأة ، وسمع الضخم صوت (هاشم) يقول بنفس الهدوء :

- هل رأيت ما يفعله العرب يا رجل ؟

ابتسم (يحيى) فى زهو ، فى حين قال (هاشم) ببساطة شديدة :

- هيا يا صديقى ، سنقيّد هذين ، ونصحبهما معنا إلى القاعدة ، فسيكون بيننا حديث طويل ، مع أحد الأفراد هناك .

كتم (يحيى) فضوله فى صعوبة ، وهو يقيد الرجلين ، ولكنه لم يكد ينطلق بالسيارة مع (هاشم) ، عائدين إلى القاعدة ، حتى سأله فى لهفةٍ :

- قل لى : كيف سرقا الزورق ؟

أجابه (هاشم) فى هدوء :

- لقد استخدما واحدة من أشهر وسائل الخداع ، فى عالم الحواة .

كان (يحيى) يستمع إليه فى لهفة شديدة ، ولكن (هاشم) بتر عبارته بغتة ، وهو يقول :

ها نحن قد وصلنا إلى القاعدة .

عبر (يحيى) بوابة القاعدة ، وهو يشعر بحنق ، لتوقف (هاشم) عن شرح الأمر ، فى حين حدّق الدكتور (فاضل)

وقائد القاعدة فى المجرمين ، وهتف الدكتور (فاضل) :

ـ من أين جئتما بهذين ؟

أجابه (هاشم) :

ـ إنها قصة طويلة ، سأخبرك بها ، بعد أن نستعيد الزورق .

هتف الدكتور (فاضل) :

ـ تستعيده ؟! هل تعنى أنك ؟

قاطعه (هاشم) فى حزم :

ـ نعم يا دكتور (فاضل) سنستعيده من سارقه .

سأله الدكتور (فاضل) :

ـ ومن سارقه ؟!

أشار (هاشم) إلى أحد الواقفين ، مجيبًا فى حزم صارم :

ـ هذا .

وكانت مفاجأة مدهشة ..

* * *

تطلعت العيون كلها إلى الرجل ، الذى اتهمه (هاشم) بالمشاركة فى سرقة الزورق الضائع ، وهتف الدكتور (فاضل) فى ذهول :

ـ (كامل) ؟! ولكن هذا مستحيل !

أما السائق (كامل) ، فقد اتسعت عيناه فى ذهول ، وراح يحدّق فى وجه (هاشم) لحظات ، قبل أن يصرخ فى توتر بالغ :

ـ هل جننت يا رجل ؟! كيف يمكننى أن أسرق زورقًا كاملًا ،

وأنا أسير وسط قافلة من رجال الأمن ، تحيط بى كجانبى شطيرة دسمة ؟! هل أخفيته فى جيبى ؟

ابتسم (هاشم) ، وقال فى ثقة :

ـ بل فعلت ما هو أكثر عبقرية يا فتىً .

ثم تجاهل (كامل) تمامًا ، واستدار إلى الآخرين ، الذين يتطلعون إليه فى مزيج من الدهشة والفضول ، واستطرد :

ـ هل تذكرون ذلك الانفجار الغامض ، الذى أوقف مسيرتنا عند النفق أيها السادة ؟ لقد أثار هذا الانفجار دهشتى وحيرتى للغاية ، لأنه جذب انتباهنا جميعًا إليه ، دون أن يسفر عن شىء ، كما تصورنا ، ولكن الواقع أن هذا الانفجار كان الوسيلة الفعلية لسرقة الزورق .

جف لعاب الدكتور (فاضل) ، من شدة الانفعال ، وهو يهتف :

ـ كيف ؟

وجه (هاشم) حديثه إليه قائلاً :

ـ حاول أن تسترجع ما حدث لحظتها يا سيدى ، وما يحدث عادة ، فى مثل هذه الظروف .. لقد أوقفنا القافلة على الفور ، وشهر الجميع أسلحتهم ، وراحوا يفحصون المنطقة كلها فى حذر وتحفز ، دون أن يخطر ببال أحدهم أن يلتفت إلى النفق نفسه ، حيث توقفت السيارة ، التى تحمل الزورق .

قال (كامل) فى حدة :

ـ ولكنكم كنتم تحرسون مدخلى النفق ، أليس كذلك ؟

تجاهله (هاشم) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ لم أنتبه إلى ذلك فى البداية ، حتى لاحظت ، عند إعادة فحص النفق ، أن مصابيح النفق كلها معطلة ، وأنه شديد الإظلام من الداخل ، لهذا السبب ، ثم اتضحت الصورة تمامًا ، عندما علق زميلى (يحيى) قائلاً إن النفق يبدو له أكثر اتساعًا .

كان (يحيى) نفسه هو أوّل من غمغم فى حيرة :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟

لوّح (هاشم) بذراعيه ، كما يفعل الحواة على المسرح ، وهو يقول :

ـ يعنى أن النفق لم يكن بنفس اتساعه ، عندما رأيناه لأوّل مرة يا صديقى ، وأننا كنا ضحية للعبة تشبه ألعاب الحواة ، ويطلق عليها المحترفون اسم (المسرح الأسود) .

ثم اعتدل ، وأضاف فى حزم :

ـ عندما دلف (كامل) بالسيارة إلى النفق ، تعمّد أن يسير إلى أقصى يمين النفق ، حتى دوّى الانفجار ، وابتعدت أنظارنا عن سيارته تمامًا ، وهنا أسرع رفاقه المختفون داخل النفق يسدلون ستارًا أسود على السيارة ، التى تحمل الزورق ، بحيث اختفت تمامًا داخل النفق المظلم ، فى نفس الوقت الذى رفعوا فيه ستارًا آخر عن سيارة مشابهة تمامًا ، كانت تختفى إلى أقصى يسار النفق ، وهى سيارة تطابق الأولى تمامًا ، فى اللون والهيئة والرقم ، وحتى فى رقم المحرك ، وداخلها توجد قاعدة للزورق ، ولكن بدون الزورق نفسه .

التفت (يحيى) يلقى نظرة على وجه (كامل) ورأى هذا الأخير شاحبًا فى شدة ، كما لو كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، وكان هذا ـ فى رأى (يحيى) ـ أبلغ دليل على صحة استنتاج (هاشم) ، الذى تابع بنفس الحزم :

ـ كل ما فعله (كامل) ـ حينذاك ـ هو أن قفز من كابينة السيارة الحقيقية ، وأسرع يحتل مقعد القيادة ، فى كابينة السيارة الأخرى ، ثم يلوح بذراعه ، متظاهرًا بالسخط لتعطل مسيرة القافلة ، وعندما انطلقنا لنكمل المسيرة ، كان القلق والحذر يلازماننا ، بسبب الانفجار وغموضه ، فلم ننتبه إلى أن السيارة قد انتقلت من اليمين إلى اليسار ، أو إلى أن النفق أضيق من المعتاد ، ولكن الصورة انطبعت فى العقل الباطن لـ (يحيى) ، وبرزت على هيئة تعليق بسيط ، عندما شاهد النفق للمرة الثانية .

بدا (كامل) شديد الشحوب بالفعل ، إلاّ أنّ هذا لم يمنعه من أن يغمغم :

ـ كل هذا مجرّد استنتاج محض .. ليس لديك دليل واحد .

أشار (هاشم) إلى المجرمين ، اللذين حاولا قتله و (يحيى) فى النفق ، وقال :

ـ وماذا عن هذين ؟ ألا تعد محاولتهما للتخلص منا (يحيى) وأنا ، فى أثناء فحصنا للنفق دليلاً ؟

قال (كامل) فى لهجة بدت شديدة الوحشية :

ـ إنها لا تعدُ كذلك بالتأكيد ، فمن أدراك أن محاولتهما تمّت

لاختفاء الزورق بأية صلة ؟ إنك رجل أمن شهير ، ألقيت بالعديدين وراء القضبان ، ومن المحتمل أن أحد أعدائك قد استأجرهما لقتلك .

تطلع (هاشم) إلى عينى (كامل) مباشرة ، وهو يقول :

- إذن فأنت تنشد دليلاً ماديًا واضحًا .

أجابه (كامل) فى حدة :

- مادى وملموس .

أدرك (يحيى) على الفور أن (هاشمًا) لا يفتقر إلى الدليل المنشود ، عندما افترَّ ثغر هذا الأخير عن ابتسامة واثقة ، وهو يقول :

- وهو كذلك .

ثم التفت (هاشم) إلى الدكتور (فاضل) ، وسأله :

- قل لى يا دكتور (فاضل) : هل تذكر ذلك الاختبار ، الذى طلبت منى اختبار صلابة الزورق بوساطته ؟

أومأ الدكتور (فاضل) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالتأكيد ، لقد طلبت منك أن تطعن سطح الزورق بمديتك .

سأله (هاشم) فى سرعة :

- وماذا حدث عندئذٍ ؟

قال الدكتور (فاضل) فى حيرة :

- لم يصب الزورق بخدش واحدٍ ، وسقطت المدية لتنغرس فى ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وكأنما أدرك ما يقصده (هاشم) ، الذى ابتسم مكملاً :

- لتنغرس فى قاعدة الزورق يا دكتور (فاضل) .. هذا ما حدث بالفعل ، بشهادتك وشهادة زميلى (يحيى) ، وكان المفترض أن يترك نصل المدية أثره فى قاعدة الزورق ، فى السيارة الأصلية .

ثم أشار إلى السيارة التى تقف فى الميناء ، مستطردًا :

- ولكن هذا الأثر لا يوجد فى تلك السيارة .

شحب وجه (كامل) وتراجع مغمغمًا :

- مستحيل !! أنت داهية !!

ثم استدار فجأة ، وقفز داخل كابينة السيارة الضخمة ، صارخًا :

- ولكنك لن تظفر بى أبدًا .

انطلقت السيارة الكبيرة كفيل هائج ، وصاح (هاشم) ، وهو يقفز متعلقًا بصندوقها الخلفى :

- أغلقوا الأبواب كلها .

ألقى مسئول الأمن بالميناء أوامره إلى حراس الأبواب بإغلاقها ، ولكن (كامل) ضغط دواسة الوقود بأقصى قواه ، وهو يصرخ :

- لن توقفنى تلك الأبواب .

ارتطم بالبوابة المعدنية ، وانتزعها من موضعها فى قوة ، وانطلق بعيدًا عن الميناء ، وهو يصرخ :

- لقد أفسد ذلك الرجل العملية كلها .. يا للخسارة !

اتسعت عيناه فجأة فى ذهول ، عندما رأى (هاشم) يقفز من فوق السيارة ، عبر النافذة ، إلى داخل الكابينة ، وهو يقول :

- يسعدنى أن تخسر لعبتك يا رجل .

وقبل أن يفيق (كامل) من أثر المفاجأة، كانت قبضة (هاشم) تهوى على فكه كالقنبلة، وتلقى به فى غيبوبة عميقة، قبل أن يدفع (هاشم) قدمه إلى كابح السيارة، ويضغطه فى خفة، ممسكا بعجلة القيادة فى قوةٍ، حتى توقفت السيارة إلى جانب الطريق، وابتسم (هاشم)، قائلاً:

ـ لقد خسرت اللعبة يا رجل .. خسرتها تمامًا ..

★ ★ ★

ابتسم (يحيى) فى إعجاب، وهو يجلس إلى جوار (هاشم)، فى حجرة مسئول أمن الميناء، قائلاً:

ـ لقد أدلى باعترافٍ تفصيلى، وأرشدنا إلى موضع السيارة الحقيقية، ونجح رجال الأمن فى العثور عليها، وإلقاء القبض على شركاء هذا المجرم. أما عن (كامل) الحقيقى، الذى انتحل هذا الرجل شخصيته، فقد عثروا عليه مخدرًا فى وكر العصابة.

قال الدكتور (فاضل) مبهورًا:

ـ مازلت أرتجف انفعالاً، كلما تصورت أننا كنا سنفقد زورقنا الجديد، الذى بذلنا فى إنتاجه كل هذا الجهد، لولا أن وهبك الله (سبحانه وتعالى) تلك الموهبة الفذة يا (هاشم).

ربَّت (يحيى) على كتف (هاشم)، وقال فى فخر:

ـ إنه ليس مجرَّد رجل عادى يا سيدى .. إنه رجل العدالة .. كل العدالة ..

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

٤ ـ الدليل ..

لم يشعر (هاشم همام)، أشهر رجال الأمن فى الشرق الأوسط بالحيرة فى حياته كلها، مثلما شعر بها فى ذلك اليوم، من أيام الشتاء الشديدة البرودة، عندما استدعاه رئيسه المباشر، المفتش (أدهم) إلى مكتبه، وسأله فى صرامة عجيبة:

ـ قل لى يا (هاشم): هل تعتقد أنك رجل أمن ناجح؟

لم يفهم (هاشم) سر هذا السؤال، إلا أنه أجاب فى هدوء، حاول به إخفاء ذلك التوتر الغامض، الذى قفز من أعماقه إلى رأسه:

ـ نعم يا سيدى .. أظن أننى رجل أمن ناجح.

مال المفتش (أدهم) نحوه، وسأله فى حدة مباغتة:

ـ وما دليلك على هذا؟

كان هذا السؤال أكثر مدعاة للدهشة من سابقه، فتاريخ (هاشم) العملى معروف، لكل رجل يعمل فى مجال الحفاظ على الأمن، فى المنطقة العربية كلها، وخصوصًا لرئيسه المفتش (أدهم)، على الرغم من أنه لم يتسلم عمله فى دائرة الأمن، التى يعمل بها (هاشم) إلا منذ أشهر محدودة، وعلى الرغم من دهشة (هاشم)، فقد أجاب عن السؤال الثانى بنفس الهدوء الظاهرى:

- أعتقد أن ملفى هنا يحمل أدلة كافية يا سيدى .

ظل المفتش (أدهم) يتطلع إليه لحظة أخرى فى صمت تام ، بوجه خالٍ من أية تعبيرات ، قبل أن يتراجع ليجلس مسترخيًا فى مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه مغمغمًا :

- إجابة جيدة .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، جعل (هاشمًا) يكرر سؤاله ، فى أعماق نفسه ، عما يعنيه كل هذا ، قبل أن يستطرد المفتش (أدهم) فى اهتمام بالغ :

- يبدو لى إذن أنك أصلح رجل لهذه المهمة يا (هاشم) .

سأله (هاشم) وقد انتقل الاهتمام إليه :

- أية مهمة يا سيدى ؟

هزَّ المفتش (أدهم) رأسه ، على نحو يوحى بالأسف ، ثم واجه (هاشم) قائلاً :

- وصلنى تقرير صباح اليوم ، من إدارة الأمن العليا ، يقول إن بعض المعلومات المهمة تتسرب من إدارتنا إلى بعض عصابات المجرمين ، لتنقل إليهم مواعيد حملاتنا ، وتفاصيل خططنا ، بحيث تتمكن تلك العصابات من اتخاذ الاحتياطات اللازمة أو تغيير مواعيد عملياتها ، فلا يسقط أحد أفرادها فى أيدينا ، ولا تنجح محاولاتنا أبدًا فى الإيقاع بها .

هتف (هاشم) :

- ولكنه أمر بالغ الخطورة يا سيدى ، فهو يعنى أن أحد رجالنا عميل لتلك العصابات .

لوح المفتش (أدهم) بسبَّابته ، قائلاً :

- هذا صحيح .

ثم مال نحو (هاشم) مرة أخرى ، مردفًا فى حزم :

- وأنا أملك بعض الشبهات .

وعاد يتراجع مع تنهيدة كبيرة ، مستطردًا :

- ولكن بلا دليل .

أجابه (هاشم) فى حماس :

- من الممكن الحصول على الدليل اللازم يا سيدى ، لو راقبنا المشتبه فيهم ، أو أعددنا خطة للإيقاع بهم .

كرر المفتش (أدهم) :

- هذا صحيح .

ثم أشار إلى (هاشم) مستطردًا فى حزم :

- وهذه هى مهمتك يا (هاشم) .. سأكلفك رسميًّا بوضع خطة لمحاصرة إحدى هذه العصابات ، وسيكون عليك أن تختار معاونيك ، وعليك عندئذ أن تختار المشتبه فيهم الثلاثة لمعاونتك ، وبعدها ستخبر كلاً منهم عن موعد مختلف ، للهجوم على العصابة ، واقتحام وكرها ، وعندما يبلغ العميل العصابة عن موعد اقتحام الوكر ، ستخلى العصابة وكرها بالتأكيد ، فى الموعد الذى يحدده لها العميل ، وهكذا سنعرف أى الرجال الثلاثة يخوننا ، بمراقبة وكر العصابة ، ومعرفة الموعد الذى اختاروه للاختفاء .

أومأ (هاشم) برأسه وهو يقول :

ـ خطة بسيطة وجيدة يا سيدى .

عاد المفتش (أدهم) يلوح بسبَّابته فى وجه (هاشم) ، قائلاً :

ـ وستطلعنا على كل خطواتك .

قال (هاشم) فى حماس :

ـ بالطبع يا سيدى .. والآن من هم المشتبه فيهم الثلاثة ؟

ناوله المفتش (أدهم) ثلاث صور فوتوجرافية ، وهو يقول :

ها هم أولاء .. المفتش (حازم) ، والمفتش (قدرى) ، والمفتش (أكرم) .

ثم وضع يده على كتفه ، وقال فى صوت عميق :

ـ إننا نعتمد عليك تمامًا يا (هاشم) .

اعتدل (هاشم) ، وقال فى حسم واثق :

ـ اطمئن يا سيدى .. إننى واثق من أن الله (سبحانه وتعالى) سيرشدنى إلى الحقيقة .. اطمئن يا سيدى .

* * *

تطلَّع (هاشم) طويلاً إلى وجوه مفتشى الأمن الثلاثة ، وكأنما يحاول أن يستشف من وجوههم طبيعة كل منهم ، قبل أن يقول فى هدوء ، يخفى كالعادة ما يدور فى أعماقه من أفكار ومشاعر :

ـ هذه هى خطتى بكل بساطة أيها السادة ، فسنقتحم وكر العصابة على نحو مباشر ومباغت ، بحيث لا نسمح لأى من أفرادها بالفرار .

أومأ (أكرم) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ خطة رائعة .

واكتفى (قدرى) بهزّ كتفيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين قال (حازم) فى اهتمام شديد :

ـ المهم ما موعد ذلك الاقتحام ؟

التفت إليه (هاشم) يتطلع إليه فى إمعان ، قبل أن يجيبه :

ـ الواقع أننى لم أحدد الموعد بعد ، ولكننى سأخبركم به حتمًا ، عندما يستقر رأيى .

بدت خيبة الأمل على وجه (حازم) فى حين غمغم (قدرى) فى برود :

ـ لا بأس .. سننتظر .

اتجه الثلاثة إلى الباب ، للعودة إلى مكاتبهم ، فاستوقف (هاشم) (أكرم) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ انتظر قليلاً يا (أكرم) فلى حديث معك .

انصرف (قدرى) و (حازم) وتركا أكرم خلفهما ، وأشار إليه (هاشم) ، قائلاً :

ـ تعال يا (أكرم) فلدى سرٌّ ، أحب أن تشاركنى إياه .

اقترب منه (أكرم) فى حيرة ، فمال (هاشم) على أذنه ، قائلاً :

سنقتحم وكر العصابة فى تمام الثامنة ، من صباح الغد .

سأله (أكرم) فى دهشة :

ـ ولماذا لم تخبرنا جميعًا بهذا يا سيدى ؟

أجابه (هاشم) :

ـ لدى أسباب تجعلنى أفضل الحفاظ بالموعد سرًا ، بحيث لا يعلمه سواى وأنت ، فلا تخبر (حازم) أو (قدرى) ، فالأفضل أن يعلما فى اللحظة الأخيرة .

اعتدل (أكرم) ، وتطلع لحظة إلى (هاشم) ، ثم قال :

ـ كما تأمر يا سيدى .

ثم انصرف من حجرة (هاشم) ، وهو يقول لنفسه فى قلق :

ـ تُرى أية خطة تلعبها يا سيادة المفتش ؟!

أية خطة ؟!

★ ★ ★

استمع المفتش (أدهم) إلى (هاشم) فى اهتمام ، ثم فرك كفه فى عصبية ، قائلاً :

ـ رائع يا (هاشم) .. إذن فقد أخبرت (حازم) أن الموعد هو الثالثة عصر الغد ، وأخبرت (قدرى) أنه منتصف الليلة ، و (أكرم) يعلم أنه فى الثامنة من صباح الغد .. هذا يعنى أننا نستطيع ـ فى بساطة ـ معرفة عميل العصابة الحقيقى .

أجابه (هاشم) :

ـ نعم يا سيدى .. ويمكننا على الأقل استبعاد أحد الثلاثة

الليلة ، عند منتصف الليل ، أو نلقى القبض على (قدرى) .

أومأ المفتش (أدهم) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .

قال (هاشم) فى حماس :

ـ وعندما نلقى القبض على عميل العصابة ، سآتى به إليك يا سيدى ، والأغلال تحيط معصميه ، و ...

قاطعه المفتش (أدهم) فى صرامة ، تحمل شيئًا من الغضب :

ـ ليتك لا تفعل يا (هاشم) .

تطلع إليه (هاشم) فى دهشة ، فأضاف فى غضب واضح :

إذا ما ألقيت القبض على العميل ، فأفضل ما تفعله هو أن ...

صمت لحظة ، قبل أن يضيف فى غضبٍ أشد :

ـ أن تقتله .

وكان قرارًا مخيفًا .

حدَق (هاشم) فى وجه المفتش (أدهم) فى دهشة ، وخيل إليه أنه يلمَح شيطان الغضب نفسه فى عينى رئيسه المباشر ، وهو يطالبه بقتل العميل ، فور الإيقاع به ، فهز رأسه مستنكرًا ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيدى .. إننا رجال أمن ، ولسنا جيشًا من القتلة المحترفين ، وقانوننا يقول إن المتهم ، أى متهم له الحق فى محاكمة عادلة و ...

قاطعه المفتش (أدهم) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

- كفى يا (هاشم) .. إننى أكره المحاضرات الفلسفية .

وحمل صوته الكثير من الغضب ، وهو يستطرد :

- ثم إن هذا ليس أمرًا ، وإنما عبارة أملاها الغضب .

أومأ (هاشم) برأسه ، مغمغمًا :

- لا بأس يا سيدى .. كان ينبغى أن أدرك هذا .

ثم اعتدل مستطردًا :

- والآن اسمح لى بالانصراف يا سيدى ، فأنا أحب أن أتابع خطتى لحظة فلحظة .

أجابه المفتش (أدهم) فى ضيق :

- فليكن ، ولكن تذكر أن تخبرنى بكل ما يستجد ، أولاً فأولاً .

قال (هاشم) فى حسم :

- بالتأكيد يا سيدى .

وعندما غادر الحجرة ، كان القلق يملأ نفسه ، وهو يردِّد :

- يبدو أنها لن تكون قضية بسيطة .. بلْ معركة .. معركة شرسة .

★ ★ ★

جلس المفتش (قدرى) فى حجرة مكتبه صامتًا ، عاقدًا حاجبيه ، يفكر فى كل ما حدث منذ الصباح ..

كان من الواضح أن (هاشم) يلعب لعبة ما ، فليس من

الطبيعى أن يعد خطة محكمة ، لاقتحام وكر إحدى العصابات ، ويصر على اختيار أكبر ثلاثة مفتشين فى الإدارة لمعاونته ، وبعدها يخبره هو بالذات بموعد الاقتحام ، ويطالبه بعدم إخبار زميليه به ..

لماذا يطالبه بهذا ؟

بل لماذا يفعل كل هذا ؟

لم يهدأ عقل (قدرى) أبدًا ، ولم يبلغ جوابًا شافيًا ، ممَّا جعله يقول فى سخطٍ :

- ولكنَّ هناك سرًّا غامضًا حتمًا ، وليُقطع ذراعى لو لم يكن الأمر كذلك .

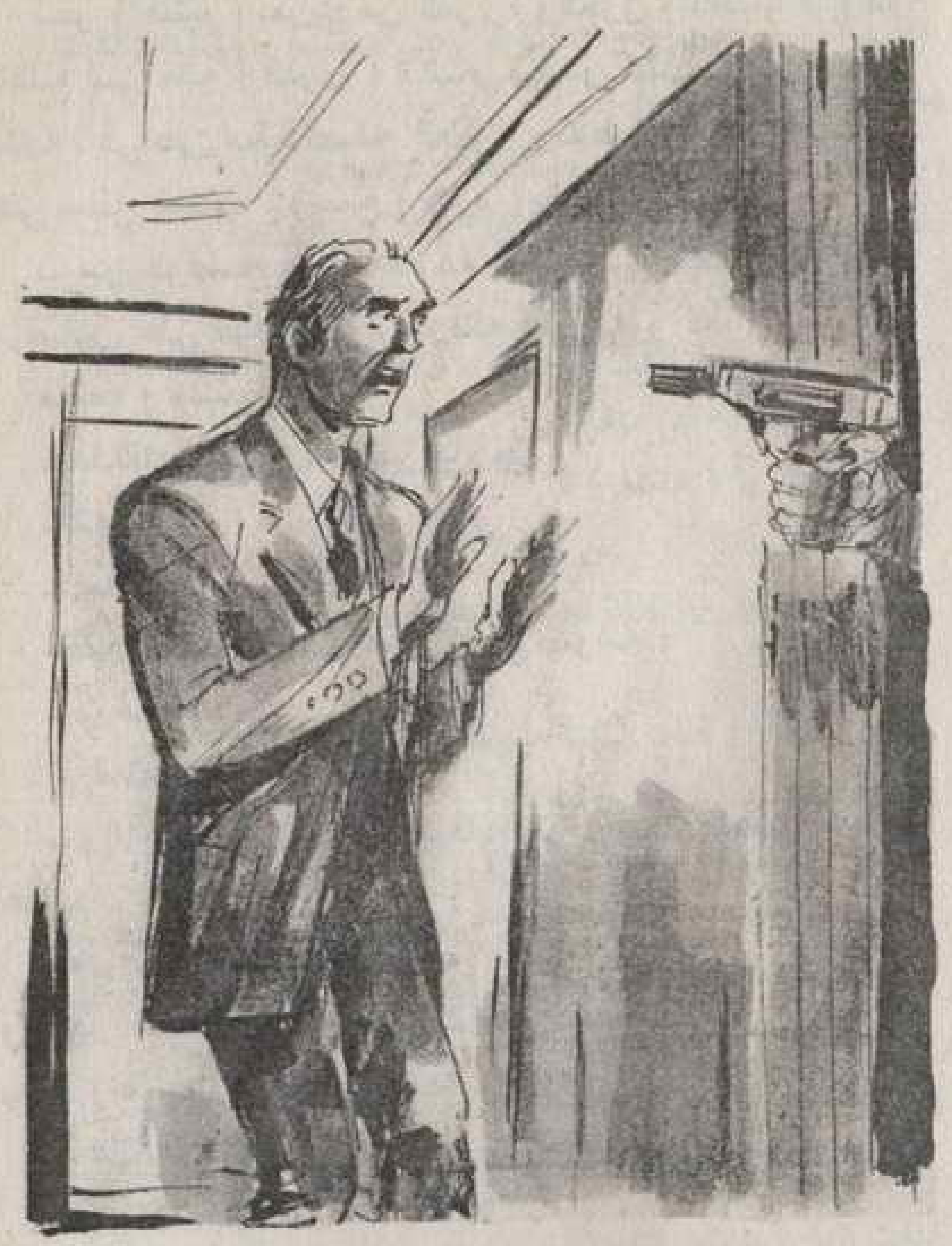
نهض من خلف مكتبه فى توتر ، وغادر الحجرة كلها فى عصبية بعد أن أطفأ المدفأة ، قائلاً :

- أظننى أحتاج إلى بعض الهدوء ، لأستعيد قدرتى على التفكير الهادئ المنتظم .

اندفع عبر الممر الطويل الصمت ، الذى يضم حجرات مفتشى الأمن ، وهو يشعر بنيران تستعر فى عقله وأعصابه ، ثم تعثر فى رباط حذائه ، فهتف فى حنق :

- ألم تجد سوى هذه اللحظة ، لتفقد ترابطك ، أيها الرباط السخيف ؟

توقف عند باب إحدى الحجرات ، وانحنى ليعقد رباط حذائه ، عندما تناهى إلى مسامعه صوت ضحكة ساخرة ، أعقبه صوت يقول :



ولكن فجأة رفع صاحب الحجرة مسدسه فى وجه (قدرى) ، وهو يقول فى سخرية :- هل تظن هذا ؟

ـ نعم .. لقد وضع (هاشم) خطة يظنها عبقرية ، ولن يدرك أبدًا أنه بصدد أول فشل فى حياته كلها .

اعتدل (قدرى) فى حركة حادة ، وألصق أذنه بالباب ، وسمع صاحب الصوت يستطرد :

ـ بالطبع سأخبركم بموعد اقتحام وكركم ، فأنا أحرص الناس على نجاتكم ، وعلى فشل خطة هذا المغرور (هاشم همام) ، و ...

وهنا لم يستطع (قدرى) مقاومة غضبه ، فدفع الباب فى عنف ، واقتحم حجرة المتحدث ، هاتفًا :

ـ لقد كشفت أمرك .

حدق صاحب الحجرة فى وجهه بدهشة ، ثم أعاد سماعة الهاتف إلى موضعها فى بطء ، وهو يقول فى غضب مصطنع :

ـ أى قول سخيف هذا يا (قدرى) ؟

كيف تجرؤ على اقتحام حجرتى هكذا ؟ و ...

قاطعه (قدرى) فى غضب :

ـ لا تحاول أيها الخائن .. لقد سمعت كل حرف نطقت به ، وأقسم أن ألقى بك بنفسى خلف القضبان .

ولكن فجأة رفع صاحب الحجرة مسدسه فى وجه (قدرى) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ هل تظن هذا ؟

وكان من الواضح أن (قدرى) قد خسر الجولة ...

وخسر حياته أيضًا ..

★ ★ ★

شعر (هاشم) بمزيج من المرارة والحزن والغضب ، وهو يتطلع إلى جثة (قدرى) ، الذى يجلس على مقعده خلف مكتبه ، فى حين سقط نصفه العلوى وسط بركةٍ من الدماء ، على سطح المكتب ، وسمع (حازم) يقول :

ـ من الواضح أن أحدهم قد فاجأه فى مكتبه ، وأطلق الرصاص على قلبه مباشرة ، وقتله على الفور .

قاطعه (هاشم) :

ـ أخالفك فى الجزء الأخير يا رجل .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

ـ لماذا ؟

عقد (هاشم) حاجبيه ، وقال فى صرامة :

لدى أسبابى .

ثم استطرد بلهجة آمرة :

ـ والآن سنخلى المكان جميعًا ، ليتولى رجال المعمل الجنائى عملهم .

غادر حجرة مكتب (قدرى) ، مع (حازم) و (أكرم) ، ووجدوا المفتش (أدهم) ينتظرهم عند باب حجرته ، وهو يسأل (هاشم) فى عصبية :

ـ هل عثرتم على دليل ؟ إننى لا أجرؤ على دخول الحجرة .

قال (هاشم) :

ـ تقريبًا .

تطلع إليه (أكرم) و (حازم) فى دهشة ، ولكنه التفت إليهما ، قائلاً :

ـ اذهبا إلى حجرتيكما ، وسنلتقى بعد ساعة .

أطاعاه فى حيرة وقلق ، فى حين قال هو لرئيسه :

ـ لدى ما أخبرك به يا سيدى .

دعاه رئيسه إلى دخول حجرته ، وأغلق الباب خلفهما فى إحكام ، وهو يسأله فى لهفة :

ـ ماذا لديك يا (هاشم) ؟

أطلق (هاشم) زفرة من أعماق قلبه ، وقال :

ـ أظن أن (قدرى) قد تعرف العميل ، وأن هذا الأخير هو قاتله .

جلس (أدهم) خلف مكتبه ، وسأله فى اهتمام :

ولماذا تظن هذا ؟

أجابه (هاشم) ، وهو يتحرك فى الحجرة متوترًا :

ـ أنت تعلم مثلى أن (قدرى) يحتفظ فى حجرته بمدفأة كهربية عتيقة ، يصر على استخدامها فى الأيام الباردة ، بحيث تعمل طيلة وجوده فى مكتبه .

قال المفتش (أدهم) :

ـ كلنا نعلم هذا .

التفت إليه (هاشم) ، وقال :

ـ هذه المدفأة لم تكن تعمل ، عندما كشفنا جثة (قدرى) .

عقد المفتش (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله فى حذر :

- وما الذى يعنيه هذا :

أجابه (هاشم) :

- يعنى أنَّ (قدرى) لم يكن فى مكتبه ، عندما التقى بقاتله ، وإلاّ لكانت المدفأة تعمل ، فلقد كان (قدرى) يعانى من آلام فى عظامه ، تجعله لا يحتمل ذلك الجو البارد ، الذى يسود مكتبه ، عند إطفاء المدفأة ، ولهذا يبدو لى من الواضح أن القاتل قد أجبر (قدرى) على العودة إلى مكتبه ، ثم أجلسه على مقعده ، وأطلق النار عليه ، من مسدسٍ مزود بكاتم للصوت .

سأله المفتش (أدهم) فى توتر :

- ولماذا يفعل به القاتل هذا ؟

لوَّح (هاشم) بكفه ، قائلاً :

- ربما لأن (قدرى) كشف أمره بوسيلة ما ، فلم يكن أمام القاتل سوى التخلص منه .

ازداد انعقاد حاجبى المفتش (أدهم) ، وهو يقول :

- فكرة معقولة ، ولكنها لا تصلح كدليل إدانة .

قاطعه (هاشم) :

- ليس هذا هو الدليل الوحيد .

رفع المفتش (أدهم) عينيه إليه ، قائلاً فى دهشة :

- هل هناك دليل آخر ؟

أجابه (هاشم) فى حزم :

- نعم .. يوجد دليل بالغ الأهمية ، تركه (قدرى) نفسه .

ثم مال نحو (أدهم) ، مستطردًا :

- دليل يكشف أمر العميل القاتل .

واتسعت عينا المفتش (أدهم) فى ذهول .

كان تصريح (هاشم) بالغ الخطورة ، إذ يحمل فى طياته حسمًا للقضية ، وكشفًا للعميل الغامض ، حتى إن رئيسه المفتش (أدهم) لم يتمالك نفسه ، وهو يهتف :

- هل كشف أمر العميل حقًا ؟ ولكن كيف ؟ كيف يترك دليلاً خلفه ، وقد صرعته رصاصة القاتل على الفور ؟!

أجابه (هاشم) :

- هذا ما تصوره القاتل ، وهو يغادر حجرة (قدرى) ، بعد أن أطلق رصاصته عليه ، ولكن الواقع أن (قدرى) بقى على قيد الحياة لحظة أخرى ، أراد فيها أن يترك دليلاً يشير إلى قاتله ، فغمس سبَّابته فى دمه ، وخط بها حرفًا ، أو رقمًا يشير إلى العميل .

عقد المفتش (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

- ولكن كيف فعلها ؟ كيف أمكنه رفع يده إلى ما فوق المكتب ؟

أجابه (هاشم) فى حزم :

- إنها إرادة الحياة يا سيدى ، والرغبة القوية للقتيل ، فى الانتقام من قاتله .

بقى المفتش (أدهم) صامتًا لحظات ، قبل أن يقول :

ـ نعم .. ربما حدث هذا .

ثم سأل (هاشم) فى اهتمام بالغ :

ـ وما هو ذلك الحرف ، الذى تركه خلفه ؟

أشار (هاشم) بسبَّابته ، وهو يقول :

ـ لقد ترك خطًا رأسيًا ، أظنه حرف (الألف) الذى كان يستعد بكتابته إلى كتابة اسم (أكرم) .

قال المفتش (أدهم) :

ـ (أكرم) ؟ هذا يعنى أن (أكرم) هو العميل .

ثم رفع رأسه بغتة ، مستطردًا :

ـ ولكن هل وضع الهمزة فوق حرف (الألف) ؟

قال (هاشم) :

ـ وهل يصنع ذلك فارقًا كبيرًا ، بالنسبة لرجل يحتضر ؟

أجابه (أدهم) فى حماس :

ـ ليس بالنسبة إليه ، بل بالنسبة لنا ، فلو وضع الهمزة ، فسيعنى هذا أنه يقصد (أكرم) حتمًا ، أما لو لم يفعل ، فربما يقصد كتابة الرقم (واحد) ، وهو رقم حجرة (حازم) ، فى هذا الممر .

عقد (هاشم) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ نعم .. هذا ممكن .

ثم هزَّ رأسه ، مستطردًا :

ـ والواقع أنه لم يضع الهمزة فوق الحرف .

قال المفتش (أدهم) فى حسم :

ـ فى هذه الحالة أظنه كان يقصد الرقم (واحد) ، فهذا الأسرع بالنسبة لرجل يعلم أنه يحتضر ، فيفضل الإشارة إلى قاتله بحرف واحد ، أو برقم واحد ، خشية ألا ينجح فى كتابة الاسم كاملاً .

بدا الضيق على وجه (هاشم) ، وهو يقول :

ـ اختلافنا يعنى أن الدليل ، الذى بذل (قدرى) آخر نبضة فى عمره لوضعه ، لا يساوى شيئًا ، فمازالت الشبهات محصورة بين (أكرم) و (حازم) .

مال المفتش (أدهم) نحوه ، وقال :

ـ مازلنا نملك كل الخيوط يا (هاشم) ، فمصرع (قدرى) يحذف اسمه من قائمة المشتبه فيهم ، وفى الثامنة من صباح الغد يمكننا معرفة العميل بشكل قاطع ، فإما أن نستبعد (أكرم) ، فيصبح (حازم) هو المتهم الأول ، أو نلقى القبض على (أكرم) .

وافقه (هاشم) ، قائلاً :

ـ هذا صحيح يا سيدى .

نهض المفتش (أدهم) ، وقال :

ـ سأنصرف إذن يا (هاشم) ، وعليك أن تطلب من (أكرم) و (حازم) الحضور إلى هنا فى تمام الثامنة ، من صباح الغد ،

وعندئذ سنحسم الأمر تمامًا .

تركه (هاشم) ينصرف ، ثم وقف فى منتصف الممر ، يدرس الموقف فى عقله مرة أخرى ..

كان الممر قصيرًا نسبيًّا ، يضم خمس حجرات فحسب .. حجرتى (حازم) و (أكرم) المتقابلتين فى بدايته ، عند مدخل السلم والمصعد ، ثم حجرتى (قدرى) و (هاشم) فى منتصفه ، وحجرة المفتش (أدهم) فى نهايته ، وإلى جوارها سلم داخلى ، يقود إلى قاعة الطعام والاستراحة ، الخاصة بالإدارة ..

وكان رجال المعمل الجنائى يواصلون عملهم فى حجرة (قدرى) ، للعثور على أى دليل ، يقود إلى القاتل ..

وتنهَّد (هاشم) فى عمق ..

كان يعلم أن المهمة ثقيلة .. عسيرة ، ستحمل نهايتها حذف اسم جديد ، من قائمة مفتشى الإدارة ..

وهذا يملأ قلبه بالمرارة والحزن ..

ولكن عمله علمه أن يزيح مشاعره دائمًا ، من أمام عقله وتفكيره ، عندما يواجه غموض قضية ما ..

وفى هذه القضية بالذات يحتاج إلى كل خلية من خلايا عقله ، للبحث عن الوسيلة الوحيدة للإيقاع بالعميل القاتل .. للبحث عن الدليل ..

★ ★ ★

لم تكن عقارب الساعة قد أعلنت بعد تمام الثامنة صباحًا ، عندما اجتمع المفتشون الأربعة (هاشم) ، و (حازم) ، و (أكرم) ، و (أدهم) ، فى حجرة هذا الأخير ، الذى قال فى حزم صارم :

- أظنكم لا تعلمون السبب الحقيقى لدعوتكم إلى مكتبى ، فى هذه الساعة .

قال (هاشم) :

- معذرة يا سيدى .. لم يحن وقت إعلان السبب بعد .

هتف (حازم) فى حدة :

- هل لى أن أفهم سرَّ كلِّ هذا الغموض ؟ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟

وقال (أكرم) فى غضب :

- يبدو لى أن المفتش (أدهم) والمفتش (هاشم) يتهماننا بقتل (قدرى) .

صاح (حازم) :

- نحن .. ولماذا أقتل زميلى (قدرى) ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- ستعلم بعد قليل .

ثم أشار إلى ساعة الحائط ، مستطردًا :

- بعد دقيقة واحدة ستعلن هذه الساعة تمام الثامنة ، وعندئذٍ ستعلمون كل شىء .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ وما شأن الساعة بما نقول ؟ لن نربط مصيرنا بعقارب ساعة .

ابتسم (هاشم) ابتسامة غامضة ، وقال :

ـ على العكس يا صديقى .. إن مصير جميع من فى هذه الحجرة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالساعات وعقاربها .

هتف (حازم) :

ـ هل لك فى توضيح ما تعنيه يا (هاشم) ؟

أشار (هاشم) إلى ساعة الحائط ، قائلاً :

ـ دع الساعة تعلن .

لم يكد يتم جملته ، حتى بدأت الساعة دقاتها المنتظمة ، فتعلقت بها عيون الأربعة ، وشملهم صمت رهيب ، تقطعه الدقات المنتظمة فى إيقاع مهيب ، حتى انتهت الدقة الثامنة ..

وفجأة ارتفع رنين الهاتف ..

جاء رنينه متوافقًا تمامًا مع الدقة الثامنة ، حتى إن (حازم) انتفض فى قوة ، فى حين اختطف (هاشم) سمّاعة الهاتف ، ووضعها على أذنه ، قائلاً فى لهفة :

ـ هنا (هاشم همام) .. من المتحدث ؟

بدا اهتمام بالغ على وجهه ، وهو يستمع إلى صوت محدثه ، قبل أن تبرق عيناه فى ظفر ، وهو يقول :

ـ حقًا .. رائع .. نعم .. كنت أتوقع هذا إلى حدٍّ ما .

ثم تنهَّد فى عمق ، وهو يعيد سمّاعة الهاتف إلى موضعها ، ثم يلتفت إلى الثلاثة الآخرين ، فسأله (أدهم) فى توتر :

ـ أهى مكالمة من فريق مراقبة الوكر ؟

أجابه (هاشم) بإيماءة موافقة من رأسه ، فسأله فى لهفة :

ـ وما الذى أخبروك به ؟

اعتدل (هاشم) ، وقال فى حزم :

ـ لقد كشفوا الأمر ، وعرفنا من هو العميل القاتل .

وخفقت كل القلوب فى رهبة ..

شعر جميع من بالحجرة بقلوبهم تخفق فى عنف ، وترتجف بين ضلوعهم ، وران على المكان صمت رهيب ، قطعه (حازم) هاتفًا :

أى عميل هذا ؟

قال المفتش (أدهم) فى صرامة :

كل هذه الخطة كانت لكشف عميل خائن ، ينقل كل أسرارنا إلى العصابات .

ثم التفت إلى (هاشم) ، وسأله فى لهفة :

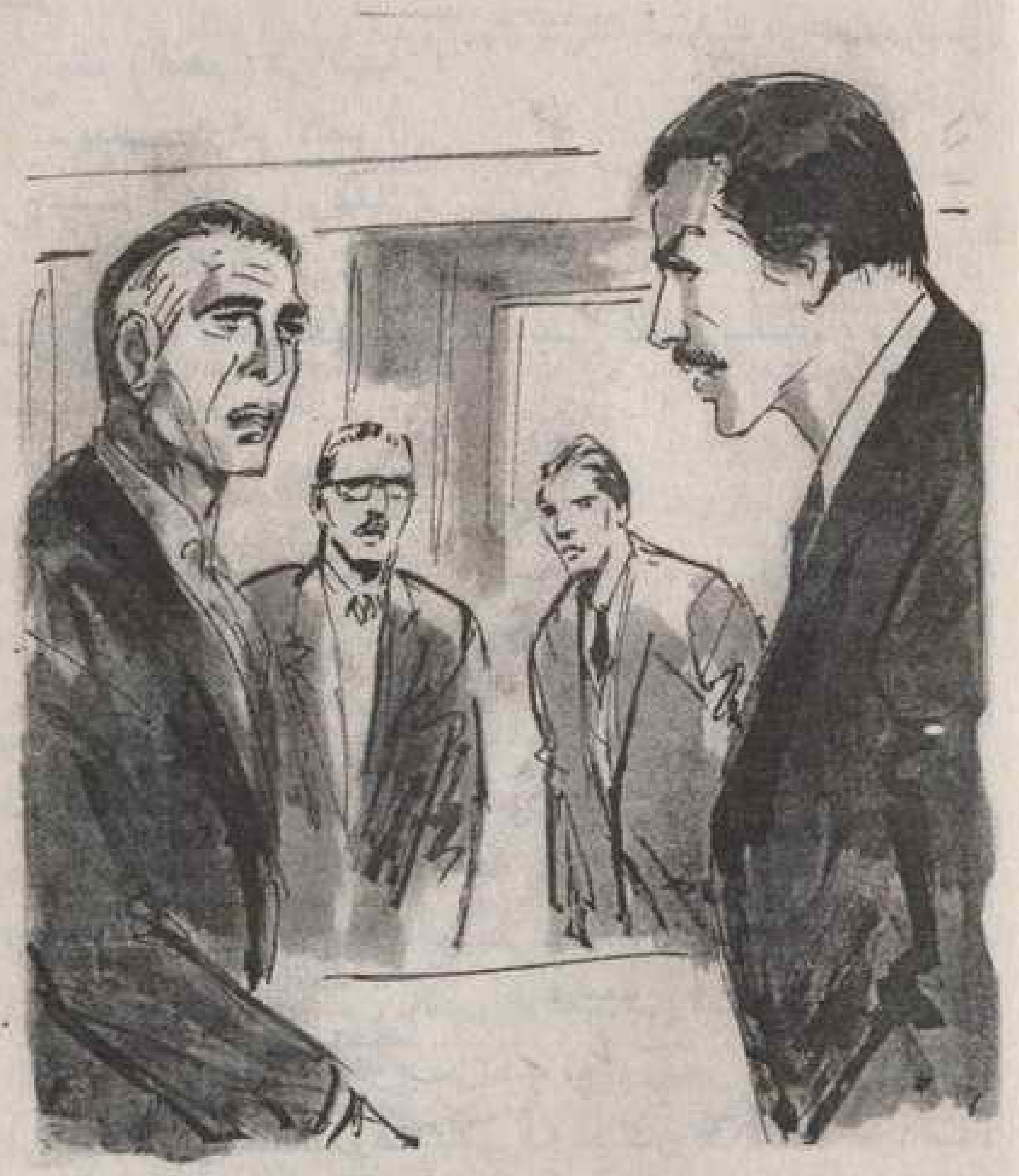
ـ ماذا حدث عند وكر العصابة يا (هاشم) ؟

أدار (هاشم) عينيه فى وجوههم ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لقد أخلتِ العصابة وكرها ، قبل الثامنة بقليل .

صاح (أدهم) :

ـ كنت أتوقع هذا .



حدّق (أدهم) فى وجهه بذهول ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين تابع (هاشم) :- معذرة يا سيدى !!

ثم التفت إلى (أكرم) هاتفًا :

ـ إنك أنت العميل .. أنت القاتل الخائن .

تراجع (أكرم) ، هاتفًا فى ذعر وذهول :

ـ أنا ؟!

صاح به (أدهم) فى صرامة :

ـ نعم .. أنت العميل القاتل ، الذى ينقل أسرارنا إلى العصابات ، فأنت وحدك كنت تعلم أننا سنقتحم الوكر فى تمام الثامنة صباحًا ، ولقد حذرت رجال العصابة و ...

قاطعه (أكرم) :

ـ ومن قال إننا سنقتحم الوكر فى تمام الثامنة ؟ لقد زارنى المفتش (هاشم) فى مكتبى ، قبل انصرافى ، وأخبرنى أن الموعد قد تعدل ، وأننا سنقتحم الوكر فى العاشرة .. لا فى الثامنة .

تراجع (أدهم) كالمصعوق ، والتفت فى حركة حادة إلى (هاشم) ، الذى حملت شفتاه ابتسامة ساخرة كبيرة ، وهو يقول :

ـ نعم .. لقد فعلت هذا .

حدّق (أدهم) فى وجهه بذهول ، دون أن ينبس ببنت شفةٍ ، فى حين تابع (هاشم) :

ـ معذرة يا سيدى ، لأننى لم أخبرك بالموعد الجديد ، ولكننى فعلت هذا لسبب بسيط ، ألا وهو أننى وضعتك على رأس قائمة المشتبه فيهم .

انهار (أدهم) فوق مقعده ، و (هاشم) يستطرد :

ـ الواقع أننى لم أفكر فى هذا ، حتى مصرع (قدرى) أمس .

تمتم (أدهم) فى انهيار :

ـ بسبب حرف الألف ؟!

ابتسم (هاشم) ، قائلاً :

ـ لا .. فالواقع أن (قدرى) ـ رحمه الله ـ لم يترك أى شىء خلفه ، فقد لقى مصرعه على الفور بالفعل ، وقصة الحرف كلها من ابتكارى .

تمتم (أدهم) بصوت شاحب :

ـ لماذا ؟

أجابه (هاشم) :

ـ لقد أثارت مدفأة حجرة (قدرى) اهتمامى كثيرًا ، فرجل يخشى البرد مثله ، لن يطفئ مدفأته ، إلا لو كان ينوى قضاء فترة طويلة خارج مكتبه ، وهذا يعنى أن (قدرى) غادر حجرته بهدف قضاء بعض الوقت خارجها ، ولما لم يكن من الطبيعى أن ينصرف عائدًا إلى منزله ، فى هذا الوقت المبكر ، فهذا يعنى أنه سيجلس بعض الوقت فى المطعم ، أو حجرة الاستراحة .. إذن فسيخرج من حجرته ، ويعبر حجرتك وحدك ، فى طريقه إلى هناك ، وهذا يعنى أنه لو كان قد كشف أمرًا ما ، تسبب فى مصرعه ، فقد كشفه عند حجرتك ، وليس فى اتجاه

حجرتى (حازم) و (أكرم) ، اللتين لن يتجه إليهما ، إلا للهبوط ومغادرة المكان .

صمت (هاشم) لحظة ، ليرى أثر كلماته على وجه رئيسه ، ويتابع الذهول والدهشة على وجهى (حازم) و (أكرم) ، قبل أن يتابع :

ـ وعندما أخبرتك بقصة حرف (الألف) ، سألتنى فى دهشة : كيف رفع (قدرى) يده إلى سطح المكتب ، على الرغم من أنك لم تر جثته ، مما يعنى أنك تعلم أن (قدرى) قد لقى مصرعه ، ويده أسفل سطح المكتب ، والقاتل وحده يمكنه أن يعلم هذا بدقة .

صمت لحظة أخرى ، ثم تنهد مستطردًا :

ـ ولقد حاولت إبعاد ذهنى عن حرف (الألف) ، ولكننى كنت قد تأكدت من كونك العميل القاتل ، فذهبت إلى حجرتى (أكرم) و (حازم) ، وأبلغت كلاً منهما بتغيير موعد الاقتحام ، ولكنك كنت تعلم بالمواعيد السابقة ، لذا فقد أخبرت رجال العصابة بمغادرة وكرهم فى تمام الثامنة ، لتلقى التهمة على عاتق (أكرم) ، دون أن تدرى أنك بذلك تكشف أمر نفسك ، وتضع فى يدى الدليل الأخير ، الذى أوقع بك .

خفض المفتش (أدهم) رأسه فى مرارة ، وهو يقول :

ـ يا للخسارة ! كنت أظن أننى قد أعددت كل شىء بمهارة ، فأخبرت المسئولين فى إدارة الأمن العليا بالخطة ، وأبلغت العصابة بالموعد ، ليصبح إخلاء الوكر دليلاً يدين (أكرم) .

هتف (أكرم) فى غضب :

- ولماذا أنا ؟

أجابه فى ألم :

- لأنك صاحب الموعد الأقرب .. وكنت أحب إنهاء هذه اللعبة بسرعة .

قال (هاشم) فى صرامة :

- لقد انتهت اللعبة بسرعة بالفعل ، ولكنك كنت الخاسر الوحيد فيها .

ولكن (أدهم) رفع مسدسه فجأة فى وجوه الرجال الثلاثة ، قائلاً فى غلظة مباغتة :

- لا تثق كثيرًا بما لم يحدث بعد أيها الذكى .

تراجع (أكرم) و (حازم) فى خوف ودهشة ، فى حين عقد (هاشم) ذراعيه أمام صدره ، وهو يقول فى صرامة :

- لا تتماد فى حماقتك يا (أدهم) .. إنك لن تقتلنا جميعًا .

هتف (أدهم) :

- ولم لا ؟ لقد ارتكبت جريمة قتل بالفعل ، ولن يمكنهم إعدامى أكثر من مرة واحدة ، أما لو قتلتكم جميعًا ، فربما أنجو من كل هذا .

سأله (هاشم) :

- وكيف ستبرِّر هذا للمسئولين ؟

أجابه (أدهم) فى عصبية :

- الأمر أبسط مما تتصور ، فالمسئولون لا يعلمون بأمر تعديلك للمواعيد ، وكل ما يعلمونه هو الخطة الأولى ، وسيصلهم تقرير عن إخلاء العصابة لوكرها ، فى تمام الثامنة ، وسيدفعهم هذا إلى حصر الاتهام فى (أكرم) ، وبعدها يصبح كل شىء سهلاً بسيطًا ، فسأطلق النار من هذا المسدس ، الذى حصلت عليه كهدية ، من زعيم إحدى العصابات ، على (حازم) وعليك ، وبعدها أطلق النار من مسدسى على (أكرم) ، وأضع مسدس زعيم العصابة فى يده ، ثم أعلن أننا واجهناه بخيانته ، فثار وأطلق النار على (حازم) وعليك ، فلم يكن منى إلا أن قتلته ، دفاعًا عن نفسى ، عندما حاول قتلى أيضًا .. ما رأيك فى هذه الخطة أيها العبقرى ؟

ابتسم (هاشم) فى سخرية ، وقال :

- كان من الممكن أن تكون خطة محكمة ، لولا هذا .

وأخرج من جيبه جهازًا صغيرًا ، حدَّق فيه (أدهم) ، هاتفًا :

- ما هذا ؟

أجابه (هاشم) فى هدوء :

- جهاز تسجيل صغير ، نقل كل كلمة نطقت بها إلى المسئولين ، فى إدارة الأمن العليا ، بعد أن أبلغتهم أمس بشكوكى نحوك ، وبالخطة الجديدة للإيقاع بك .

شحب وجه (أدهم) فى شدة ، وهو يقول كالمصعوق :

- أبلغتهم ؟!

أجابه (هاشم) :

- نعم يا رئيسى السابق .. الكل الآن يعلم أمر خيانتك .

صرخ (أدهم) ، وهو يرفع مسدسه فى وجهه :

- هذا لن يمنعنى من قتلك .

ضغط زناد المسدس فى غضب ، ولكن رصاصة واحدة لم تنطلق منه ، سوى تكة معدنية ، تشير إلى خلوه من الرصاص ، فحدق (أدهم) فيه بذهول ، في حين اقترب منه (هاشم) ، وانتزع المسدس من يده ، قائلاً :

- معذرة .. نسيت أن أخبرك أننى قد تسللت إلى منزلك أمس ، وأفرغت مسدسك وهذا المسدس من رصاصاتهما .

انهار (أدهم) تمامًا ، و (هاشم) يخرج الأغلال من جيب سترته ، ويحيط بها معصميه ، وهو يضيف :

- صدقنى إننى أشعر بمرارة لا حد لها ، وأنا ألقى القبض عليك ، لأن أحد رجال الأمن انحرف عن مساره الصحيح ، ولكنك للأسف وقعت فى نفس الخطأ ، الذى يقع فيه أحقر المجرمين ، عندما نسيت أن الله (سبحانه وتعالى) لا يعاون المجرمين أبدًا ، وأن الجريمة لا تفيد .

ثم أغلق الأغلال ، مستطردًا فى صرامة :

- مطلقًا .

وانتهت القضية ...

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

روايات مصرية للجيب

سلسلة الأعداد الخاصة

التجربة

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٢٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

١ ـ المخ ..

شعر (باسل) بمزيج من الدهشة والفضول ، وهو يمسك تلك الرسالة ، التى عثر عليها فى صندوق بريده الخاص فى الصباح ، وتطلع فى اهتمام إلى طابع البريد الصغير ، الذى يحمله مظروفها . فى ركنه الأيمن ، وهو يقول لوالده :

ـ عجبًا ! إنها رسالة من الولايات المتحدة الأمريكية ، ومعنونة باسمى ، ولكننى لم أسمع باسم صاحبها قط ، فى حياتى كلها !

سأله والده فى هدوء رصين :

ـ ومن هو كاتبها ؟

أجابه (باسل) ، وهو يلقى نظرة سريعة على التوقيع ، فى نهاية الرسالة :

ـ البروفيسير (مارك أوفرين) .. أستاذ أبحاث المخ ، فى جامعة (كلورادو) .

رفع والده حاجبيه ، وهو يشاركه دهشته ، مغمغمًا :

ـ وما الذى يدفع رجلاً كهذا ، إلى إرسال خطاب لك ؟

أجابه (باسل) :

ـ إنه يدعونى لزيارة مركز الأبحاث الخاص به فى (كلورادو) ، ويقول :

ـ إنه انتخبنى من بين مائة شاب ، انتقاهم جهاز كمبيوتر خاص ، فى مركز رجال الصحافة فى (واشنطن) .

سأله والده :

ـ وما سبب الزيارة ؟

هز (باسل) كتفيه ، وقال :

ـ إنه لم يفصح عنه ، ولكنه أرسل تذكرة السفر ، وبطاقة دعوة أنيقة للغاية .

صمت والده لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول :

ـ وماذا قررت ؟

تنهد (باسل) ، وهو يقول :

ـ لم أتخذ قرارى بعد ، فالأمر مريب ، ومثير للشك ، و ...

تركه والده يتابع ، وهو يبتسم فى حنان رزين ..

كان يعلم أن الغموض المحيط بالموقف كله ، هو أكبر دافع لابنه ، ليستقل أول طائرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ويلبى دعوة البروفيسير (مارك) ..

فلم يمض يومان ، على هذا الحوار ، حتى كانت طائرة الخطوط السعودية تهبط فى (نيويورك) ، ويغادرها (باسل) ، وهو يحمل فى أعماقه قدرًا مدهشًا من الفضول والترقب واللهفة ..

لقد حاول القيام ببعض التحريات ، حول (مارك أوفرين) ، قبل أن ينطلق إلى (أمريكا) ، وعرف أنه عالم أمريكى ، يهتم

بدراسة كل التغيرات الكيماوية والبيولوجية والفسيولوجية ، التى تطرأ على المخ ، عندما يعمل بكل قوته ، وأنه قد استقال من جامعة (كلورادو) منذ عامين ، وتفرغ للقيام ببعض الأبحاث الخاصة ، فى معامل تحمل اسمه ، وتمولها بعض المؤسسات الكبرى ، التى تفيد فى نتائج أبحاثه ، وتطبيقاتها فى الحياة العملية ولكن كل هذا لم يشبع فضول (باسل) ، الذى لايزال يتساءل ، عن سر دعوة البروفيسير له ..

وفى المطار ، وجد (باسل) فى انتظاره رجلاً وسيمًا ، بارد الملامح ، جامد الوجه ، يخفى عينيه بمنظار داكن ، ويرتدى حلة سوداء ، ورباط عنق أسود ؟ ولقد استقبله على نحو روتينى جاف ، وهو يقول :

- الأستاذ (باسل) .. أليس كذلك ؟ لقد أرسلنى البروفيسير (أوفرين) لاستقبالك ، ونقلك إلى معمله مباشرة ، حيث يستقبلك بنفسه .

وعلى الرغم من برودة ملامحه ، كان الرجل مهذبًا للغاية ، ولكنه قليل الكلام للغاية ، فقد قدم نفسه باسم (سام وان) ، ثم لم يتبادل كلمة إضافية مع (باسل) ، حتى استقلا معًا طائرة البروفيسير (مارك) الخاصة ، التى انطلقت بهما مباشرة إلى (كلورادو) ، يقودها رجل واحد ..

وفى الطائرة الصغيرة ذات المحركين ، شعر (باسل) بالملل ، فسأل (سام) :

- ألديك فكرة عن سبب دعوة البروفيسير لى ؟

لم يجب (سام) مباشرة ، فابتسم (باسل) وهو يتابع :

- أهو سر ؟

عندئذ أجاب (سام) فى هدوء مدهش :

- ليست لدى أدنى فكرة .

سأله (باسل) :

- أهناك مدعوون آخرون ؟

أجاب (سام) مباشرة :

- كلا .. أنت فقط .

ضاعف الجواب من دهشة (باسل) ، وراح يتساءل فى أعماقه للمرة الألف :

- لماذا دعاه البروفيسير لزيارته ؟!

وأدرك أن (سام) لن يبوح بالجواب أبدًا ، إما لأنه يجهله بالفعل ، أو أن الأوامر التى لديه حاسمةً ومشددة ، بعدم الإفصاح عن الهدف من الدعوة لسبب ما ..

ولكن (باسل) عاد يسأل (سام) :

- ما نوع الأبحاث ، التى يجريها البروفيسير الآن ؟

أجابه (سام) بلهجته الجافة الباردة :

- إنه يواصل أبحاثه عن المخ .

قال (باسل) ، محاولاً استدراج (سام) إلى الحديث :

- كنت أظن أن العلماء قد توصلوا إلى كل ما يخص المخ البشرى .

أجاب (سام) على الفور :

ـ ليس بعد ، فما زالت هناك تجارب عديدة ، حول المخيخ والجسم الصنوبرى ، والفص الأمامى فى المخ ، حيث يعتقد العلماء أن هذه الأجزاء بالذات لاتزال تخفى الكثير .

تطلع إليه (باسل) فى دهشة بالغة ، وهو يلقى هذا الجواب ، فقد بدا فى آليته واستطرادته ، أشبه بجهاز كمبيوتر آلى ، منه بشاب وسيم قوى البنية ، ولقد عاد إلى صمته مباشرة ، فور الانتهاء من الجواب ، ولاذ به تمامًا ، دون أن يلتفت إلى (باسل) ، الذى ابتلع دهشته فى سرعة ، وحاول أن يرسم على شفتيه ابتسامة ، وهو يغمغم :

ـ أشكرك على هذه المعلومات ، وأعتقد أن البروفيسير يجرى أبحاثه حول أحد هذه الأجزاء الثلاثة ، أو كلها .

قال (سام) بسرعة :

ـ كلا .

كان الجواب مقتضبًا للغاية ، حتى إنه أشعل المزيد من لهفة (باسل) وفضوله وقلقه ، فسأل مباشرة :

ـ ما نوع أبحاثه إذن ؟

أجابه (سام) مرة ثانية فى اقتضاب :

ـ الاستجابات العصبية .

بدا الجواب مبهمًا غامضًا ، فاعتدل (باسل) يسأله :

ـ ما المقصود بهذا بالضبط ؟

ظل (سام) صامتًا لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ سيخبرك البروفيسير بنفسه .

وهنا أدرك (باسل) أنه قد اقترب كثيرًا من الحقيقة ..

إنها تجارب سرية إذن ..

ولكن ما نوعها بالضبط ؟!

وما صلته هو بالذات بها ؟

كان عقله يحمل عشرات الأسئلة والاستفسارات ، عندما سمع (سام) يقول فى برود واقتضاب :

ـ لقد وصلنا .

التفت (باسل) إلى النافذة المجاورة له ، ورأى تحته منطقة صحراوية جرداء ، تمتد إلى مدى البصر ، فغمغم فى حيرة :

ـ وصلنا إلى أين ؟ لست أرى شيئًا على مدى البصر ، ولا حتى ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع حاجباه فى دهشة ، فقد عبرت الطائرة أحد جبال (كلورادو) العالية ، لتظهر فجأة معامل البروفيسير (أوفرين) ..

وكان الانتقال مدهشًا بحق ، من تلك الصحراء الجرداء ، إلى منطقةٍ دائرية واسعة ، تضم ثلاثة مبان متوسطة الارتفاع ، يتكوّن كل منها من ثلاثة طوابق ، وبينها يمتد شريط طويل ، من الواضح أنه يستخدم كمهبط للطائرة ..

وهتف (باسل) فى انبهار :

ـ يا للروعة ! كيف أقام البروفيسير كل هذا ؟

أجابه (سام) فى هدوء :

ـ بالمال والجهد والوقت .

كان جوابًا جافًا للغاية ، إلا أن (باسل) لم يوله اهتمامًا كبيرًا ، فقد اعتاد بعد الرحلة الطويلة أسلوب (سام) الجاف ، ولم يعد يهتم به ، أو يتوتر بشأنه ، ثم إن المعامل كانت تجذب انتباهه بشدة ، فراح يتطلع إليها مبهورًا ، حتى سمع صوت الطيَّار يقول فى هدوء :

ـ هنا ينتهى دورى أيها السادة .

التفت إليه (باسل) فى دهشة ، ورآه يقف إلى جوار باب الطائرة ، مرتديًا مظلة الهبوط ، و (سام) يتطلَّع إليه بلامبالاة ، فهتف فى استنكار :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

أجابه (سام) فى هدوء مستفز :

ـ يبدو أنه سيغادر الطائرة .

ابتسم الطيار ، وهو يقول :

ـ تمامًا ..هذا ما سأفعله بالضبط .

قالها وجذب ذراعًا صغيرة ، فانفتح باب الطائرة فى عنف ، وسبَّب اختلاف الضغط فرقعة قوية ، حجبت هتاف (باسل) وهو يقول :

ـ هل أصابك الجنون يا رجل ؟

ولكن الطيار قال عبارة واحدة ، و ...

وقفز من الطائرة ، وتركها تهوى وحدها ..

وبلا قائد ..

* * *

لم يصدق (باسل) ـ للوهلة الأولى ـ ما يحدث حوله .

لقد قفز الطيَّار من الطائرة ، وتركها تهوى وحدها من حالق ، دون قائد أو موجِّه ، فى حين يجلس (سام) على مقعده هادئًا ، جامد الوجه والملامح ، وكأن ما حدث لا يعنيه ، ولا يثير فى أعماقه أدنى قدر من الخوف أو القلق .

ثم انتفض (باسل) وحلَّ حزام مقعده وهو يهتف :

ـ أى جنون هذا ؟ ماذا يحدث هنا ؟

بقى (سام) هادئًا جامدًا ، فاندفع (باسل) نحو كابينة القيادة ، وهو يستطرد :

ـ هناك وسيلة لتوجيه الطائرة من بعيد .. أليس كذلك ؟

ولكنه لم يكد يفتح كابينة القيادة ، ويلقى نظرة على عدادات الطائرة ، التى أصابها الخلل ، مع ذلك الهبوط العشوائى البالغ الخطورة ، حتى اتسعت عيناه فى شدة ، وقفز إلى مقعد الطيَّار ، هاتفًا :

ـ لقد أصابهم الجنون حتمًا .

أمسك عجلة القيادة بقبضته فى قوة ، وهو يحاول السيطرة

على الطائرة ، وشعر أن العجلة أكثر سمكًا من مثيلاتها ، فى تدريبات الطيران ، التى تلقاها من قبل ، ولكنه بذل قوته كلها ، لإعادة الطائرة إلى مسارها ، وعيناه تراقبان عداداتها فى توتر بالغ .

وفى البداية ، بدا الأمر مستحيلاً تقريبًا ، مع شدة الرياح ، وزاوية الهبوط الحادة ، إلا أن الأجهزة لم تلبث أن استجابت ، وعادت الطائرة إلى مسارها المنتظم ، فتنفس (باسل) الصعداء ، وهتف عبر جهاز اللاسلكى :

ـ ماذا أصاب ذلك الطيَّار المجنون ؟ لماذا غادر الطائرة على هذا النحو ؟

أتاه صوت حازم ، يقول :

ـ أهنئك على سيطرتك على الطائرة .. لقد ألقينا القبض على الطيَّار ، وسنجرى معه تحقيقًا صارمًا ، لمعرفة سر تصرفه الغريب .. والآن .. إليك تعليمات الهبوط .

راح (باسل) يستمع إلى التعليمات ، وينفذها بمنتهى الدقة ، حتى هبط بالطائرة ، فوق ممر الهبوط الخاص ، وأسرع إليه رجال الأمن ، يسألونه فى اهتمام :

ـ أكل شىء بخير ؟

همَّ (باسل) بإجابتهم ، ولكنه فوجئ بسام خلفه ، يقول بلهجته الجافة الباردة :

ـ كل شىء على ما يرام .. لقد تمَّ الهبوط بزاوية مناسبة ،

ولم تكن هناك ارتجاجات فوق المتوسط .

صاح ؟ (باسل) فى غضب :

ـ أهذا كل ما لديك لتقوله ؟ لماذا لم تحاول منع الطيَّار من القفز بالمظلة ، عندما كنا معلقين بأعلى ؟

أجابه (سام) فى برود مثير :

ـ لم يكن ذلك ليجدى .

كاد (باسل) ينفجر فى وجهه ، لولا أن لاحظ تلك السيارة السوداء المغلقة ، التى توقَّفت إلى جوار الطائرة الصغيرة ، وهبط منها رجل نحيل ، أصلع الراس ، أشيب الفودين ، حاد النظرات ، تطلَّع إليه بنظرة متفتحة طويلة ، قبل أن يقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا سيد (باسل) ومرحبًا بك فى معاملى المتواضعة .

هتف (باسل) فى دهشة :

ـ أنت البروفيسير (أوفرين) بالتأكيد .

بدت ابتسامة باهتة على شفتى البروفيسير ، وهو يقول :

ـ نعم .. هو أنا .. لقد التقيت بمساعدى (سام دان) .. أليس كذلك ؟

قال (باسل) فى حدة :

ـ بلى ، ولكنه لم يكن متعاونًا كما ينبغى .

بدت ابتسامة البروفيسير غامضة مريبة ، وهو يقول :

ـ أنت فقط لم تطلب منه التعاون مباشرة .

ثم أشار إلى سيارته ، مستطردًا :

والآن تفضَّل .. سأصحبك بسيارتى إلى حيث نتحدث قليلاً ، وتحصل على قسط من الراحة .

ولم تمض دقائق معدودة ، حتى كان (باسل) يجلس فى حجرة مكتب البروفيسير ، الذى فحصه مرة أخرى بنظراته الحادة ، قبل أن يسأله (باسل) فى توتر :

ـ هل لى أن أعرف سر دعوتك لى ؟

سأله البروفيسير :

قل لى أنت .. لماذا لبيت دعوة غامضة ، تجهل السر الكامن وراءها ؟ أهو الفضول ، أم هى الحماقة ؟

بدا الضيق على وجه (باسل) وهو يجيب :

ـ بل هو حب المغامرة .

ابتسم البروفيسير ابتسامة كبيرة ، كادت تلتهم وجهه كله ، وهو يقول :

ـ المغامرة ؟! آه .. الجواب يعنى فعليًا مزيجًا من الفضول والحماقة .. ولكنه يتفق تمامًا مع تاريخك يا سيِّد (باسل) .

وضغط أزرار الكمبيوتر الموضوع أمامه ، وهو يقرأ المكتوب على شاشته مستطردًا :

ـ أنت مصرى عربى ، تهوى المغامرة والترحال .. لك أصدقاء عديدون ، فى كل مكان بالعالم تقريبًا ، وكلهم يجمعون على أنك ذكى ، جرىء ، شجاع ، مباشر ، مقدام .. وكلها صفات تكفى لتمنحك لقب (البطل) يا (باسل) .

غمغم (باسل) :

ـ إنهم يبالغون كثيرًا .

ضحك البروفيسير ، وقال وهو يضغط أزرار الكمبيوتر :

ـ فلنضف التواضع إذن وإنكار الذات .. هكذا تكتمل الصورة .

عقد (باسل) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـ إنك لم تجب سؤالى صراحة .. أليس كذلك ؟

رمقه البروفيسير لحظة بنظراته الحادة ، ثم مال إلى الأمام ، وسأله :

ـ ما الذى تريد معرفته بالضبط يا سيِّد (باسل) ؟

سأله (باسل) فى صرامة :

ـ لماذا دعوتنى إلى هنا ؟

بقى الرجل صامتًا لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ إنك الطراز الذى أحتاج إليه بالضبط يا (باسل) .

سأله (باسل) فى قلق :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟

ابتسم البروفيسير مرة أخرى ، وقال :

ـ أنت تعلم أننى أجرى أبحاثًا دائمة ، حول تلافيف المخ ، والاستجابات العصبية ، وهذه الأبحاث شديدة الأهمية والخطورة ، بالنسبة للمؤسسات العسكرية فى (أمريكا) وبعض المؤسسات الأخرى ، التى تقوم بتمويل معاملى ، ولكن الواقع أن كل هذه الهيئات والمؤسسات ، لا تعلم شيئًا عن حقيقة أبحاثى

الخاصة ، التى أجريها بنقودها ، والتى تتفق مع أحلامى وطموحاتى ، التى تتجاوز بكثير أحلامهم المحدودة ، وطموحاتهم القاصرة .

سأله (باسل) فى اهتمام :

- وما طبيعة هذه الأبحاث الخاصة ؟

أشار البروفيسير إلى كوب عصير البرتقال ، الموضوع أمام (باسل) وهو يقول :

- لا تقلق نفسك بشأنها ، وأكمل العصير أولاً .

شرب (باسل) ما تبقى فى الكوب بسرعة ، وهو يقول :

- كيف لا أقلق نفسى بشأنها ، وهى سبب وجودى هنا ، كما أشرت أنت ؟

برقت عينا (البروفيسير) وهو يقول :

- الحقيقة يا سيِّد (باسل) ، أريد إجراء تجربة خاصة عليك .

هتف (باسل) فى دهشة :

- تجربة ؟! ومن أخبرك أننى فأر تجارب يا بروفيسير ؟

رفع الرجل حاجبيه ، وهو يقول :

- لست كذلك بالتأكيد ، فأنت بشر . يتمتع بسمات خاصة ، تؤكد أن مخه يتفوق على أمخاخ الآخرين ، وتجاربى تهدف إلى معرفة أسباب هذا الاختلاف ، والعامل الكيميائى له .

نهض (باسل) فى حركة حادة ، وهو يقول :

- وهل تتصوَّر أننى سأقبل الخضوع لتجاربك هذه ؟

ابتسم البروفيسير ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- لست أعتقد أنك تملك خيار الرفض يا (باسل) .

ثم التفت إلى النافذة الزجاجية الضخمة خلفه ، مستطردًا :

- انظر أمامك ، ولن تجد سوى صحراء ، تمتد إلى ما لا نهاية ، صحراء رهيبة مخيفة حارقة .

قاطعه (باسل) فى حزم :

- لا داعى للاستطراد يا بروفيسير ، فأنا ابن الصحراء ، ولن تخيفنى رؤيتها مهما امتدت ، ومهما بدت قاحلة جرداء مقفرة .

استدار إليه البروفيسير بنظراته الحادة ، وابتسامته الساخرة الماكرة الخبيثة ، الشبيهة بابتسامة ثعلب عجوز ، وهو يقول :

- من ذا الذى يحاول إخافتك يا سيِّد (باسل) ؟

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وبرقت عيناه فى شدة ، وهو يتابع ساخرًا ، وكلماته تبدو وكأنها تنبع من أعماق سحيقة :

أننى فقط أضيع بعض الوقت ، حتى يبدأ مفعول العقار .

عقد (باسل) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

- أى عقار ؟!

أجابه البروفيسير فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

- العقار المخدر ، الذى تناولته مع عصير البرتقال ، والذى ...

ولم يسمع (باسل) البقية : لقد دار رأسه فى شدة و ... وسقط فاقد الوعى ..

* * *

٢ ـ صحراء الغموض ..

لم يدر (باسل) كم بقى فاقد الوعى بالضبط ، ولكن الظلام كان يسود كل ما حوله ، عندما استعاد وعيه ، وفتح عينيه .

كان يتوقع أن يجد نفسه مقيدًا ، إلا أنه ـ ولدهشته ـ كان حرًّا طليقًا ، داخل حجرة واسعة ، لا ينيرها سوى ضوء القمر ، الذى يتسلل عبر نافذة ضخمة ، تطل على الصحراء مباشرة ..

ثم انتبه (باسل) فجأة إلى طبيعة المكان ..

إنها نفس حجرة المكتب ، التى التقى فيها بالبروفيسير ، ولكنها خالية تمامًا من الأثاث ، فيما عدا تلك الأريكة التى كان يرقد فوقها ، والتى تنزوى فى ركن الحجرة ، وكأنها تخجل من وجودها هكذا منفردة ..

وفى حذر راح (باسل) يفحص جدران الحجرة ، وبابها ، ونافذتها الزجاجية السميكة ، قبل أن يتوقف فى منتصف الحجرة ، قائلاً فى ضيق :

ـ من الواضح أننى سجين هنا ، فالباب مغلق برتاج خاص من الخارج ، وزجاج النافذة مضاد للرصاص والكسر ، ولا توجد وسيلة واحدة للخروج .

ولكن حتى هذا لم يبعث اليأس فى نفسه ، فراح يدير عينيه مرة أخرى فى المكان ، ويفحص السقف وأعلى الجدران ، و ..

وفجأة توقف بصره عند نقطة ما ، فى سقف الحجرة ..

كان هناك جهاز إنذار إليكترونى حديث ، من تلك الأجهزة التى تتأثر بالدخان والنيران ، مثبت إلى جوار مصباح السقف ، فتمتم (باسل) :

ـ من يدرى ؟ ربما لو ...

لم يتم عبارته ، ولكن عقله راح يعمل فى سرعة مدهشة ، دون أن يدرى أن آلة تصوير خفية تعمل بالأشعة دون الحمراء ، كانت تنقل كل خلجة من خلجاته إلى شاشة رصد خاصة فى معمل البروفيسير (أفرين) الذى يتابعه فى اهتمام وهو يقول لمساعده (سام) :

ـ لقد لاحظ وجود جهاز الإنذار .. هل تتوقع أن يحاول استغلاله ؟

أجابه (سام) بأسلوبه البارد الجاف :

ـ نعم .. بنسبة ٥٦٪

قال البروفيسير :

ـ بل أنا واثق من أنه سيجيد استغلاله بنفس الأسلوب الذى توقعته أنا ، فى التجربة العشوائية وبنسبة ٩٦٪ وليس ٥٦٪

قال (سام) :

ـ الإنسان العادى يلجأ إلى الحلول المباشرة والتقليدية ، ونسبة من يلجئون إلى الحلول غير المنطقية لا يتجاوز ٧٪ من المجموع الكلى .

لوَّح البروفيسير بيده ، وقال :

- ضع (باسل) إذن ضمن نسبة الـ ٧٪ هذه فهذا الشاب عبقرى ، كما تقول كل المعلومات التى جمعناها عنه ، وسترى أنه سيفعل ما توقعته أنا بالضبط .

قالها وهو يراقب (باسل) الذى دفع الأريكة حتى أصبحت تحت جهاز الإنذار مباشرة ثم اتجه إلى واحدة من التوصيلات الكهربية الأرضية ، وانتزعها من مكانها ، وراح يضرب طرفى السلك بعضهما بالبعض حتى تولدت شرارة ، أشعلت قطعة قماش صغيرة انتزعها من قميصه ، وعاد بالقماش المشتعل بسرعة إلى الأريكة ، وأشعل فيها النار ..

وارتفعت ألسنة اللهب فى الأريكة المشتعلة ، مع دخان كثيف ملأ الحجرة كلها تقريبًا ، فقال (سام) :

- النسبة ارتفعت إلى ٩٨٪

هتف (مارك أوفرين) فى حماس :

- بل مائة فى المائة يا رجل .. ألم تر ما فعله ؟!

كان الدخان وألسنة اللهب قد بلغا جهاز الإنذار الذى بدأ عمله على الفور ، فاندفعت المياه من ثقوب عديدة بالسقف ، لتطفئ النيران ، ثم حدث بالضبط ما توقعه (باسل) .

لقد انفتح الرتاج الإلكترونى للباب تلقائيًا ، كجزء من إجراءات الأمن ..

واندفع (باسل) خارج الحجرة ، والبروفيسير يراقبه على شاشته ، ويهتف فى انفعال :

- هل رأيت يا (سام) ؟ هل رأيت ما فعله ؟ ألم أقل لك إنه عبقرى .

قال (سام) فى هدوء :

- إنه لم يتجاوز نطاق الأمن بعد .

أومأ (أوفرين) برأسه موافقًا ، وقال :

- نعم .. لم ينته كل شىء بعد .

وعاد يراقب (باسل) الذى انطلق عبر الممر الطويل ، الذى يحوى حجرة المكتب ، حتى بلغ المصعد فتجاوزه بسرعة ، وهو يقول :

- لا داعى لاستخدام المصعد ، فالمصاعد تتعطل غالبًا ، عندما يحتاج المرء إليها .

وقفز درجات السلم قفزًا حتى بلغ الطابق الأرضى ، ولم يكد يصل إليه حتى سمع صوتًا يقول فى صرامة :

- قف .. ماذا تفعل هنا ؟

التفت (باسل) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى أمامه واحدًا من جنود الحراسة ، يصوّب إليه مدفعًا آليًا ، وهو يستطرد :

- ما الذى أتى بك إلى هنا ؟ ومن أنت بالضبط ؟

اعتدل (باسل) وبذل جهده ليخفى انفعاله ، وهو يقول :

- أنا الدكتور (زياد حسين) .. العالم المصرى ، وأنا هنا بدعوة خاصة من البروفيسير (أوفرين) لمتابعة أبحاثه حول الاستجابات العصبية للمخ .

رمقه الرجل فى شك ، وهو يسأله :

- وماذا تفعل هنا ؟ التواجد فى المبنى الإدارى محظور ، بعد العاشرة مساءً .

لوَّح (باسل) بكفه وقال :

- يبدو أننى ضللت طريقى ، و ...

قاطعه الرجل فى صرامة :

- ولكن الخروج من الحجرات أيضًا محظور ، بعد هذه الفترة ..

هتف (باسل) وهو يتظاهر بالغضب :

- كيف تقول هذا ؟ البروفيسير نفسه اتصل بى فى حجرتى وطلب منى مقابلته فى معمله .

هزَّ الرجل رأسه فى صلابة وهو يقول :

- لابد أن أتلقى تعليمات مباشرة من الأمن .

ورفع جهاز اللاسلكى ، قائلاً :

- سأتصل بهم ، و ...

قاطعه (باسل) وهو يقترب منه ، قائلاً :

- لاداعى لهذا .. عندى تصريح خاص ، سأريك إياه ، و ..

وفجأة انقض على الرجل ، الذى تراجع هاتفًا :

- خيانة .

ولكن قبضة (باسل) هوت على فكه فى عنف ، ثم تراجعت لتهوى مرة أخرى على أنفه ..

وحاول الرجل أن يطلق النار ، إلا أن (باسل) ركل المدفع بسرعة ، وانقض على فك الرجل بلكمة ثالثة ، وهو يقول :

- معذرة يا رجل .. كلانا يؤدى ما عليه .

كانت اللكمة الثالثة من القوة ، حتى إن الرجل سقط فاقد الوعى مباشرة ، فانحنى (باسل) يلتقط مدفعه الآلى ، مستطردًا :

- وهذا يعنى أننى مضطر ..

حمل المدفع الآلى وواصل عدوه خارج المبنى ، ثم توقف بالقرب من مهبط الطائرة وهو يتمتم :

- ترى هل سأجد وقودًا كافيًا بالطائرة للفرار من هنا ؟

اتجه فى حذر إلى الطائرة ، ولكنه لم يكد يقترب منها ، حتى ظهر من خلفها رجل هتف فى دهشة :

أنت ؟!

لم تكن دهشة (باسل) تقل عن دهشة الرجل الذى لم يكن سوى الطيار الذى قفز من الطائرة بالمظلة ، والذى انتزع سلاحه فى سرعة ليعترض طريق (باسل) الذى ألقى دهشته جانبًا ، وقفز نحو الرجل هاتفًا :

- لا يا رجل .. مثلك لا ينجح فى قتال كهذا .

أمسك معصم الرجل فى قوة ، وأبعد فوهة المسدس عنه ، ثم هوى بكعب مدفعه على فك الطيار الذى ارتج فى عنف ، وسقط فاقد الوعى .

وفى معمله عقد البروفيسير حاجبيه ، وهو يراقب ما يحدث وتمتم :

ـ لقد تجاوز ذلك العربى الحد المسموح به .

ثم التقط جهاز إرسال صغيرًا ، وقال فى صرامة :

انتهت التجربة .. أوقفوا ذلك العربى .

كان (باسل) فى هذه اللحظة يقفز داخل الطائرة ، ويدير محركها ويبدأ رحلة الفرار ، إلا أن الطائرة لم تكد تتحرك فوق ممر الإقلاع حتى ظهرت ثلاث سيارات جيب تحمل عددًا من الجنود ، وانطلقت نحو الطائرة فى سرعة ، وبرز منها ثلاثة جنود ، راحوا يطلقون نيران مدافعهم الآلية نحو الطائرة ، التى زاد (باسل) من سرعتها وهو يغمغم :

ـ لم يعد الأمر معقولاً كما كان .. لقد انقلب الصراع إلى حرب شعواء .

واصل انطلاقه بالطائرة فوق الممر ، والسيارات الثلاث تطارده فى شراسة والرصاصات ترتطم بجسم الطائرة ، وتثير قلقه وتوتره .. ثم ارتفعت الطائرة ..

ومع ارتفاعها توقفت السيارات الثلاث ، وراح كل رجل فيها يطلق النار نحو الطائرة و (باسل) يهتف :

ـ لقد نجونا مؤقتًا .. نصف ساعة أخرى يحتمل فيها جسم الطائرة إصاباته ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، صك مسامعه صوت فرقعة مخيفة ، ثم

ارتجت الطائرة فى عنف ، ومالت شيئًا ما فجذب (باسل) عجلة القيادة مغمغمًا :

ـ لا .. ليس الآن .

ولكن النيران اشتعلت فجأة فى ذيل الطائرة ، التى عادت تميل على نحو بالغ الخطورة ، ثم انقضت فى سرعة على رمال الصحراء .

صحراء (كلورادو) الجرداء ..

* * *

لم يكن هناك مفرّ من سقوط الطائرة ، مع توقف محركيها ، والنار المشتعلة فى ذيلها ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بذل (باسل) قصارى جهده ، للسيطرة على الطائرة ، وهو يهبط بها نحو رمال الصحراء ، كما لو أنها طائرة شراعية بلا محرك ، من طائرات التدريب ..

ومع النيران المشتعلة فى الذيل ، لم يعد من الممكن استخدام الدفة ، والاتجاه يمينًا ويسارًا ، وإنما أصبح الاتجاه الوحيد المتاح هو إلى أسفل ، فلم يملك (باسل) سوى رفع مقدمة الطائرة ، وهى تهبط بسرعة إلى الرمال ، وكان هذا الإجراء عمليًا ومفيدًا للغاية ، فبدلاً من أن تصطدم المقدمة بالرمال ، وتنقلب الطائرة رأسًا على عقب ، استقبلت الأرض بباطنها ، وراحت تزحف فوقها طويلاً ، ثم مالت على جانبها ، وتحطم جناحها فى عنف ، ودارت حول نفسها ، ثم توقفت

وسط سحابة من الرمال والغبار والدخان ، فوثب (باسل) خارجها ، وانطلق يعدو مبتعدًا بكل سرعته .. ثم دوى الانفجار ..

انفجر خزّان الوقود بالطائرة ، وامتدت منه النيران لجسمها كله . وقفز جسد (باسل) على الرغم منه ، وارتطم بالرمال في عنف ، ودار رأسه في شدة ، فترك جسده يسترخى فوق الرمال ، وأغمض عينيه قليلاً ..

ومن بعيد ، رأى البروفيسير وهج الانفجار ، فانعقد حاجباه في شدة ، وهو يقول :

ـ لقد انفجرت الطائرة .

قال (سام) في برود :

ـ والعربى لقى مصرعه ، بنسبة ٨٧٪ .

زفر البروفيسير في توتر ، وهو يقول :

ـ من المؤكد أنه وجد وسيلة ما ، أو ...

بتر عبارته ، ولاذ بالصمت لحظات ، وقد انعقد حاجباه في شدة ، وحمل وجهه دلائل التفكير العميق ، قبل أن يقول :

ـ فليكن .. سأذهب بنفسى لتفقد الأمر .

سأله (سام) :

ـ هل نصطحب فريقًا من رجال الأمن ؟

هزّ البروفيسير رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلاّ .. سنذهب أنا وأنت فقط .

ثم تطلّع إليه مبتسمًا ، وهو يستطرد :

ـ أنت أفضل من جهاز أمن كامل .

وبينما هما يتبادلان الحديث ، كان (باسل) ينهض ، ويتطلّع إلى الطائرة ، التى أتت عليها النيران ، ثم يتلفّت حوله متمتمًا في توتر :

ـ والآن ماذا ستفعل يا (باسل) .. أنت الآن وحيد ، وسط صحراء (كلورادو) الجرداء ، دون دليل أو حتى بوصلة صغيرة .

ورفع رأسه إلى السماء ، مستطردًا :

ـ ليس لديك سوى أن تراجع معلوماتك عن النجوم والفلك ، والوسائل التى كان يتبعها البحارة القدامى ، لتحديد مواقعهم وخطوط سيرهم .

ثم اعتدل في اعتداد ، وأضاف في حزم :

ـ ثم إن الله (سبحانه وتعالى) يرعاك ، فلا تخش شيئًا .

التقط نفسًا عميقًا ، وألقى نظرة سريعة على معامل (أوفرين) التى تبدو من بعيد ، بأضوائها ومبانيها ، ثم يمّم وجهه شطر الجهة العكسية ، وجدّ السير في حزم ..

لم يكن يدرى إلى أين يقوده هذا بالضبط ، ولكنه يعلم أن الوسيلة الوحيدة للفرار ، من تجربة البروفيسير (أوفرين) الرهيبة . هى الابتعاد عن معامله بقدر الإمكان ، حتى ولو كان هذا يعنى خوض الصحراء نفسها ..

وفجأة ، انتبه (باسل) إلى صوت محرك سيارة ، تقترب بسرعة من موقعه ، فاستدار إلى مصدر الصوت ، وهو يقول فى توتر :

- من الواضح أنهم بدءوا المطاردة على الفور .

أسرع يختفى خلف بعض الصخور ، وهو يراقب المنطقة ، التى يأتى منها الصوت ، وأدهشه ألا يرى أضواء السيارة التى تقترب ، وتساءل :

- كيف يقودها سائقها ، وسط الصحراء الوعرة ، والصخور المتناثرة فى كل مكان ، دون أن يشعل أضواءها ؟!

ثم ظهرت السيارة ..

كانت واحدة من سيارات (الجيب) ذات الطراز الخاص ، الأكثر قوة ومتانة ، يقودها رجل واحد ، وإلى جواره رجل آخر ..

ولم تكن المصابيح مضاءة ..

وتوقفت السيارة أمام الطائرة ، التى خبت نيرانها قليلاً ، فتمكن (باسل) من رؤية الرجلين ، اللذين غادراها ووقفا يراقبان النيران ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم :

- البروفيسير (أوفرين) و (سام) وحدهما ؟! عجبًا ! كنت أتوقع فريقًا من رجال الحراسة !!

راح يراقبهما فى اهتمام ، دون أن يسمع حديثهما ، والبروفيسير يقول :

- من الواضح أن الطائرة لم تتحطم مع السقوط ، وإنما امتدت إليها النيران ، بعد نجاحها فى الهبوط .. ألم أقل لك :

- إن (باسل) هذا سيجد وسيلة للنجاة .

قال (سام) :

- إنه يجيد قيادة الطائرات إلى حد كبير ، ثم إنه رياضى وجرىء ، فقد قفز من الطائرة فور هبوطها ، وابتعد عنها عدوًا .

التفت إليه البروفيسير ، وهو يقول فى لهفة :

- هل عثرت على آثاره ؟

أشار (سام) إلى الرمال ، وقال :

- ها هى ذى .

اتسعت عينا (باسل) فى دهشة بالغة ، عندما أشار (سام) إلى آثار قدميه مباشرة ، وسط الظلام والضوء الخافت ، وسمع البروفيسير يسأل مساعده فى اهتمام :

- وأين ذهب ؟

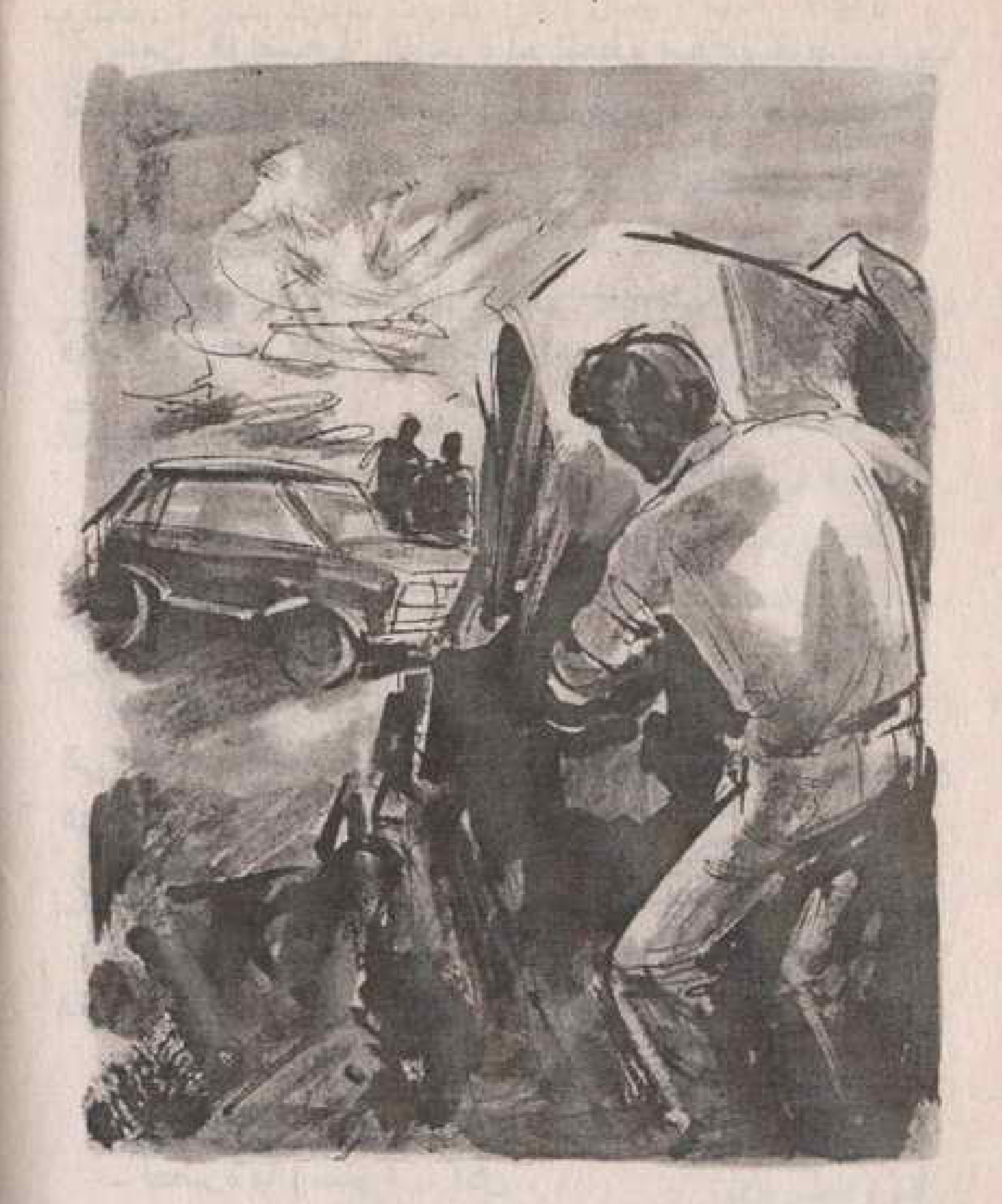
رفع (سام) عينيه ، إلى حيث يختبئ (باسل) تمامًا ، وقال :

- هناك .

صاح البروفيسير :

- أحضره يا (سام) .. الآن .

تحرك (سام) فى خطوات سريعة نحو الصخرة ، التى



رفع (سام) عينيه ، إلى حيث يختبئ (باسل) تمامًا ، وقال :
ـ هناك !!

يختفى خلفها (باسل) وكأنه يعرف هدفه بالضبط ، فهتف (باسل) لنفسه :

ـ هذا الرجل ليس طبيعيًا بالتأكيد .

وأدرك أنه من غير المجدى أن يظل مختبئًا ، فقفز من مكانه هاتفًا :

ـ فليكن هأنذا .

توقف (سام) على بعد أمتار قليلة منه ، وهو يقول :

ـ البروفيسير يريدك .

قال (باسل) فى عصبية :

ـ ولماذا لم يأت بنفسه ؟

تحرك البروفيسير نحوه فى سرعة ، وهو يقول :

ـ هأنذا يا (باسل) .. لقد أتيت إليك بنفسى ، لأعود بك إلى معاملى .

عقد (باسل) ساعديه أمام صدره فى صرامة ، وهو يقول :

ـ ولكننى أرفض الخضوع لتجاربك يا بروفيسير .

قهقه البروفيسير ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ ولكنك خضت التجربة بالفعل يا فتى .. ألم تدرك هذا ؟

تطلع إليه (باسل) فى شك ، فتابع ساخرًا :

ـ لقد بدأت التجربة منذ قفز الطيار من الطائرة ، وتركها تهوى وحدها ، فهرعت أنت إلى كابينة القيادة ، وأمسكت عجلة القيادة .. هل لاحظت عندئذ أنها كانت أكثر سمكًا من المعتاد ..

من المؤكد أنك لاحظت هذا ، ولكنك لم تدرك ما يعنيه .. الواقع أن عجلة القيادة كانت تحوى أجهزة فحص بالغة الدقة ، نقلت كل معاملاتك الحيوية فى أثناء الأزمة .. ضغط الدم ، سرعة النبض ، معدل إفراز العرق ، الاستجابات العصبية .. كل شىء .. وعندما استعدت وعيك فى مكتبى ، كانت أجهزتى تصوّر وتسجّل كل خلجة من خلجاتك ، وكل رد فعل تأتيه ، حتى أصبح لدينا ملف كامل عنك .

سأله (باسل) :

- وما فائدة مثل هذا الملف ؟

ابتسم البروفيسير ، وأجاب فى حزم :

- إنها الخطوة الأولى ، لدراسة الأشخاص الذين يتميزون بالذكاء والحنكة ، أما الخطوة التالية ، التى ستحسم الأمر تمامًا ، فهى فحص السائل الخلوى المحيط بخلايا مخك ، لتحديد المادة الكيميائية ، التى يفرزها عقلك ، فى حالات الخطر .

قال (باسل) فى حدة :

- وماذا عن تلك التى يفرزها عقلك أنت ، فى حالات الجنون ؟

هزّ (أوفرين) رأسه ، وقال :

- لا شأن لنا بها ، فى الوقت الحالى .. ربما فيما بعد .

ثم التفت إلى (سام) وقال :

- هيا .. احمله إلى المعمل .. إننا نحتاج إلى سائله المخى .

اتجه (سام) إلى (باسل) ، قائلاً :

- هيا بنا .. سنعود إلى المعامل .

ولكن (باسل) انقضّ عليه ، هاتفًا :

- الأمر ليس سهلاً كما تتصوّر يا صاحبى .

وهوى بقبضته على فك (سام) ، إلا أن هذا الأخير أمسك قبضة (باسل) فى قوة ، قبل أن تبلغ فكه ، ثم حمل (باسل) نفسه فى خفة ، وبقوة مدهشة وألقاه فى عنف فوق رمال الصحراء ، كما لو أنه يلقى حجرًا صغيرًا ، فتطلّع إليه (باسل) فى دهشة ، فى حين قهقه البروفيسير ضاحكًا مرة أخرى ، قبل أن يقول :

- نسيت أن أخبرك يا عزيزى (باسل) .. (سام) ليس بشريًا مثلى ومثلك .. إنه شخص آلى .

وكانت مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة .

* * *

٢ ـ المفـــاجأة ..

كانت المفاجأة مدهشة بحق ، حتى إن (باسـل) ظل يتطلّع إلى (سام) طويلاً ، فأطلق البروفيسير ضحكة أخرى ، وقال :

ـ دهشتك البالغة هذه تسعدنى ، وتملأ نفسى فخرًا وزهوًا ، فهذا الرجل الآلى (سام وان) ، هو أفضل ما صنعت فى حياتى كلهـا .. إنـه رجل آلـى من الطـراز الأول ، وضـع تصميماتـه الأولية فريق من علماء مركز أبحاث الجيش ، وأضفت أنا إليه بعض التعديلات الجوهرية ، مثل الغلاف المطاطى الشبيه بـالجلد البشرى ، وأجهزة الرؤية فى الظـلام ، والذاكرة الإليكترونيـة ، ولكن أفضل مـا أضفتـه إليـه هـو برنـامج الذكـاء الصنـاعى الفائق .. وهذا البرنامج هو أساس أبحاثى الحديثة ، وهو عبارة عن ست وحدات ذاكرة إليكترونيـة ، تحمـل عددًا هـائلاً مـن الخبرات ، وتعمل بأسلوب جديد ومتطوّر بحيث يمكن للشخص الآلـى مواجهـة أشياء لـم يتعرّض لهـا مـن قبل ، عن طريـق مراجعتها مع كل الخبرات المختزنة فى وحدات الذاكرة ، واحدة بعد الأخرى ، فإذا ما فشلت كل وحدة منفصلة فى إيجاد الحل ، تتضافر الوحدات كلها ، حتى تعثر على حل منطقى واضح .

وانتفخت أوداجه ، وهو يستطرد بعينين متألقتين :

ـ المهم أن (سام) سيجد الحل حتمًا .

قال (باسل) فى صرامة ، وهو ينهض فى حذر :

ـ فى بلادنا نقول (بإذن الله تعالى) .

ثم أضاف وهو يلقى نظرة على (سام) :

ـ إذن فهذا سر برودة وجمود مشاعره ، ولا مبالاته الدائمـة بالخطر .. وأعتقد أن لقبه (وان) يعنى رقم (واحد) بالعربية ؟

أومأ (أوفرين) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح ، فهو النسخة الأولى والوحيدة .

تراجع (باسل) ، قائلاً :

ـ وماذا عن قدراته الأخرى ، مثل ...

وانطلق يعدو فجأة نحو السيارة (الجيب) فهتف البروفيسير :

ـ امنعه يا (سام) .

اندفـع (سـام) خلـف (باسـل) ، الـذى راوغـه فـى مهـارة وخفة ، ثم قفز يركله فى وجهه الآلى ، هاتفًا :

ـ تُرى كم تبلغ درجة احتمالك يا (سام وان) ؟

تلقى الرجل الآلى الضربة فى لامبالاة ، دون أن يهتز سلك واحد فى جسده المعدنى ، ثم أمسك قدم (باسل) ، ودفعه بعيدًا ، فسقط (باسل) على ظهره ، ولكنـه عـاد يقف على قدميـه فـى سرعة ، وانزلق مبتعـدًا عـن ذراع (سـام) ، ثـم وثـب إلـى السيارة ، وهو يقول :

ـ معذرة يا (سام وان) .. لست مستعدًّا لقتالك الآن .

وضغط دوّاسة الوقود بكل قوته ، فانطلقت (الجيب) مبتعدة ، ولكن البروفيسير هتف فى غضب لا تتركه يفلت يا (سام) .

كان (باسل) ينطلق بالسيارة بأقصى سرعة ، ولكنه فوجئ بالرجل الآلى يعدو خلفها بسرعة خرافية ، لايمكن أن يبلغها بشرى ..

حتى بطل العالم فى الجرى ..

ولم تمض لحظات ، حتى كان (سام) قد بلغ السيارة ، على الرغم من سرعتها ، وقال فى برود آلى مستفز :

- توقف .. لقد خسرت السباق .

التقط (باسل) مسدسًا كبيرًا ، كان يطلّ من درج السيارة أمامه ، وهو يقول :

لم ينته السباق بعد .

قالها وأطلق النار بلا تردد ، على رأس الآلى ..

وارتطمت الرصاصات بجبهة وصدر (سام وان) ، ولكنها ارتدت عنه فى عنف ، ولم تخلف سوى بعض التمزقات فى الغلاف المطاطى لوجهه ، وحلته السوداء ، قبل أن يثبت على نحو مدهش ، وينتزع (باسل) من خلف عجلة القيادة ، قائلاً :

بل انتهى يا سيِّد (باسل) .

وبسرعة مدهشة ، كان يحتل مقعد القيادة ، ويلقى (باسل) إلى جواره ، ثم يدور بالسيارة فى خفة ، مستطردًا :

- البروفيسير ينتظر .

وفى هذه المرة ، لم يحاول (باسل) مقاومته ..

لقد جلس فى مقعده الجديد صامتًا ، يعقد حاجبيه فى شدة ،

ويبحث عن وسيلة لهزيمة ذلك الرجل الآلى ، الذى بقى صامتًا بدوره ، وهو يعود بالسيارة إلى حيث يقف البروفيسير (مارك أوفرين) ، الذى ابتسم فى سخرية وشماتة ، وهو يقول :

- كان ينبغى أن تعلم أن هزيمة رجل آلى مثل (سام وان) مستحيلة .

قال (باسل) فى حسم :

- كل ما أعلمه هو أن العقل البشرى هو الأقوى دائمًا ، مهما بدا العكس .

أطلق البروفيسير ضحكة عالية ممطوطة ، قبل أن يقول :

- خزعبلات يا فتى .. مجرَّد خزعبلات .. (سام) هذا هو أفضل شخص آلى ، منذ الخليقة .. ولم ينتج أحد تحفة مثله .. لقد صنعوه فى البداية لأغراض عسكرية ، فمنحوه القوة والمتانة والذكاء ، ومع التطويرات التى أضفتها إليه ، صار أشبه بآلة عسكرية متكاملة .. إنه يحل وحده محل فرقة كاملة .

قال (باسل) فى ثقة :

- ولكنه صنيعة عقل بشرى ، والكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده ، وسأجد حتمًا وسيلة للانتصار عليه .

قال البروفيسير فى سخرية :

- ربما بعد ألف عام .

ثم صعد إلى (الجيب) ، وقال مخاطبًا الشخص الآلى :

- أليس كذلك يا (سام) ؟

أجابه الآلى فى بروده المعدنى المثير :

ـ بل ربما بعد سبعة أشهر ، عندما ينتهى إنتاج (سام تو) .

التفت (باسل) إليه ، وسأله فجأة :

ـ ما الوسيلة المثلى لهزيمتك يا (سام وان) ؟

قهقه البروفيسير ضاحكًا ، وقال :

ـ محاولة طريفة ، ولكنها ليست مجدية يا (باسل) ، فبرنامج (سام وان) يمنعه من إجابة مثل هذا السؤال .. حتى المنطق يرفض هذا .

قال (باسل) :

ـ وهل يعترف الآليون بالمنطق ؟

أجابه البروفيسير ، و (سام) يقود السيارة ، عائدًا إلى المعامل :

ـ من الناحية العلمية والعملية فقط ، وليس من الناحية الفلسفية ، فلقد طاردك لأنه يعلم أنك تستطيع بلوغ قاعدة مراقبة ، بعد مسيرة نصف الساعة فحسب ، ولكنه لم يحاول قتلك ، لأنه لا مبرِّر لهذا .

برقت عينا (باسل) وهو يستمع إلى هذا الجواب ، ثم التفت إلى (سام وان) ، وقال فى هدوء بدا للبروفيسير عجيبًا ومريبًا :

ـ أخبرنى يا (سام) .. لو قلت لك إننى رجل كاذب ، فهل هذه العبارة صادقة أم كاذبة ؟

لم يفهم البروفيسير ما يعنيه (باسل) بسؤاله ، فتطلَّع إليه

فى دهشة وشك ، فى حين ضغط (سام) فرامل السيارة بغتة ورفع يديه عن عجلة القيادة ، ثم اعتدل ، وتوقَّف تمامًا ، فهتف البروفيسير فىعصبية :

ـ ماذا أصابه ؟ ماذا فعلت به ؟

ابتسم (باسم) فى هدوء ، وانحنى يفتح الباب المجاور للآلى ، ثم دفعه خارج السيارة ، كما لو كان قطعة من المعدن الجاف ، وعاد يحتل مقعد القيادة ، فهتف البروفيسير :

ـ أوقفه يا (سام) .. اقتله .

أجابه (باسل) ، وهو يدير المحرك فى بساطة :

ـ لا تحاول .. إنه لن يستجيب قط ، فكل دوائره ووحدات ذاكرته مشغولة الآن ، فى حل المشكلة التى طرحتها عليه ، ولن يعود إلى العمل ، فى الوقت الحالى .

اتسعت عينا البروفيسير فى ذهول ، وهو يقول :

ـ كيف ؟ كيف حدث هذا ؟

هزَّ (باسل) كتفيه ، وانطلق بالسيارة ، مبتعدًا عن المعامل ، وهو يجيب :

ـ إنها مفارقة منطقية ، لا يدركها إلا عقل بشرى ، يتمتع بما حباه به الخالق (عزَّ وجلَّ) ، من قدرة على التمييز بين الخطأ والصواب ، فلو أن (سام) أجاب بأن عبارتى كاذبة ، فسيعنى هذا أننى لا أكذب ، مما يجعل العبارة غير صحيحة ، وبالتالى أكون صادقًا ، ولكن هذا يعنى فى الوقت ذاته أن قولى صحيح ، وأننى أكذب .. ببساطة .. إنها مفارقة لا يمكن أن تجد

لها جوابًا منطقيًا ، مهما حاولت .. ولو طرحت عليك أنا هذا السؤال ، فلن يشغلك أمره أكثر من لحظات ، ثم تطرحه جانبًا ، وتعود إلى عملك ، ولكن (سام) شخص آلى ، حاول أن يجد الجواب الصحيح ، ففشلت وحدات ذاكرته فى إيجاده منفردة ، وهنا جندها كلها للبحث عن الجواب ، واضطر إلى إيقاف كل آلته عن العمل ، ليتفرَّغ للحل .

ثم أطلق ضحكة طويلة ، قبل أن يستطرد :

- وهذا يعنى أن تحفتك الحربية قد انهزمت يا رجل .

انهار البروفيسير تمامًا ، وهو يردد :

- مستحيل ! مستحيل .

ولم يناقشه (باسل) مرة أخرى ، بل واصل انطلاقه بالسيارة ، متجهًا نحو نقطة المراقبة ، حيث سيسلمهم الرجل ، ويروى لهم كل ما كشفه عن تجاريه غير القانونية ، التى تكفى لإلقائه خلف القضبان ، حتى آخر لحظة فى حياته ..

وكان هذا يعنى أن (باسل) قد اجتاز التجربة بنجاح ، وأثبت مرة أخرى أن العقل البشرى هو الأكثر تفوقًا ..

وهذا بالضبط ما دار فى ذهن البروفيسير (مارك أوفرين) وهو يبتعد عن معامله ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد .

(تمت بحمد الله)



١ـ السـرقة ..

« انظر يا (باسل) هذه الساعة .. إنها رائعة .. »

هتف (عامر) صديق (باسل) بهذه العبارة ، وهو يشير إلى ساعة أنيقة ، تحتل مكان الصدارة ، فى واجهة واحد من أكبر متاجر (نيويورك) ، فابتسم (باسل) ، وهو يقول :

ـ إنها ساعة أنيقة بالفعل .. مضادة للصدمات ، ومقاومة للماء .. ولكن هل تساوى ألف دولار حقًا ؟

هتف (عامر) فى حماس :

ـ بالتأكيد .. هل لاحظت إن غلافها من الذهب ؟

كانا فى (نيويورك) ، لحضور مؤتمر خاص بالحياة الكشفية العربية ، وخرجا للتجوال بعض الوقت ، بعد الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ، لذا فقد تطلّع (باسل) إلى ساعة معصمه ، وقال فى هدوء :

ـ أعتقد أن الوقت المتبقى لنا ، قبل بدء الجلسة الأولى ، لا يكفى لقضاء نصف الساعة أمام هذه الواجهة .

أشار (عامر) مرة أخرى إلى الساعة ، وقال فى حسم :

ـ سأشتريها .

ابتسم (باسل) ، وقال :

ـ عليك أن تفعل هذا بسرعة إذن ، وإلا فاتتنا البداية .

هتف (عامر) :

ـ اطمئن .. لن يستغرق الأمر سوى الوقت اللازم لصرف أحد الشيكات السياحية التى أحملها ، وشراء الساعة .

عقد (باسل) حاجبيه ، وقال :

ـ هذا يحتاج إلى وجود بنك فى الجوار .

أشار (عامر) إلى الرصيف المقابل ، قائلاً فى مرح :

ـ ها هوذا .. لن يستغرق الأمر سوى ربع الساعة على الأكثر بإذن الله .

واندفع إلى الرصيف المقابل ، و (باسل) يهتف خلفه :

ـ سأنتظرك هنا .

وعادت إليه ابتسامته ، وهو يتأمل الساعة فى الواجهة ، مغمغمًا :

ـ إنها أنيقة بالفعل .

وفجأة ، لمح شيئًا لم يرق له أبدًا .. كانت هناك سيارة سوداء ضخمة ، قد توقفت أمام البنك ، وبداخلها أربعة رجال ، راحوا يتحاورون فى شىء من العصبية ، قبل أن يندفع ثلاثة منهم إلى داخل البنك ، ويجلس الرابع خلف عجلة القيادة فى عصبية وتوتر واضحين ، وهو يتلفت حوله وكأنما يبحث عن شىء ما ..

وفى أعماق (باسل) قرع ناقوس الخطر ، وتمتم هو فى قلق :

ـ هذا الأمر يبدو كما لو أنه ...

وقبل أن يتم عبارته ، اندفع يعبر الشارع بدوره ، وعيناه معلقتان براكب السيارة وفى عقله شىء يصرخ :

- إنها عملية سرقة يا (باسل) .. احترس ..

أما فى داخل البنك ، فقد ابتسم (عامر) فى ارتياح ، عندما وجد البنك شبه خال ، إذ لم يكن به سوى أربعة من العملاء ، بالإضافة إلى موظفيه الخمسة ، الذين يقومون بالعمل فى همة ونشاط ، واقترب هو من أحد نوافذ الصرف ، واستعد بالشيك السياحى فى يده ، فى انتظار انتهاء العميل السابق له من مطالبه و ...

فجأة ، اقتحم الرجال الثلاثة البنك ، وهم يرتدون أقنعة سوداء ، تخفى نصف وجوههم تقريبًا ، وكل منهم يحمل مدفعًا آليًا قصيرًا ، وصرخ أحدهم فى خشونة :

- فليثبت كل منكم فى مكانه .

صرخ رواد البنك فى هلع ، وتراجع الموظفون فى ذعر ، فوثب نحوهم رجل آخر ، وقال فى حدة :

- إياك أن يأتى أحدكم حركة واحدة ، وإلا نسفت رأسه .

وألقى الثالث حقيبة كبيرة نحو موظف الخزانة ، هاتفًا :

- خذ يا رجل .. املأها بالمال ، ثم أعدها إلينا .

التقط الموظف الحقيبة وهو يرتجف ، وبدأ يلقى ما فى الخزانة بداخلها ، فى حين مدّ زميله يده فى حذر ، وضغط زرًا صغيرًا ، يختفى فى مكان سرى ، فصرخ به أحد الرجال الثلاثة فى غضب :

- رأيت ما فعلته يا هذا .

تراجع الموظف فى ذعر ، هاتفًا :

- أنا أعتذر .. لم أكن أقصد أن ..

ولكن الرجل لم يمهله ، وإنما ضغط زناد مدفعه الآلى فى غضب وقسوة ..

وانطلقت الرصاصات القاتلة تحصد الرجل ..

ومع دوى الرصاصات ، بلغ (باسل) موضع السيارة ، وهو يصرخ :

- يا إلهى ! لقد كنت على حق .

كان يهمّ باقتحام البنك بدوره ، لولا أن قفز قائد السيارة خارجها ، ورفع فى وجهه مدفعًا آليًا بدوره ، وهو يصرخ :

- إلى أين يا هذا ؟!

ولكن أعصاب (باسل) الثائرة ، وقلقه الشديد على صديقه (عامر) كان يمنعانه من التوقف ، لمناقشة مثل هذه السخافات ، لذا فقد انقض على المجرم الرابع بغتة وهو يقول :

- إلى الداخل .. ألديك مانع ؟

كانت انقضاضة مباغتة ، حتى أن المجرم لم يطلق النار ، وإنما تراجع فى دهشة وجزع ، فهوت قبضة (باسل) على فكه كالقنبلة ، وهذا الأخير يتابع :

- والآن .. هلا أفسحت لى الطريق ؟

سقط المجرم أرضًا ، ثم قفز واقفًا على قدميه بسرعة ، صارخًا :

- هل تجرؤ ؟ خذها منى إذن .
وضغط زناد مدفعه الآلى ..
وانطلقت الرصاصات ..
وعلى الرغم من البراعة التى يتميز بها ذلك المجرم ، فى إصابة الهدف ، إلا أن رصاصاته لم تصب جسد (باسل) قط ..
هذا لأن (باسل) لم يكن هناك ..
لقد مال جانبًا بسرعة مدهشة ، قبل أن تنطلق الرصاصات ، ثم أمسك معصم المجرم ، ورفع فوهة مدفعه عاليًا ، وهو يقول :
- من الخطأ أن تطلق النيران فى الشارع يا رجل .
وهوى على أنفه بلكمة أخرى ، مستطردًا :
- فهذا يستحق العقاب .
وانطلقت قبضته للمرة الثالثة فى وجه الرجل ، الذى ترنح فى شدة ، وحاول أن يحكم قبضته على مدفعه الآلى ، وهو يهتف فى تهالك :
- لا .. لا يمكنك هذا .
ولكن اللكمة الرابعة ، التى أصابت أسنانه مباشرة ، حسمت الأمر ، وأسقطته عند قدمى (باسل) فاقدًا الوعى ..
وفى اللحظة نفسها ، اندفع المجرمون الثلاثة خارج البنك ، وهم يحملون مدافعهم الآلية ، وأكياس النقود .
صاح أحدهم فى مزيج من الغضب والدهشة ، عندما شاهد ما أصاب زميله :

- انظروا .. لقد سقط (جاك) .
وعلى الفور ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية الثلاثة نحو (باسل) ، الذى قفز يلتقط مدفع (جاك) ، ويطلق نيرانه ، هاتفًا :
- الأمر ليس بهذه السهولة يا رجال .
أحاطتهم رصاصاته على نحو بالغ الخطورة ، فتراجعوا إلى داخل البنك مرة أخرى ، وصرخ زعيمهم محنقًا :
- من أين أتى هذا السخيف ؟
صاح به أحد زميليه فى توتر :
- ماذا سنفعل الآن يا (ألدو) ؟ أنه يسد طريق الخروج .
قال (ألدو) فى عصبية :
- لا ينبغى أن نسمح له بهذا .
حاولوا الاندفاع مرة أخرى خارج البنك ، ولكن رصاصات (باسل) أجبرتهم على التراجع ، فهتف (ألدو) فى سخط شديد :
- آه لو وقع فى يدى .. أقسم أن أمزقه شر ممزق .
قال زميله (ماك) فى توتر :
- هذا الوعيد سابق لأوانه .. المهم أن نخرج أولاً ، قبل وصول رجال الشرطة .
عقد (ألدو) حاجبيه ، وقال فى حدة :
- سنخرج حتمًا .

صاح به (لورد) ، زميله الآخر :

ـ كيف أيها العبقرى ؟ أنت تعلم مثلنا أنه لا يوجد باب خلفى للبنك .

استدار (ألدو) فى شراسة ، وأشار إلى رواد البنك ، قائلاً :

ـ ولكن يوجد عدد من الرهائن .

وانتزع (عامر) من بين الرواد الخمسة ، وألصق فوهة مسدسه بصدغه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أنت صديق ذلك العربى .. أليس كذلك ؟

وقبل أن يسمع جوابه ، هتف بكل قوته :

ـ صديقك فى قبضتنا أيها العربى .. افسح الطريق ، أو ألقى إليك جثته .

صاح به (باسل) :

ـ لن تجرؤ على فعل هذا .

انعقد حاجبا (ألدو) فى شدة ، وضغط زناد مسدسه فى غضب ، و ...

وانطلقت صرخة هائلة من حلق (عامر) ..

* * *

تدفقت الدماء من إصابة (عامر) وصرخ (ألدو) فى وحشية :

ـ هذه الرصاصة أصابت ذراع زميلك هذه المرة أيها العربى ،

ولكن الرصاصة الثانية ستخرق جمجمته بلا رحمة .

هتف (عامر) :

ـ إننى أحتاج إلى إسعاف عاجل .. هذه الرصاصة تؤلمنى بشدة .

صاح به (ماك) فى شراسة :

ـ اصمت أيها العربى .. فليفسح زميلك الطريق أولاً ، وبعدها افعل ما يحلو لك ..

قال (باسل) من الخارج فى توتر :

ـ حسن .. اتركوا (عامر) ، وسأفسح الطريق .

قالها ، وألقى المدفع الآلى جانبًا ، وابتعد عن الباب ، فهتف (ألدو) :

هذا أفضل . ثم دفع (عامر) أمامه ، مستطردًا :

ـ هيا أيها العربى .. سنتخذ منك درعًا . وغادر البنك وهو يحتمى به ، وما إن شاهد (باسل) ، حتى صرخ :

ـ لقد أقسمت أن أقتلك أيها العربى .

وأطلق رصاصات مدفعه نحو (باسل) ، ولكن بطلنا قفز خلف سيارة كبيرة ، وتركها تتلقى الرصاصات بدلاً منه ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت أبواق سيارات الشرطة القادمة ، فهتف (ماك) و (لورد) :

ـ الشرطة يا (ألدو) .. لقد وصل رجال الشرطة .

تراجع (ألدو) مرة ثانية داخل البنك ، وهو يقول فى غضب :

- هذا العربى السخيف مسئول عن هذا .

ظهرت سيارات الشرطة من كل ناحية ، وأحاطت بمدخل البنك ، وقفز رجال الشرطة يحتمون بسياراتهم ، وهم يصوبون مسدساتهم نحو البنك ، فصرخ (ألدو) فى شراسة ووحشية :

- إياكم أن تطلقوا رصاصة واحدة .. لدينا هنا تسع رهائن .. أقسم أن أبيدهم جميعًا ، لو حاولتم إلقاء القبض علينا .

صاح به أحد رجال الشرطة :

- هذا لن يفيدك يا رجل .. من الأفضل لك أن تستسلم .

أطلق (ألدو) ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يقول :

- هراء .. نحن الأقوى يا رجل ، وسنجبركم على طاعة أوامرنا ، وتنفيذ كل مطالبنا .

سأله رجل الشرطة :

- وما مطالبكم ؟

قال فى حدة :

- أن نخرج من هنا سالمين ، بكل ما معنا من أموال ، دون أن يعترضنا أحدكم .

همس له (ماك) :

- دعهم يأتون بطائرة هليكوبتر .

هتف (ألدو) :

نريد طائرة هليكوبتر ، تتسع لستة أفراد ، بخلاف قائدهم .

سأله (لورد) فى دهشة :

- ولماذا ستة أفراد ؟ إننا ثلاثة فحسب !

أجابه (ألدو) فى عصبية :

- لن نرحل دون رهائن أيها الغبى .

هتف رجل الشرطة من الخارج :

- وماذا لو رفضنا تنفيذ مطالبكم ؟

صاح به (ألدو) :

- سنقتل رهينة كل ربع ساعة ، حتى يتم تنفيذ مطالبنا .. وهذا ليس تهديدًا أجوفًا .. هل تفهم ؟

التفت رجل الشرطة إلى زميله ، وقال :

- أتظنه جادًا ؟

أتاه صوت (باسل) من خلفه ، يقول نعم .. إنه كذلك .. لقد أطلقوا النار بالفعل داخل البنك .

التفت إليه الإثنان فى دهشة ، وسأله أحدهم فى حذر :

- ومن أنت بالضبط ؟

أجابه (باسل) :

- أنا مصرى ، واسمى (باسل) ، وزميلى أحد الرهائن المحتجزين داخل البنك ، وأسعى جاهدًا لإنقاذه .

سأله الآخر فى شك :

- ومن أدرانا أنك لست زميلاً لهم ؟

هزّ (باسل) كتفيه ، وقال :

- لِمَ لا تسألهم ؟

قال الرجل فى حزم :

- سأفعل بالتأكيد . ثم التقط مكبرًا صوتيًا ، وقال :

- لدينا زميلكم العربى هنا .. هل تريدونه معكم ؟

صرخ (ألدو) فى غضب :

- زميلنا ؟! هل تهرج يا رجل ؟ لقد أقسمت أن أقتل هذا العربى ، لو رأيته أمامى مرة ثانية .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حدة :

- ويمكنك أن تعتبر هذا أحد مطالبنا .. أريد هذا العربى ، أو أقتل أربعة من الرهائن بدلاً منه .

عقد رجال الشرطة حواجبهم فى شدة ، وقال (أحدهم) :

- يبدو أنك تساوى الكثير يا (باسل) .

غمغم (باسل) :

- لست أشعر بالفخر لهذا .

ربّت الشرطى على كتفه متفهمًا ، وقال عبر المكبِّر الصوتى :

- يمكننا تنفيذ مطالبك الخاصة بالهليكوبتر ومغادرة البنك ، ولكننا لانستطيع تسليمك أحد المدنيين .. هذا مخالف للقانون .

صرخ (ألدو) :

- ولكننى أصرّ على هذا .

قال رجل الشرطة :

- قلت لك : إن هذا مستحيل ، لأن ...

قاطعه (باسل) فى هدوء :

- قل له إننى سأذهب إليه .

هتف رجل الشرطة فى دهشة :

- ماذا تقول ؟!

أجابه (باسل) بنفس الهدوء :

- لا تقلق بشأنى .. فقط أخبره أننى فى طريقى إليه .

حدّق الشرطى فى وجهه لحظة ، ثم أمسك مكبّر الصوت ، وقال :

- فليكن .. إنه فى طريقه إليك .

عقد (ألدو) حاجبيه فى شدة ، وجذب إبرة مدفعه الآلى ، وهو يقول فى شراسة ذئب مفترس :

- وأنا فى انتظاره .

التفت الشرطى إلى (باسل) ، وقال :

- والآن ، ماذا تنوى أن تفعل ؟ هل تـ ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى دهشة ، فى الموضع الذى كان يحتله (باسل) منذ لحظات ، ثم هتف :

- أين ذهب العربى ؟

تلفّت زميله حوله فى دهشة ، وقال :

- لست أدرى .. كان هنا منذ لحظات .

بدأ الحنق على وجه الشرطى ، وهو يقول :

ـ ما الذى يفعله هذا الشاب ؟ إنه ليس وقت الدعابات والهزل .. هؤلاء المجرمون يحتجزون بعض الرهائن ، وهو يهرب من هنا ، بعد أن وعدهم بالذهاب .

غمغم زميله :

ـ من حقه أن يخشى على حياته .

هتف الشرطى :

ـ نعم .. ولكن ليس من حقه أن ..

قاطعه زميله بغتة ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! انظر .. هناك .

التفت بسرعة إلى حيث يشير زميله ، واتسعت عيناه فى دهشة بالغة ..

كان (باسل) ينطلق ، على متن دراجة آلية ، نحو الباب الزجاجى الكبير للبنك ، بسرعة تثير الدهشة ، فهتف الشرطى :

ـ ما الذى يفعله هذا المجنون ؟

وفى البنك اتسعت أعين المجرمين فى دهشة ، وهتف (ألدو) وهو يصوِّب إليه مدفعه الآلى :

ـ هذا العربى مجنون .. مجنون بحق .

وبلا تردد ، ضغط زناد مدفعه الآلى .. وانطلقت رصاصاته القاتلة .

* * *

٢ ـ اقتحام ..

كان المشهد مبهرًا إلى حد كبير .. (باسل) ينطلق بالدراجة الآلية نحو الباب الزجاجى الكبير للبنك ، الذى اخترقته رصاصات (ألدو) فى محاولة لقتل (باسل) .. ولكن (باسل) مال بالدراجة الآلية على نحو بالغ المهارة والخفة ، ثم اعتدل بها ، ومال بجذعه فوقها ، وجذب مقودها فى قوة ، وهو يهتف :

ـ الآن .

ووثبت الدراجة الآلية فى مشهد رهيب ، وطارت لمترين كاملين ، قبل أن تخترق الباب الزجاجى فى دوى مكتوم ، وتندفع داخل البنك ..

وصرخ رواد البنك فى ارتياع ، وتراجع المجرمون الثلاثة فى ذعر ، فى حين صرخ (عامر) مبهورًا :

ـ لقد فعلتها يا (باسل) .. فعلتها يا صديقى .

وصاح (ألدو) فى غضب :

ـ ولكنه آخر شىء تفعله فى حياتك كلها .

إلا أن (باسل) لم يوقف الدراجة البخارية ، وإنما اندفع بها نحو (ألدو) مباشرة ، فصرخ هذا الأخير :

ـ ماذا تفعل أيها العربى ؟

وضغط زناد مدفعه الآلى .

ولكن الدراجة ارتطمت به فى اللحظة نفسها ، فطاشت رصاصاته كلها فى سقف البنك ، وأطلق صرخة ألم عنيفة ، وهو يسقط معها أرضًا ، وفوقه (باسل) ، الذى يقول ساخرًا :

ـ لا تتعجل الوعيد يا رجل .

ثم لكمه لكمة ساحقة فى أنفه ، مستطردًا :

ـ فربما كنت أنت من يتلقاه .

صرخ (ألدو) فى ألم :

ـ كيف تضربنى أيها العربى ..

أخرسه (باسل) بلكمة أخرى فى فكه ، وثالثة بين أسنانه ، فهوى فاقد الوعى ، وانحنى (باسل) يلتقط مدفعه الآلى ، و ..

« توقف وإلا سأقتل الجميع .. »

صرخ (لورد) بهذه العبارة ، وهو يصوب مدفعه الآلى إلى موظفى البنك وأضاف (ماك) فى عصبية بالغة :

ـ وهذا هو الإنذار الأول والأخير .

ألقى (باسل) مدفع (ألدو) جانبًا ، ونهض قائلاً :

ـ فليكن .. هل أتوقع مصرعى على الفور ؟

قال (ماك) فى حدة :

ـ ليس الآن .. إنك تساوى أكثر وأنت حى .

أما (لورد) فصاح موجهًا حديثه لرجال الشرطة :

ـ نريد الهليكوبتر على الفور ، وإلا قتلنا أحد الرهائن .

زفر رجال الشرطة فى حنق ، وقال أحدهم ساخطًا :

ـ اطلبوا حضور الهليكوبتر .

وفى البنك ، انحنى (ماك) يفحص (ألدو) ، وقال فى توتر :

ـ لن يستعيد وعيه قبل فترة طويلة .. لقد تحطَّم أنفه تمامًا .

ثم التفت إلى (لورد) يسأله :

ـ هل نحمله معنا ، عندما تصل الهليكوبتر ؟

هزَّ (لورد) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا ضرورةَ لهذا .. سيعيق حركتنا حتمًا .

ثم نظر إلى ساعته ، واستطرد فى توتر :

ـ ومن الضرورى أن نبرهن لرجال الشرطة أننا جادون .

سأله (باسل) فى قلق :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟

قال فى حدة :

ـ أعنى أن أمامهم ثلاث دقائق فحسب ، ثم نقتل أحد الرهائن .

قال (باسل) فى توتر :

ـ لا داعى لهذا .

صاح به (ماك) فى عصبية شديدة :

ـ إننا لا نهزل يا رجل .. لو مضى الوقت ، قبل أن تصل الهليوكوبتر ، سنقتل رفيقك هذا .

قالها ، وانتزع (عامر) من مكانه فى عنف ، وألصق فوهة مدفعه الآلى برأسه ، فقال (باسل) فى صرامة :

ـ لو مسست شعرة واحدة من رأسه سأ ...

قاطعه (لورد) فى حدة :

ـ هل جننت أيها العربى ؟ ألم تنتبه بعد إلى أننا نسيطر على الموقف ؟

عقد (باسل) ساعديه أمام صدره ، وقال :

ـ دوام الحال من المحال يا هذا .

قال (ماك) فى حدة :

ـ دع مواعظك لنفسك .

ثم نظر إلى ساعته ، واستطرد :

ـ بقيت دقيقة واحدة .

ارتجف (عامر) ، وهو يقول :

ـ قد تستغرق الهليكوبتر بعض الوقت للوصول إلى هنا .

قال (لورد) فى توتر :

ـ سيكون هذا من سوء حظك .

عقد (باسل) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ هذا الفتى يحتاج إلى ضمادات ، فهو ينزف فى غزارة ، وسيفقد الكثير من دمه ، لو لم نمنع هذا .

قال (ماك) فى سخرية :

ـ لو لم تصل الهليكوبتر بعد ثلاثين ثانية ، لن يقلقه كثيرًا ما فقده من الدماء .

ضحك (لورد) ، وقال فى تشفٍ :

ـ نعم سيفقد المزيد والمزيد .

شهق رواد البنك وموظفوه فى هلع ، فى حين هتف (عامر) :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

نظر (ماك) إلى ساعته ، وقال :

ـ يعنى أن أمامك عشرين ثانية فحسب ، ثم تفارق هذه الحياة .

قال (باسل) فى غضب :

ـ من يدرى ؟ ربما بقى هو ، ورحلت أنت !

أطلق (ماك) ضحكة عصبية ، وجذب إبرة مدفعه فى عنف ، وتركها ترتد برنين معدنى مخيف ، قبل أن يقول :

ـ مدفعى يقول عكس هذا .

ثم استطرد فى وحشية :

ـ انتهى الوقت يا رجل .. قل وداعًا لهذه الحياة المرهقة .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (عامر) ، وتحفز (باسل) للوثوب على (ماك) عندما انبعث فجأة صوت رجل الشرطة ، عبر مكبره الصوتى ، وهو يقول :

ـ الهليكوبتر وصلت .

زفر الحاضرون فى ارتياح ، وهتف (عامر) :

ـ حمدًا لله... حمدًا لله .

أما (ماك) ، فقد عقد حاجبيه فى شدة ، وكأنما لم يرق له أن يعتق وصول الهليكوبتر ضحيته ، فى حين صاح (لورد) :

- وأين ستهبط الهليكوبتر ؟

أجابه رجل الشرطة :

- أمام باب البنك مباشرة .

وهتف (لورد) :

- كلا .. دعها تهبط على السطح ، وسنصعد إليها مع الرهائن .

قال رجل الشرطة فى غضب :

قلت : إنك ستطلق سراحهم ، عند وصول الهليكوبتر .

هتف (لورد) ساخرًا :

- سأفعل عندما أشعر بالأمان يا رجل .

ثم صوب مدفعه إلى رواد البنك ، مستطردًا فى صرامة :

- هيا .. سنترك الموظفين هنا ، ونصعد معًا إلى السطح .

قال (باسل) :

- اترك (عامر) .. إنه بحاجة إلى إسعاف .

أجابه (لورد) :

- ليس لدى أدنى اعتراض بشرط أن تأتى بدلاً منه .

اتسعت عينا (عامر) فى هلع ، وهم بالاعتراض ، ولكن (باسل) استوقفه بإشارة حازمة فى يده ، وقال :

- فليكن .. إنه اتفاق عادل .

هتف (ماك) :

- هيا بنا إذن .

وترك المجرمان زميلهما (ألدو) الفاقد الوعى داخل البنك ، مع الموظفين الأربعة ، ودفعوا (باسل) وعملاء البنك الأربعة الآخرين أمامهم حتى السطح حيث كانت تنتظرهم الهليكوبتر ، وانتظر (ماك) حتى ركب زميله الهليكوبتر مع الرهائن الأربعة ، ثم التفت إلى (باسل) ، قائلاً :

- لا يوجد مكان لك يا صاح .. رحلتك تنتهى هنا .

وأطلق نيران مدفعه الآلى ..

بلا رحمة ..

* * *

لم يكد (ماك) و (لورد) يحملان رهائنهما والنقود إلى السطح ، لركوب الهليكوبتر ، حتى اندفع رجال الشرطة إلى البنك ، فصاح بهم (عامر) :

- هذا الرجل الفاقد الوعى هو أحد اللصوص .

أحاط رجال الشرطة معصمى (ألدو) بالأغلال وأسرع رجال الإسعاف يضمدون جرح (عامر) ، وهو يقول فى توتر :

- أسرعوا .. حاولوا إنقاذ (باسل) .. هذان المجرمان سيحاولان قتله حتمًا .

قال أحد رجال الشرطة :

- لو أننى فى موضعهم لفعلت حتمًا ، فصاحبك أثار جنونهم بجرأته وانتحاريته .

وابتسم رجل شرطة آخر ، وهو يقول :

ـ ولكننى لست أشعر بالقلق عليه ، عندما أتخيله فى مواجهتهما .

ثم رفع رأسه إلى أعلى ، مستطردًا :

ـ بل أشعر بالقلق عليهما .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى سمع الجميع دوى الرصاصات عند السطح ، فصرخ (عامر) :

ـ يا إلهى (باسل) !!

وفى اللحظة نفسها ، كان (باسل) يشتبك مع (ماك) ، الذى يصرخ مذهولاً :

ـ لا .. لن تهزمنى ..

كان (باسل) قد أدرك غرضه ، فور التفاته إليه ، فانقض عليه قبل أن يضغط زناد مدفعه الآلى ، ودفع فوهة المدفع إلى أعلى ، فطاشت الرصاصات فى الهواء ، ثم هوى بقبضته على معصم (ماك) ، وأجبره على التخلى عن المدفع ، قبل أن يشتبك معه فى قتال يدوى عنيف ..

وبكل ما يملك من قوة ، هوى (ماك) على فك (باسل) بلكمة ، استقبلها (باسل) على ساعده ، وهو يقول :

ـ نسيت أن أخبرك أيها المجرم .

وكال له لكمة بدوره فى فكه ، مستطردًا :

ـ لقد حصلت على المركز الثانى فى بطولة (مصر) للملاكمة .

سقط (ماك) أرضًا ، ثم هبّ واقفًا مرة أخرى ، وهتف :

ـ وأنا بطل ملاكمات الشوارع .

لكمه (باسل) فى أنفه ، ثم تفادى لكمته فى رشاقة ، ولكمه فى معدته ، وهو يقول ساخرًا :

ـ ملاكمات الشوارع عنيفة بالفعل .

ثم هوى على أنفه بلكمة ساحقة ، متابعًا :

ـ ولكنها لا تصمد أمام الملاكمة الفنية المدروسة .

شاهد (لورد) هذا القتال من داخل الهليكوبتر ، فتحسّس حقيبة النقود ، وقال لطيار الهليكوبتر فى عصبية :

ـ انطلق يا رجل .

سأله الطيار فى سخرية :

ـ هل تتخلى عن رفيقك ؟

هتف (لورد) فى عصبية :

ـ المال هو رفيقى الوحيد .. ارحل بنا عن هنا .

أدار الطيار مروحة الهليكوبتر ، فى نفس اللحظة التى سقط فيها (ماك) فاقدًا الوعى . تحت ضربات ولكمات (باسل) ، واندفع (باسل) نحو الهليكوبتر ، فصاح (لورد) فى توتر ، وهو يلوّح بمدفعه فى وجه الطيّار :

اصعد يا رجل .. اصعد .

جذب الطيّار عصا القيادة ، وارتفعت الهليكوبتر بالفعل ، وابتعدت متجاوزة السطح و (لورد) يصرخ :



لقد بدا كنسر قوى ، يسبح فى الهواء ، وهو يعبر تلك المسافة ، التى تفصل الهليكوبتر عن السطح ، غير مبال بارتفاع المبنى ، قبل أن يتعلق بجانب الهليكوبتر بمهارة مدهشة .

ـ أسرع يا رجل .. أسرع .

قال الطيّار متهكمًا :

ـ لماذا ترتجف هكذا يا رجل ؟ من منكما يحمل السلاح ؟

ولم يسمع (لورد) هذه العبارة ..

كانت حواسه كلها متعلقة بـ (باسل) ، الذى يعدو بكل قوته نحو الهليكوبتر ، التى تجاوزت السطح بالفعل ، و ...

ووثب (باسل) ..

وشهق جميع من شاهدوه فى انبهار ..

لقد بدا كنسر قوى ، يسبح فى الهواء ، وهو يعبر تلك المسافة ، التى تفصل الهليكوبتر عن السطح ، غير مبال بارتفاع المبنى ، قبل أن يتعلق بجانب الهليكوبتر بمهارة مدهشة ..

وصرخ (لورد) فى ذهول :

ـ مستحيل ! مستحيل !

أما الطيّار ، فاتسعت عيناه فى انبهار كامل ، وراح يحدّق فى (باسل) ، الذى فتح باب الهليكوبتر ، وقفز داخلها ، وهو يقول :

لقد التقينا مرة أخرى يا رجل .

صرخ (لورد) ، وهو يصوِّب مدفعه إليه :

ـ إنك لست شابًا عاديًا ..

لكمه (باسل) بكل قوته ، وكان هذا أكثر مما يحتمل (لورد) ..

المفاجأة ، والانبهار ، والألم ، والتوتر ، ولكمات (باسل) القوية ..

كل هذا حطم إرادته ، فصرخ :

- كفى .. كفى ..

ثم انتبه إلى أنه مازال يحمل مدفعه ، فاستطرد :

- أنت تستحق القتل أيها العربى .

ولكن (باسل) كبَّل يده فى سرعة ، وهو يقول :

- الأمر ليس بهذه السهولة .

استجمع (لورد) كل قوته ، ودفع (باسل) ، ثم صوَّب إليه مدفعه ، هاتفًا بكل الغضب والثورة فى أعماقه :

- خذها منى أيها العربى .

وفجأة ، امتدَّت عدة مسدسات فى وجهه ، وسمع صوتًا صارمًا يقول فى حزم :

- هيا .. اطلق النار أيها المجرم ، وامنحنا مبررًا كافيًا لتحويلك إلى مصفاة كثيرة الثقوب .

اتسعت عينا (لورد) فى ذهول ، وهو يحدِّق فى الوجوه المطلة عليه ، فى حين ابتسم طيار الهليكوبتر فى سخرية ، قائلاً :

- معذرة يا سارق البنوك .. لقد انتهزت فرصة قتالك مع هذا الشاب العربى ، فهبطت بالهليكوبتر ، إلى الشارع .

ابتسم (باسل) قائلاً :

حسنًا فعلت .

أما (لورد) فقد احتقن وجهه فى شدة ، وراح جسده يرتجف فى قوة ، فقال له الشرطى صاحب الصوت الصارم ، وهو يلصق فوهة مسدسه بجبهته ، ويجذب إبرته فى حزم :

- هيا .. اتخذ قرارك .. إننا لن نمضى يومنا كله فى انتظارك .

ألقى (لورد) مدفعه فى حنق ، وهو يقول :

- وهل تركتم لى فرصة للاختيار ؟

أحاط رجال الشرطة معصميه بالأغلال ، وهو يرمق (باسل) بنظرة غاضبة ، تفيض مقتًا وكراهية ، فى حين صافح الطيَّار (باسل) فى حرارة ، وهو يبتسم قائلاً :

- أهنئك يا فتى .. لو أنكم جميعًا من طراز هذا الشجاع الشهم ، فى عالمكم العربى ، فلن يدهشنى أن تصعدوا يومًا إلى قمة العالم .

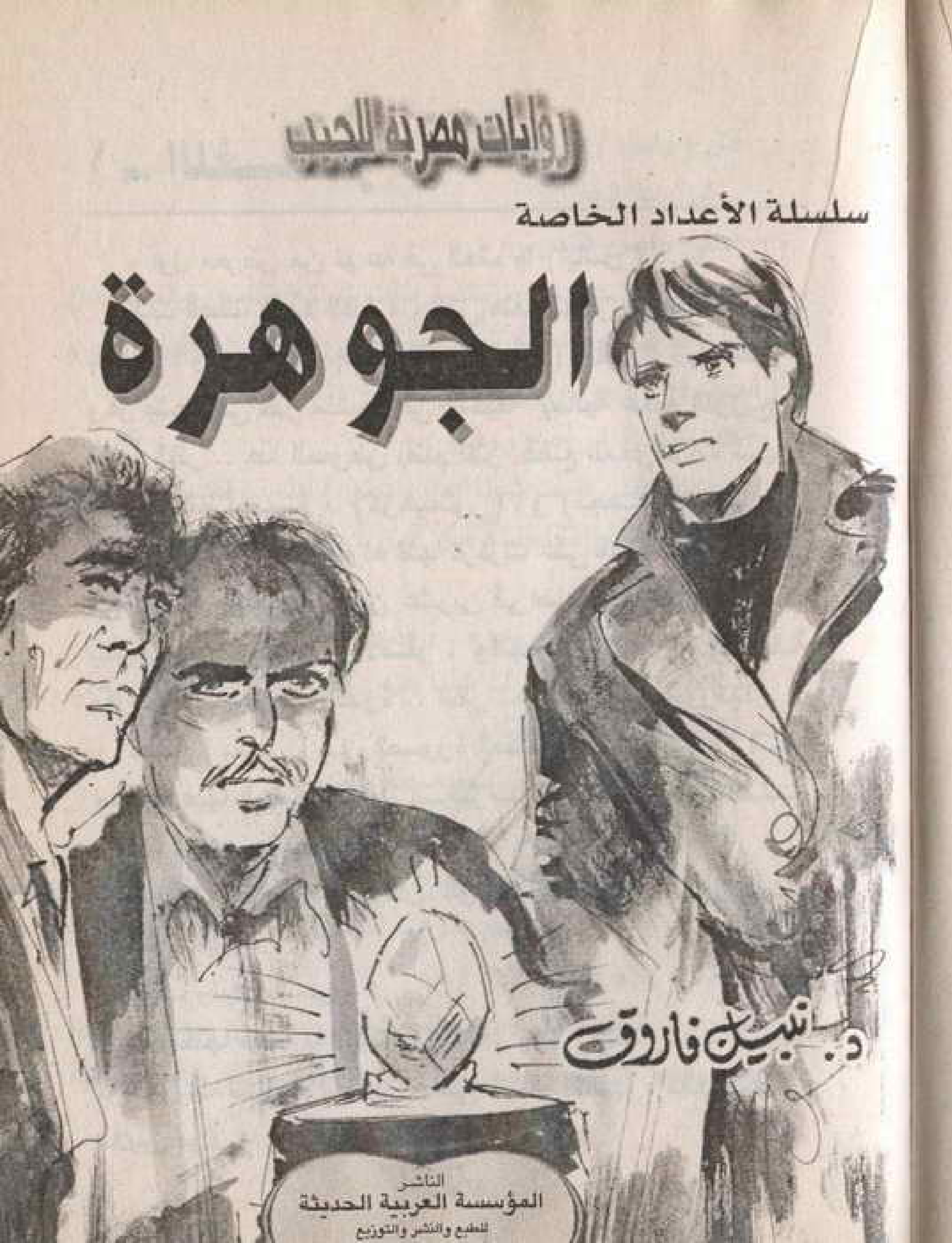
هزَّ (باسل) كتفيه ، وقال :

- ولن يدهشنا هذا أيضًا ، فقد كنا كذلك فيما مضى ، ومن الطبيعى أن نعود إلى ما كنا عليه .

كان الطيَّار يرغب فى الاستطراد ، لولا أن ارتفع صوت (عامر) ، وهو يهتف :

- (باسل) يا صديقى .. كنت رائعًا .

تصافحا فى حرارة ، وسأله (باسل) :



ـ هل تشعر بالارتياح ، بعد أن ضمدوا جرحك ؟

ابتسم (عامر) ، وقال :

ـ بل أشعر بالارتياح لأنك أثبت لهم أننا الأقوى .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى جدية . لقد ملأت نفسى بالفخر يا صديقى .

بدت ابتسامة (باسل) شديدة التواضع ، وهو يقول :

الفضل لله وحده يا صديقى .. والآن هيا بنا ، فلو أسرعنا قليلاً ، سمكننا اللحاق بالمحاضرة الأولى ، فى المؤتمر الكشفى .

رفع (عامر) سبَّابته ، وقال :

ـ ليس قبل أن أتم ما بدأته .

وأشار إلى واجهة المتجر ، مستطردًا :

ـ سأشترى الساعة .

وانفجرا ضاحكين فى مرح .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

١ ـ اللغـــز ..

« أول معرض من نوعه فى العالم يا (باسل) .. »

بدأت قصتنا بهذه العبارة ، التى هتف بها رئيس التحرير فى حماس ، وهو يتحدث إلى بطلنا (باسل) ، قبل أن يستطرد ، وهو يشير إلى خبر منشور فى صحيفة إيطالية عالية التوزيع :

ـ انظر .. هذا المعرض يضم أكثر قطع المجوهرات شهرة فى العالم أجمع .. (كوهينور) ، و (نجمة الصباح) ، وغيرهما .. ولكن الأضواء كلها تركزت على ماسة جديدة ، فى حجم بيضة الدجاج ، وتزن عشرين قيراطًا ، ولها لون عجيب ، يتأرجح بين السماوى والأصفر ، والجميع يؤكدون أنها تحفة معرض المجوهرات النادرة .. انظر .. ها هى ذى صورتها .

تطلع (باسل) إلى الصورة المنشورة بالجريدة ، والتى استخدم فيها المصور بعض التأثيرات الخاصة ، فبدت الماسة وكأنها تتألق تحت الأضواء ، فابتسم ، وقال :

ـ إنها تبدو وحيدة ، ولكن الواقع أن المجوهرات لا تجذب انتباهى كثيرًا .

هتف رئيس التحرير :

ـ ولكنها تحفة يا (باسل) .. هل تعلم .. لقد وافقت شركة من كبريات شركات التأمين ، على التأمين عليها ، مقابل عشرة ملايين دولار .

قال (باسل) فى دهشة :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أجابه رئيس التحرير :

ـ بل وأكثر من هذا .. لقد أرسلت شركة التأمين واحدًا من أشهر رجالها لحراسة الماسة ، التى يطلقون عليها اسم (المبهرة) ، وهو (ماريو دينو) .

هز (باسل) رأسه ، وقال :

ـ أعتقد أننى قرأت شيئًا عن (دينو) هذا .. لقد كشف لغز عشرات الجرائم الغامضة من قبل ، عندما كان يعمل فى الشرطة الإيطالية .

مال رئيس التحرير نحوه ، وابتسم قائلاً :

ـ عظيم .. ما دمت قرأت شيئًا عنه ، فلن يزعجك أن تلتقى به .

قال (باسل) فى حذر :

ـ ألتقى به ؟! ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

أجابه رئيس التحرير على الفور :

ـ يعنى أنك ستسافر صباح الغد إلى (روما) ، لتغطية افتتاح أول معرض للمجوهرات النادرة .. ولن أقبل أية اعتراضات هذه المرة .

ولم يعترض (باسل) .. بل لم يكن فى نيته أن يفعل ، فهو يرغب بالفعل فى لقاء (ماريو دينو) ، عبقرى الشرطة الإيطالية السابق ..

كان حفل الافتتاح متقنًا للغاية ، فى قاعة المعارض الخاصة فى (روما) ، ولقد سطعت العشرات من مصابيح التصوير فى المكان ، والصحفيون يتهافتون لالتقاط صور هذه المجوهرات النادرة ، التى تجتمع لأول مرة فى مكان واحد ، ولقد تكالب الجميع فى تلك القاعة ، التى توسطتها الماسة الجديدة (المبهرة) ، التى وقف صاحبها يقدمها فى زهو ، قائلاً :

- إنها ماسة من نوع خاص ، تم العثور عليها فى مناجم (جنوب إفريقيا) ، وهى نقية للغاية ، وتزن عشرين قيراطًا ، ولقد قدر الخبراء ثمنها باثنى عشر مليونًا من الدولارات .

سأله أحد الصحفيين :

- أليس من الخطر عرض ماسة بهذا الثمن ، فى مكان عام كهذا ؟

ابتسم اللورد (شوارتز) ، صاحب الماسة ، وهو يجيب :

- لقد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة بالفعل ، فالماسة كما ترى ، موضوعة فوق قاعدة سميكة ، ومحاطة بخيوط غير مرئية من أشعة الليزر ، يفصل بين كل منها والآخر سنتيمتر واحد ، ولو قطع هذه الخيوط أى جسم مادى ، تنطلق على الفور صفارات الإنذار ، ويتم إغلاق أبواب القاعة كلها فى خلال ثانيتين على الأكثر .. والأكثر أهمية أن الماسة مراقبة طوال الوقت بأربع آلات تصوير لا ينقطع عملها قط ، طوال الأربع والعشرين ساعة .. أضف إلى هذا رجال الأمن ، الذين ترونهم فى كل مكان .

قال صحفى آخر :

كل هذا يمكن التغلب عليه بقطع التيار .

أجابه رجل أشيب الشعر ، صارم الملامح ، يقف إلى جوار اللورد (شوارتز) :

- هذا لا يفيد ، فالمولدات الاحتياطية تعمل خلال ثانية ونصف ، من انقطاع التيار الرئيسى ، وهى فترة لا تكفى حتى بطل العالم فى الجرى ، ليهرب بالماسة .

سأله صحفى ثالث :

- ومن أنت بالضبط ، حتى تجزم بهذا ؟

شد الأشيب قامته ، وقال فى حزم :

- أنا المسئول الأول عن حماية الماسة (المبهرة) .. أنا (ماريو دينو) .

ارتفعت حواجب الصحفيين فى دهشة ، وعادت مصابيح التصوير تسطع ، لتلتقط صورة للشرطى الشهير ، فى حين تطلع إليه (باسل) فى فضول ، وهو يغمغم :

- إذن فأنت هو (دينو) .

وراح يتطلع فى اهتمام إلى تلك الملامح الصارمة ، التى توحى بأن صاحبها قضى حياة شاقة للغاية ، وسمع أحد الصحفيين يسأل (دينو) :

- وكم تتقاضى مقابل حراسة ماسة باثنى عشر مليونًا من الدولارات ؟

انعقد حاجبا (دينو) الكثيف ، وهو يقول فى خشونة :
أنا أتقاضى راتبى من شركة التأمين ، وهو يكفينى .
لاحظ (باسل) تلك الابتسامة الساخرة ، التى ارتسمت على شفتى اللورد (شوارتز) عندما نطق (دينو) هذه العبارة ، وتساءل فى أعماقه عن السبب ، الذى يدفع اللورد إلى الابتسامة على هذا النحو ، ولكنه احتفظ بسؤاله هذا فى داخله ، وألقى بدلاً منه سؤالاً آخر على (دينو) ، قائلاً :
وهل لك خبرة سابقة فى هذا المجال ، يا سيد (دينو) ؟
بدا الغضب على وجه الشرطى الإيطالى السابق ، وهو يجيب :
- خبرة سابقة ؟! من الواضح أنك تجهل من أنا يا فتى .
أجابه (باسل) فى هدوء :
- بل أعرفك جيدًا يا سنيور (دينو) ، ولكننى أتساءل :
هل خبرتك السابقة ، فى حل ألغاز الجرائم الغامضة ، تكفيك لإجادة عملك هذه المرة ، وأنت تحرس هذه الجوهرة النادرة ؟
لم يجب (دينو) على الفور ، وإنما عقد حاجبيه الكثيفين طويلاً ، وهو يرمق (باسل) بنظرة صارمة ، قبل أن يجيب فى صرامة :
- أنا أعرف أساليب المجرمين جيدًا .
كان (باسل) يرغب فى إلقاء سؤال آخر عليه ، ولكن (دينو) رفع يده ، وقال فى لهجة تحمل الكثير من التوتر والضجر :

- والآن .. هل من أسئلة أخرى ؟ حسن .. يمكنكم التقاط كل ما ترغبون من صور لجوهرتنا (المبهرة) ، ثم ...
قبل أن يتم عبارته ، انقطع التيار الكهربى بغتة ، وساد ظلام دامس فى المكان ، وهتف أحد رجال الأمن فى توتر :
- أحدهم قطع التيار الكهربى .
وهنا ارتفع صوت (دينو) ، وهو يصرخ :
- ابتعدوا .. ابتعدوا عن (المبهرة) .
وصاح اللورد (شوارتز) :
- ابعدهم جميعًا يا (دينو) .. لماذا تأخر ذلك المولد الاحتياطى ؟!
هتف (دينو) :
- ستسطع الأضواء حالاً .. إنه يحتاج ثوان معدودات فحسب .
صرخ اللورد (شوارتز) :
- أغلقوا الأبواب إذن .. حذار أن يخرج أحد من هنا .
شعر (باسل) بارتباك المحيطين به ، وانتابه الفضول لمعرفة ما يحدث من حوله ، ولكن أحدهم ارتطم به فى عنف ، وهو يهتف :
- ابتعد عنى .
نطقها الرجل فى خشونة ، وهو يدفع (باسل) جانبًا ، فتشبث به بطلنا فى حركة غريزية وهو يقول فى حزم :
- كلا .. لن أبتعد .

شعر بالرجل يستدير إليه ، وهوت قبضته على كتفـه ، وهـو يهتف :

ـ قلت لك : ابتعد .. ابتعد .

تشبث بـه (باسل) أكثر ، وهو يقول :

ـ ليس قبل أن أعرف سر تعجلك للخروج من هنا .

لـم يكـد ينطـق عبارتـه ، حتـى سـطعت أضـواء المولـد الاحتياطى ، ورأى (باسل) خصمه ، وهو يهوى على فكه بلكمة قوية ، فانحنى بحركة غريزية ، متفاديًا اللكمة وهو يقول :

ـ من الواضح أنك تخفى شيئًا يا رجل .

ثم اعتدل وهوى على فك خصمه بضربـة قويـة ، فـى نفس اللحظـة التـى انبعث فيها صوت اللـورد (شـوارتز) ، وهـو يصرخ :

ـ (المبهرة) .

وصاح (دينو) :

ـ مستحيل .

وقبل أن يستدير (باسل) ، كـان عقلـه قد رسـم صـورة واضحة لما حدث ، ولذلك فلم يشعر بدهشة بالغة ، عندما تطلع إلى قاعدة الجوهرة ، ووجدها خالية ..

كان من الواضح أن الجوهرة قد اختفت ..

اختفت تمامًا ..

* * *

اتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وهم يحدقون فـى القـاعدة الخالية ، قبل أن يهتف (دينو) :

ـ فليبق الجميع فى أماكنهم .

أسرع رجال الأمن إلى القاعة ، وأغلقوا أبوابها فى إحكـام ، وهتف أحدهم فى حزم :

ـ لقد أحطنا بالقاعة فور انقطاع التيار ، ونستطيع أن نجـزم بأن أحدًا لم يحاول الخروج منها .

قال (باسل) :

ـ فيما عدا هذا الرجل .

كـان يقبض علـى خصمـه فـى قـوة ، ويلـوى ذراعـه خلـف ظهره ، وهو يدفعه أمامه . فسأله (دينو) فى توتر :

ـ ومن هذا الرجل ؟

أجابه (باسل) :

ـ لست أدرى ، ولكنه انطلق محـاولاً الفرار ، فـور انقطـاع التيار .

صاح الرجل فى حنق :

ـ الفرار ؟! لقد أسأت تفسير الموقف يا فتـى .. أنـا لـم أكـن أحاول الفرار وإنما كنت أسرع لإبلاغ الخبر لجريدتى .

سأله اللورد (شوارتز) :

أى خبر ؟

أشار الرجل إلى القاعدة الخالية ، وهو يجيب :

ـ خبر اختفاء (المبهرة) .. كنت أرغب فى تحقيق سبق صحفى فريد .

سأله (باسل) فى سخرية :

ـ وكيف عرفت أنها قد اختفت ، قبل أن تسطع الأضواء ؟

أجابه الرجل فى حنق :

ـ لقد استنتجت أن هذا سيحدث ، فور انقطاع التيار .. هذا هو الفارق بين الصحفى الموهوب والصحفى العادى يا رجل .

قال (دينو) فى حزم ، وهو يشير إلى الرجل :

ـ انقطاع التيار لم يدم لأكثر من ثوان ، ومن الواضح أن الشخص الذى سرق الجوهرة قد وثب نحوها فور انقطاع التيار ، واختطفها من قاعدتها ، ثم دسها فى جيبه .. لا توجد وسيلة سوى هذا .. فتشوا إذن هذا الرجل ، وسنعثر على الجوهرة فى جيبه ، لو أنه السارق .

هتف الرجل فى حماس :

فكرة جيدة .. هيا .. فتشونى .. هيًا .

أحاط به رجال الأمن ، وراحوا يفتشون فى دقة وعناية ، قبل أن يقول رئيسهم فى حيرة :

ـ إنها ليست معه .

هتف (دينو) :

ـ فليتم تفتيش الجميع إذن .. (المبهرة) لم تخرج من هذا المكان .. أحدهم يخفيها حتمًا .

كانت أبواب المعرض قد أغلقت تمامًا ، فور انقطاع التيار الكهربى ، لذا فقد انتشر رجال الأمن فى المكان ، وراحوا يجرون تفتيشًا دقيقًا للبحث عن الجوهرة المختفية ، واللورد (شوارتز) يفرك كفّيه فى عصبية ، وهو يقول :

ـ سيجدونها حتمًا .. أليس كذلك ؟ سيجدونها يا سنيور (دينو) .. أخبرنى أنهم سيجدونها .

أجابه (دينو) فى صرامة :

ـ اهدأ يا لورد (شوارتز) .. (المبهرة) لم تخرج من هذا المكان .. الوقت لم يكن يكفى لهذا ، ورجال الأمن يفتشون كل شخص وكل مكان بمنتهى الدقة ، وأعتقد أنهم سيجدونها .

ولكن (دينو) ، رجل الشرطة الإيطالى السابق الشهير ، جانبه الصواب هذه المرة .. لقد استغرق تفتيش الجميع ساعة كاملة ، وبعدها انهمك رجال الأمن فى تفتيش المكان وفحصه لساعة أخرى ، ثم تمَ تفتيش رجال الأمن أنفسهم ..

ولكن بلا طائل .

لقد اختفت (المبهرة) تمامًا ..

اختفت وكأنه لم يكن لها وجود قط ، حتى إن اللورد (شوارتز) هتف فى ذهول :

ـ ولكن أين ذهبت ؟ أين اختفت (المبهرة) .. لقد كنا جميعًا هنا .. أليس كذلك ؟

قال (باسل) فى صرامة :

لقد قلتها يا لورد (شوارتز) .. كنا جميعًا هنا .
حدّق النورد فى وجهه ، وهو يقول :
ماذا تعنى بالضبط أيها العربى ؟
أجابه (باسل) على الفور :
ـ أعنى أنه لم يتم تفتيشك أنت .
تراجع اللورد كالمصعوق ، وهو يهتف :
ـ أنا ؟!
وصاح رئيس فريق الأمن فى غضب :
ـ هل جننت يا فتى ؟! اللورد (شوارتز) هو صاحب الماسة ، فلماذا يسعى لسرقتها ؟
أجابه (باسل) فى حزم :
ليحصل على قيمة التأمين .. عشرة ملايين دولار ليست بالمبلغ الهين .. أليس كذلك ؟
احتقن وجه اللورد فى شدة ، فى حين انعقد حاجبا (دينو) الكثين ، وهو يقول فى غضب ، مشيرًا بسبّابته إلى (باسل) :
ـ هل تحاول أن تبدو ذكيًّا أيها العربى ؟
ولكن اللورد أمسك به ، وهو يقول :
ـ مهلاً يا سنيور (دينو) .. الفتى العربى على حق .. لابد أن يتم تفتيشى ، وإلا ملأت نظريته عقول الجميع .
ثم استدار لرجال الأمن ، مستطردًا :
ـ هيًا .. فتشونى جيدًا .

قام رجال الأمن بعملهم على أكمل وجه ، حتى قال رئيسهم :
ـ لم نعثر على شىء .
ابتسم اللورد ، وهو يتطلع إلى (باسل) قائلاً :
ـ هل تشعر بالارتياح الآن أيها الشاب ؟
هزّ (باسل) كتفيه ، وقال :
ـ ليس كثيرًا .
صاح به (دينو) فى غضب :
ـ ماذا تريد أيضًا ؟ ألم يتم تفتيش اللورد (شوارتز) كما طلبت ؟
استقبل (باسل) ثورته فى هدوء ، وقال :
ـ وماذا عنك يا سنيور (دينو) ؟
صرخ (دينو) فى ثورة :
ـ هل تريد تفتيشى أيضًا ؟
أجابه (باسل) بابتسامة هادئة للغاية :
ـ ولم لا ؟
احتقن وجه (دينو) فى شدة ، ثم انقض فجأة على (باسل) ، وهو يهتف :
ـ أنت تحتاج إلى درس قاسٍ أيها العربى .
قالها ، وهوى بقبضته على فك (باسل) ، إلا أن هذا الأخير انحنى فى مرونة ، متفاديًا اللكمة القوية ، وهو يقول :
ـ من حقك أن تحاول يا سنيور (دينو) .



قالها ، وهوى بقبضته على فك (باسل) ، إلا أن هذا الأخير انحنى فى مرونة ، متفاديًا اللكمة القوية ..

فقد (دينو) توازنه ، عندما أصابت قبضته الهواء ، ولكنه استعاد توازنه فى سرعة وهوى بلكمة ثانية على وجه (باسل) ، الذى تفاداها بمهارة مماثلة ، وهو يقول :

- ويؤسفنى أنك لن تجد هذا سهلاً .

صرخ (دينو) فى غضب :

- سأحطم وجهك أيها العربى .

وهوى بقبضته للمرة الثالثة على وجه (باسل) ، الذى مال جانبًا ، وترك قبضة رجل الشرطة الإيطالى تتجاوزه ، ثم أمسك معصمه فى قوة ، وهو يقول :

- يبدو أنك تضطرنى لأداء عمل أبغضه يا سنيور (دينو) .

ثم لوى ذراع الرجل خلف ظهره فى سرعة ومهارة مستطردًا :

فليس من اللياقة أن أتشاجر مع مَنْ هو أكبر سنًا منى .

اندفع رجال الأمن نحو (باسل) ، عندما سيطر على (دينو) ، وصاح به أحدهم فى حدة ، وهو ينتزع مسدسه :

- اتركه أيها العربى .. ليس من حقك أن تفعل هذا .

قال (باسل) فى حزم :

- إنه دفاع مشروع عن النفس .. كلكم رأيتم ما حدث .

أجابه رجل الأمن ، وهو يصوب إليه مسدسه :

- قلت : اتركه .

أجابه (باسل) :

ـ فليكن .. لست ممن يحبون مخالفة القانون .

قالها وأفلت ذراع (دينو) ، الذى استدار إليه فى حنق ، وهتف بكل ما يملأ نفسه من سخط وغضب :

ـ أنت تستحق هذا أيها العربى .

وفى حركة سريعة انتزع مسدسه ، و ...

وأطلق النار .

★ ★ ★

٢ ـ بريق الخطر ..

لم يكن (باسل) يتوقع أبدًا أن يفقد (دينو) سيطرته على أعصابه ، ويطلق عليه النار ، داخل معرض المجوهرات النادرة ، وأمام هذا الحشد من الصحفيين ورجال الأمن ، وعلى الرغم من هذا ، فلم يكد يلمح المسدس ، و (دينو) يصوبه إليه ، حتى تحرك فى سرعة ، محاولاً تفادى الرصاصة ، ولكنه سمع الدوى عنيفًا ، وشعر بألم فى ذراعه ، قبل أن تنفجر منه الدماء ، ورأى رجال الأمن ينقضون على (دينو) ، وينتزعون منه مسدسه ، واللورد (شوارتز) يصرخ فى ارتياع :

ـ (دينو) .. هل جُننت ؟

ثم أمسكه من سترته فى عنف ، وصاح فى وجهه :

ـ إنك ستفسد كل شىء .

كان وجه (دينو) محتقنًا فى شدة ، وهو يقول :

ـ لقد .. لقد فقدت السيطرة على أعصابى .

أسرع بعض رجال الأمن لإسعاف (باسل) ، الذى قال فى توتر :

ـ اطمئنوا .. إنه جرح سطحى .

فى حين غمغم رئيس الأمن فى دهشة :

ـ (دينو) يفقد السيطرة على أعصابه ؟! إنها أول مرة يحدث فيها هذا .

بدا الضيق على وجه (دينو) ، وهو يغمغم :
ـ أنت على حق .. لم يحدث هذا قط من قبل .
ثم تطلع إلى (باسل) ، قائلاً :
ـ هل ستقدم شكوى ضدى ؟
هز (باسل) رأسه نفيًا ، وهو يقول :
ـ إنه جرح سطحى ، والأمر لا يستحق إفساد تاريخ (دينو) الشهير .
زفر (دينو) فى ارتياح ، وغمغم :
ـ أشكرك .. أشكرك كثيرًا .
ثم رفع ذراعيه ، قائلاً لرئيس الأمن :
ـ أنا مستعد للتفتيش .
قال رئيس الأمن فى حرج :
ـ فليكن .. ما دمت ترغب فى هذا .
تعلقت عيون الجميع برجل الشرطة الشهير ، وزملاؤه يفرغون محتويات جيوبه ..
ولقد كانت محتويات عجيبة ومدهشة بحق ..
مسدس عتيق ، وعدد من خزانات الرصاص ، وعدسة كبيرة ، ومسحوق فحص البصمات ، وجهاز لاسلكى فى حجم قداحة صغيرة ، ومفكرة صغيرة لتدوين الملاحظات ..
وفى ارتياح ، قال رئيس الأمن :
ـ لا يوجد أثر للجوهرة .

أعاد (دينو) أشياءه إلى جيبه ، وهو يقول :
ـ هل اطمأن قلبك الآن أيها العربى ؟
أجابه (باسل) :
ـ بل تضاعفت حيرتى يا سنيور (دينو) ، فلو أن الجوهرة ليست مع أى شخص من الحاضرين ، وليست فى أى مكان هنا ، فأين ذهبت ؟
قال اللورد (شوارتز) فى حيرة :
ـ نعم .. أين ذهبت (المبهرة) يا (دينو) ؟
هز مفتش البوليس السابق رأسه فى حيرة ، وأشار إلى القاعدة الخالية ، وهو يقول :
ـ لست أدرى .. لقد كانت هنا .. أمام عيوننا جميعًا ، والتيار الكهربى لم ينقطع لأكثر من ثوانٍ ، فأين ذهبت ؟
قال أحد الصحفيين :
ـ ألا يحتمل أن أحدهم اختطفها ، وجرى إلى الخارج ، قبل أن يعمل المولد الاحتياطى ؟
أجابه رئيس الأمن :
ـ هذا مستحيل تمامًا ، فرجالنا كانوا يقفون عند الأبواب ، عندما انقطع التيار الكهربى ، وقد أغلقوا الأبواب كلها على الفور ، ثم إن المسافة من هنا وحتى الأبواب الخارجية ، تحتاج إلى أكثر من تلك الثوانى لبلوغها .
قال (باسل) :

- إذن فالجوهرة هنا ، ولم تغادر المكان قط .

مط (دينو) شفتيه ، وقال :

- مرة أخرى ستتظاهر بالذكاء أيها العربى .

أشار إليه (باسل) ، وقال :

- فليكن .. لن أحاول هذا مرة أخرى .. أرنى أنت ما ستفعله أيها العبقرى .

هتف أحد الصحفيين :

- نعم .. دعونا نشاهد (دينو) العبقرى وهو يعمل .. هيا يا سنيور (دينو) .. ابدأ بحثك عن الجوهرة .

انعقد حاجبا (دينو) الكثين ، وهو يقول :

- ليس الأمر سهلاً كما تتصورون .. لقد اختفت (المبهرة) ، ولم يغادر أحد المكان ، وهى ليست معكم ، وليست فى أى مكان هنا ، ورجال الأمن فتشوا كل شىء ، فيما عدا ..

قالها وهو يرفع عينيه إلى أعلى ، فهتف به أحد الصحفيين فى لهفة :

- فيما عدا ماذا ؟

أشار (دينو) إلى فتحات التهوية المرتفعة ، قائلاً :

- فيما عدا فتحات التهوية هذه .

تطلع رجال الأمن إلى فتحات التهوية فى حيرة ، وقال رئيسهم :

- ولكن الفتحات مرتفعة كثيرًا ، كيف يمكن للسارق بلوغها ؟

أجابه (دينو) فى حماس :

- من الواضح أنه ليس سارقًا واحدًا ، بل هى عصابة كاملة ، بدليل أن أحدهم قطع التيار الكهربى ، فانقض الثانى على الجوهرة ، وسرقها من قاعدتها ، ثم أسرع إلى ثالث ، وجعله يحمله على كتفيه ، ووضع الجوهرة فى واحدة من فتحات التهوية ، ثم هبط بسرعة ، قبل أن يعود التيار الكهربى من المولدات الاحتياطية .

دارت عيون الجميع مرة أخرى على فتحات التهوية ، ثم غمغم رئيس الأمن :

- من السهل التأكد من هذا .

ولنصف ساعة أخرى ، انهمك رجال الأمن فى فحص فتحات التهوية ، ثم قال رئيسهم فى ضيق :

- لم نعثر على أى شىء .. أظن نظريتك غير سليمة هذه المرة يا سنيور (دينو) .

التفت اللورد (شوارتز) إلى (دينو) ، وسأله :

- هل يعنى هذا أن الجوهرة قد اختفت يا سنيور (دينو) ؟

هزَّ (دينو) رأسه فى عصبية ، وهو يقول :

- اطمئن يا لورد (شوارتز) .. لو لم نعثر على الجوهرة ستحصل على قيمة التأمين كاملة .. اطمئن .

قال اللورد فى غضب :

- ولكن الجوهرة تساوى اثنى عشر مليونًا ، وقيمة التأمين لا تتجاوز العشرة ملايين دولار .

قال (دينو) بعصبية مفرطة :

- هذا أفضل من لا شيء .

سأل (باسل) (دينو) :

- ولكن ماذا عن اللغز نفسه ؟ لقد اختفت جوهرة نادرة ، في مكان محدود .. ألا يثير هذا حيرتك ، ورغبتك في البحث ؟

هتف به (دينو) :

- قل لي من أين أبدأ ؟

قال صحفي آخر :

- من حيث انقطع التيار الكهربي مثلاً .

أجابه (دينو) في توتر :

- لقد قطع أحدهم التيار ، ثم اختفي تمامًا ، ولم يعثر له رجال الأمن على أثر .

لم يرق هذا الأمر أبدًا لبطلنا (باسل) ..

كان يشعر بأنه من المستحيل أن تختفي الجوهرة على هذا النحو ..

إنها لم تغادر المكان حتمًا .

هذا هو المنطق الوحيد ، الذي ينبغي أن يتشبث به ..

ولكن أين يمكن أن تكون ؟

أين ؟

انتزعه من أفكاره صوت اللورد (شوارتز) ، وهو يقول في حنق :

- إذن فقد عجزتم جميعًا عن العثور على جوهرتي ، التي اختفت هنا .. لقد خسرت (المبهرة) إذن .. خسرت كل شيء ..

أجابه (دينو) في حدة :

- لا تنهر هكذا أيها اللورد .. أنت بالذات تستند إلى قاعدة قوية ، ولن تخسر إلا أقل القليل ، أما أنا فسأفقد عملي .. هل تفهم ؟ أنا سأفقد عملي ، وأنت تربح عشرة ملايين دولار .

وهنا اندفع (باسل) يقول :

- اطمئن يا سنيور (دينو) .. لن يحصل اللورد على دولار واحد ، فلدي مفاجأة له .

وكان قوله هذا عجيبًا !

عجيبًا بحق !!

★ ★ ★

حدقت العيون كلها في وجه (باسل) ، الذي بدا هادئًا واثقًا ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة كبيرة ، فعقد (دينو) حاجبيه الكثين ، ولوح بسبابته في وجه (باسل) ، وهو يقول في غضب وحدة :

- اسمع أيها العربي .. لقد سئمت محاولاتك السخيفة هذه للتظاهر بالذكاء .

برقت عينا (باسل) ، وهو يقول :

- ولكنني لا أحاول شيئًا هذه المرة يا سنيور (دينو) .. كل ما في الأمر أنني كشفت السر ، الذي يحير الجميع .

هتف رئيس الأمن فى دهشة :

ـ السر ؟! أى سر ؟!

هزّ (باسل) كتفيه ، وهو يجيب فى هدوء :

ـ وهل يوجد سر غيره ؟ إننى أقصد سر اختفاء الجوهرة بالطبع .

لهث رئيس الأمن من فرط الانفعال ، وهو يسأله :

ـ أتعنى أنك تعرف أين هى ؟

رفع (باسل) سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول فى ثقة :

ـ بالطبع .. أنا أعرف أين هى ، وأعرف أيضًا مَنْ فعل هذا .

ابتسم (دينو) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هنا تكمن المشكلة .. فى أن كل شخص يظن نفسه ذكيًا ، لمجرد أنه قرأ بعض الروايات البوليسية .

التفت إليه (باسل) ، وقال :

ـ بل المشكلة الحقيقية تكمن فى تلك النظم الاجتماعية المؤسفة يا سنيور (دينو) ، التى تجعل رجلاً مثلك يحارب الجريمة ، لأكثر من ربع قرن ، ثم لا يجد فى النهاية معاش تقاعد كاف ، يغنيه عن البحث عن مورد رزق آخر .

عاد حاجبا (دينو) الكثّين ينعقدان ، وهو يقول فى عصبية :

ـ وما شأن هذا بالأمر ؟

قال له (باسل) فى هدوء :

ـ انظر إلى عصبيتك الزائدة هذه ، وستجد الجواب واضحًا يا سنيور (دينو) .. قل لى بالله عليك .. كيف يحارب رجل مثلك الجريمة لربع قرن ، ويواجه أصعب وأعقد الألغاز البوليسية ، دون أن يفقد أعصابه مرة واحدة ، ثم ينهار فجأة ويفقد السيطرة على أعصابه تمامًا ، حتى إنه ينتزع مسدسه ، ويحاول قتلى أمام حشد من رجال الصحافة ، وفريق من رجال الأمن ؟!

ألا يبدو لك هذا عجيبًا ، ومثيرًا للحيرة والتفكير ؟! ما تفسير هذا الانقلاب فى رأيك ؟

لم ينبس (دينو) ببنت شفة ، بل ازدرد لعابه فى وضوح ، وتصبب عرق بارد على جبينه ، على الرغم من برودة الجو ، وهو يتطلع إلى (باسل) فى صمت ، فاستطرد هذا الأخير فى أسف واضح :

ـ التفسير المنطقى الوحيد هو أن رجل الشرطة السابق متوتر للغاية ، لأنه يقدم على عمل يخالف طبيعته ، التى جبل عليها طوال عمره .

قال (دينو) :

ـ أنت لا تدرك ما تقوله .

ولكن قوله هذا جاء مضطربًا متوترًا ، على نحو جعل الجميع يتطلعون إليه فى دهشة ، فى حين قال اللورد (شوارتز) فى عصبية :

لا تلتفت لهذا الفتى العربى .. إنه يتذاكى فحسب ، ولكنه لا يحمل شيئًا حقيقيًا .

قال (باسل) :

ـ أخطأت القول أيها اللورد ، فأنا أحمل الحقيقة على الأقل ، وهى شىء مفيد للغاية ، ولكن ماذا عما يحمله صديقنا (دينو) ؟ لماذا يحمل فى جيبه جهازًا لاسلكيًا صغيرًا ، فى حجم القداحة ؟ فيم يستخدمه بالضبط ؟

شحب وجه اللورد ، وهو يحدق فى (باسل) ، فى حين خفض (دينو) عينيه ، وراح يفرك أصابعه فى عصبية شديدة ، فتابع (باسل) :

ـ أنا سأخبركم فيم يستخدمه .. الواقع أن هذا الذى يحمله عزيزنا (دينو) ، ليس جهازًا لاسلكيًا بالمعنى المفهوم .. إنه جهاز تحكم عن بُعد (ريموت كنترول) .

قال رئيس الأمن فى دهشة :

ـ ولماذا يحمل (دينو) جهاز تحكم عن بُعد ؟!

رفع (باسل) سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ لقد ألقيت على نفسى السؤال ذاته ، وحرت فى البحث عن الجواب ، حتى سمعت (دينو) يقول للورد : إنه يستند إلى قاعدة قوية .. وعندئذ قفز الحل كله إلى ذهنى ، وربطته بعصبية (دينو) وبالابتسامة الساخرة التى ارتسمت على وجه اللورد ، عندما أتى ذكر مرتب (دينو) .. لقد أدركت على الفور أن الحل كله يكمن فى القاعدة .

ازداد شحوب وجه اللورد ، وترقرقت عينا (دينو) بدموع الأسى ، ورئيس الأمن يقول فى توتر شديد :

ـ وماذا عن القاعدة ؟

أجابه (باسل) ، وهو يشير إلى قاعدة الجوهرة المختفية :

ـ لو فحصت هذه القاعدة ، ستجد أن قمتها تنفتح فى سرعة ، عندما تتلقى إشارة خاصة ، من جهاز تحكم عن بعد ، فتسقط الجوهرة فى تجويف خاص داخلها ، ثم تُغلق القمة مرة ثانية .. وهذا بالضبط ما حدث ، عندما قطع أحد رجال اللورد التيار الكهربى ، ثم ضغط (دينو) جهاز التحكم عن بعد فى جيبه ، فانفتحت قاعدة الجوهرة ، وابتلعتها ، وانغلقت مرة ثانية ، وعندما سطعت الأضواء وجدنا جميعًا أن الجوهرة قد اختفت ، ولم يتم العثور عليها فى أى مكان ، لأنها بكل بساطة لم تغادر قاعدتها ، وإنما انتقلت فحسب من فوقها إلى داخلها .

حدّق الجميع فى القاعدة ، وغمغم رئيس الأمن فى انفعال ، وهو يتطلع إلى (دينو) فى ارتياع واضح :

ـ أهذا صحيح يا سنيور (دينو) ؟

سقطت دمعة ندم ومرارة من عينى (دينو) ، وانحدرت على وجنته ، وهو يخرج جهاز التحكم عن بعد من جيبه ، ويضغط زره قائلاً :

ـ نعم .. إنه صحيح .

ومع ضغطة الزر انفتحت قمة القاعدة ، وبدت الجوهرة (المبهرة) ، وهى مستقرة داخلها فى هدوء ، وشهق الجميع فى

دهشة ، ثم سطعت مصابيح آلات التصوير مرة أخرى والصحفيون يلتقطون صور الجوهرة والقاعدة ، فى حين التفت (باسل) إلى اللورد ، وقال فى صرامة :

- لم تنجح خطتك للأسف أيها اللورد .. صحيح أنك نجحت فى إقناع (دينو) الشهير بالتخلى عن مبادئه ، ومعاونتك فى إخفاء الجوهرة ، لتحصل على عشرة ملايين دولار ، مقابل رشوة ضخمة تدفعها له ، وربما تبلغ أيضًا مليونًا أو مليونين ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) كان لك بالمرصاد ، ولم تفلح خطتك المتقنة قط .

احتقن وجه اللورد فى شدة ، ثم صاح فى (دينو) :

- اقتله يا (دينو) .. لا تقف صامتًا هكذا ..

اقتل هذا الفتى العربى ، الذى أفسد العملية كلها .. اقتله .

انتزع (دينو) مسدسه فى سرعة ، وصرخ رئيس الأمن :

لا يا (دينو) .. لا تتورط أكثر .

وتحرك (باسل) فى سرعة ، محاولاً تفادى الرصاصة ، واللورد يصرخ فى غضب هادر :

- اقتله يا (دينو) .. اقتله .

ولكن (دينو) أدار مسدسه فى غضب إلى اللورد ، وهو يقول :

- بل أنت الذى يستحق القتل .

ثم أمسك اللورد من سترته ، وجذبه إليه فى عنف ، وهو يستطرد فى غضب ومرارة :

- كيف نجحت فى إقناعى ؟ كيف خدعتنى على هذا النحو ؟ لقد أفسدت تاريخى كله .. أفسدت حياتى كلها ؟

شحب وجه اللورد ، وهو يقول فى ذعر :

- ولكنك وافقت يا عزيزى (دينو) .. أنا لم أجبرك .

صرخ فيه (دينو) :

- ولكنك خدعتنى .. خدعتنى أكبر خدعة فى حياتى .

ثم جذب إبرة مسدسه ، وألصق فوهته بصدغ اللورد ، مستطردًا فى ثورة :

- أنت الذى يستحق القتل ، و ...

قاطعه صوت (باسل) ، وهو يقول :

- ولكن القتل أمر بغيض للغاية يا سنيور (دينو) ، وهو كفيل حقًا بتدمير تاريخك كله .

التفت إليه (دينو) ، فتابع فى حزم هادئ :

- مشكلتك الآن تنحصر مع شركة التأمين ، وأعتقد أنها ستكتفى بفصلك ، أما لو قتلته ، فستخسر تاريخك كله بالفعل .. صدقنى يارجل .. مازالت لديك فرصة لتبقى .. أعطنى مسدسك .

ران صمت رهيب على المكان ، والجميع يتطلعون إلى (دينو) فى قلق ، إلا أنه لم يلبث أن خفض عينيه ، وترك دموعه تنهمر على وجهه ، وهو يناول مسدسه إلى (باسل) ، قائلاً :

- أنت على حق .. لا داعى لأن أخسر كل شىء .

وكـان سـبقًا صحفيًـا رائعًـا ، بالنسـبة لهـذا الحشـد مـن الصحفيين ، الذين التقطوا عشرات الصور للحظات القبض على اللورد (شوارتز) ، ورجل الشـرطة الإيطـالى الشـهير (مـاريو دينو) ..

وعادت مصابيح التصويـر تسطع مـرة أخـرى فـى القاعـة ، ليلتقط الجميع صورة البطل الذى كشف اللعبة كلها ..

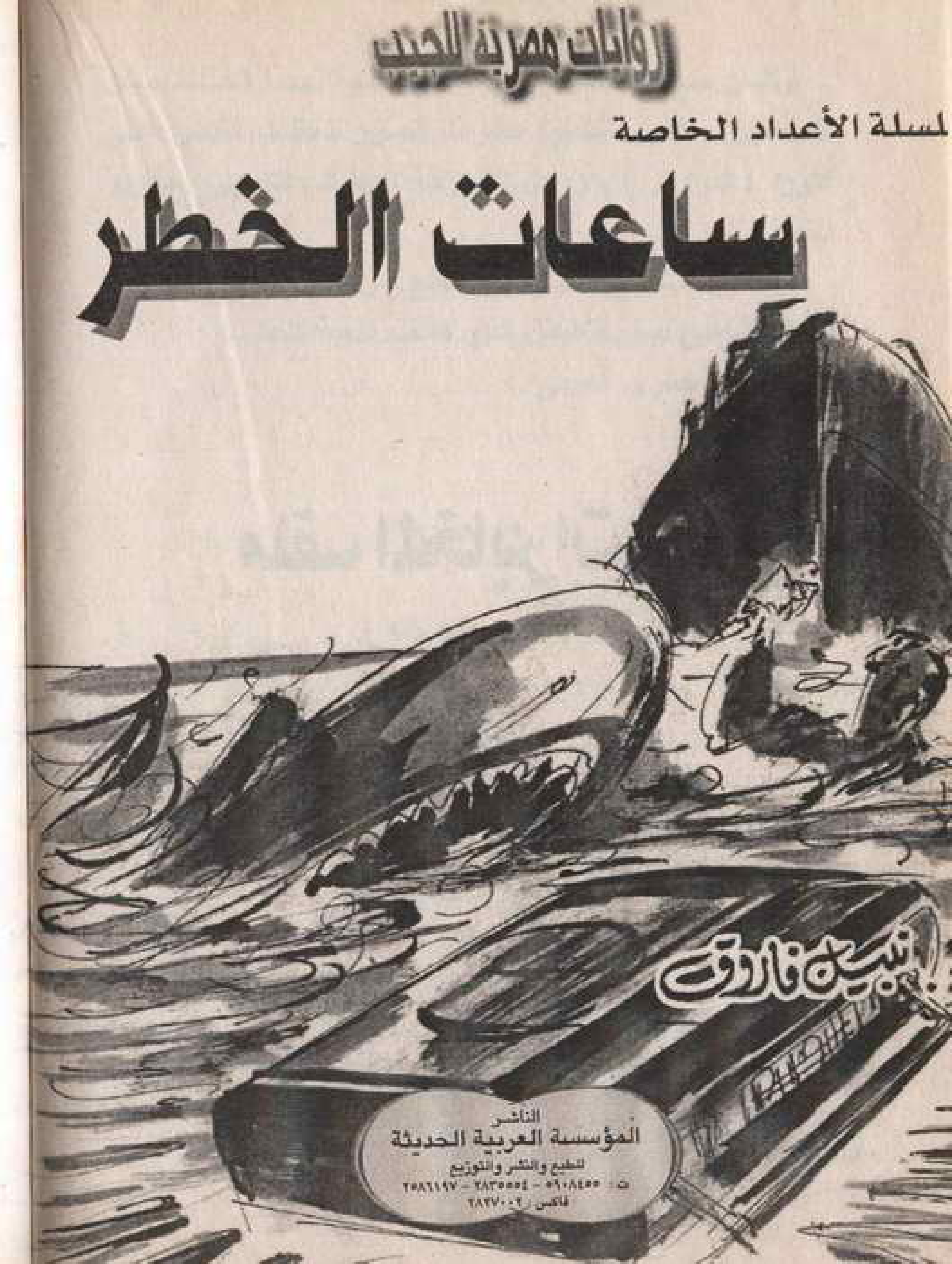
البطل المصرى العربى ..

(باسل) .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

ملف المخابرات العربية



١ ـ أسرار عسكرية ..

انطلقت سيارة صغيرة فرنسية الصنع ، تشق شوارع (باريس) فى ساعة مبكرة من صباح أحد أيام الصيف ، وهى تحمل لوحة أرقام رسمية ، مع العلامة المميزة لسيارات الشرطة ، وذلك المصباح المتردّد على سقفها ، وعبرت منطقة برج (إيفل) فى سرعة متوسطة ، قبل أن تنحرف إلى اليمين ، وتتوقف أمام بناية كبيرة ، يوحى طاقم الحراسة أمام بوابتها بأن أحد قاطنيها شخص ذو مكانة مرموقة ، وهبط من السيارة رجل متين البنيان ، طويل القامة ، رياضى القوام ، رمق أفراد طاقم الحراسة بنظرة صارمة ، قبل أن يسأل :

ـ هل استيقظ الملحق العسكرى العربى ؟

أجابه رئيس الطاقم فى احترام :

ـ لستَ أدرى يا سيادة المفتش ، ولكننا نعلم أنه فى انتظاركم ، للذهاب تحت حراستكم إلى مؤتمر الطاقة .

أومأ الرجل برأسه ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .. عظيم .

ثم خطا داخل البناية فى خطوات واسعة ثابتة ، واستقل مصعدها التقليدى إلى الطابق الرابع ، حيث يقيم الملحق العسكرى العربى ، وعندما غادره ، رصدت عيناه فى اهتمام رجل الحراسة

الذى يجلس إلى جوار باب شقة الملحق ، وزميله الذى يقف عند مدخل السلم ، وقد تحفز كل منهما لاستقبال القادم ، وشدَّ قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ المفتش (بوردو) ، من الشرطة الخاصة الفرنسية .. لقد أتيت لاصطحاب الملحق .. أهو مستعد ؟

قال رجل الحراسة الأول بسرعة :

ـ إنه فى انتظارك يا سيدى المفتش .

ارتسمت على شفتى الرجل ابتسامة عجيبة ، تحمل من السخرية أكثر مما تحمل من الارتياح ، وهو يدس يده فى جيب سترته ، مرددًا :

ـ هذا عظيم .. عظيم للغاية .

وفجأة ، وبحركة غير متوقَّعة ، انتزع من جيبه مسدسًا مزودًا بكاتم للصوت ، وأطلق رصاصة نحو رجل الحراسة ، الجالس إلى جوار الباب ، فأرداه قتيلاً ، فى حين هتف زميله فى انزعاج :

ـ ربَّاه ! إنها خدعة .

قالها ، وهو يدير فوهة مسدسه نحو المفتش المزعوم ، الذى تحرك فى خفة مدهشة ودار على عقبيه فى مرونة فائقة ، وأطلق رصاصة ثانية ألحقت رجل الحراسة الثانى بزميله ، ثم اعتدل وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يغمغم :

ـ بالطبع أيها الغبى .. إنها خدعة ، ولكنها خدعة متقنة .

ودق جرس الباب فى هدوء ، وأدار بيدِهِ الممسكة بالمسدس خلف ظهره ، وانتظر حتى فتح الملحق العسكرى العربى الباب ، وتطلَّع إليه فى توتُّر ، قائلا :

ـ من أنت ؟ وأين رجال الحراسة ؟

ألقى الرجل نظرة سريعة على الحقيبة التى تربطها سلسلة معدنية قوية بمعصم الملحق ، قبل أن يقول بلهجة عجيبة :

ـ أنا المفتش (بوردو) .

انعقد حاجبا الملحق العسكرى العربى ، وهو يقول فى حدة :

ـ كلا .. لست المفتش (بوردو) .. من أنت بالضبط ؟

ومع آخر حروف كلماته ، لمح بقعة الدماء الكبيرة ، التى تحيط بالحارس الصريع ، الملقى أرضًا ، إلى جوار الباب ، فتراجع مُطلقًا شهقة عنيفة ، فى نفس اللحظة التى أبرز فيها المفتش الزائف مسدسه ، وهو يجيب ساخرًا :

ـ أنا الرجل الذى سينهى علاقتك بالحياة .

قفزت يد الملحق العسكرى بسرعة إلى مسدسه ، ولكن القاتل كان أسرع منه ، وهو يضغط زناد مسدسه ، و .....

وانتهى الأمر فى لحظة واحدة .

وفى هدوء عجيب ، يشف عن روح قاسية لا مبالية ، اتجه القاتل إلى جثة الملحق العسكرى ، وأطلق رصاصة على السلسلة المعدنية ، التى تربط معصمه بالحقيبة ، فحطم إحدى حلقاتها ، وانتزع الحقيبة ، وهو يقول ساخرًا :

- أشكرك .. هذا كل ما نحتاج إليه .

وغادر المكان فى هدوء ، وقال لطاقم الحراسة عند بوابة البناية ، قبل أن يستقل سيارة الشرطة المزيفة :

- الملحق لم يستعد بعد .. سنتفقد المكان ، ونعود إليكم بعد نصف الساعة .

ولم يكد يغلق باب السيارة خلفه ، حتى انطلق بها مبتعدًا عن المكان ، وهو يبتسم فى سخرية ، ويربت بيده اليمنى على الحقيبة التى تحوى واحدًا من أخطر الأسرار العسكرية العربية ..

أو لعله أخطرها على الإطلاق ..

* * *

غلف الصمت والهدوء كالمعتاد ذلك المبنى المهيب ، فى مكان ما من المنطقة العربية ، حتى ليخيل للناظرين والمراقبين أنه مجرّد مبنى مهجور ، تلاشى فيه كل أثر للحياة ، منذ زمن طويل ، إلا أن المشهد من الداخل كان يختلف تمام الاختلاف ، إذ كان المكان أشبه بخلية نحل نشطة ، يتحرك كل شخص فيها فى سرعة ونظام لاستقبال سيل لا ينقطع من المعلومات ، من كل ركن من أركان المعمورة ، والتعامل طوال الوقت مع عدد يصعب حصره من العملاء والأفراد ، من مختلف الجنسيات والمهن ، ومتابعة أكثر من ألف عملية ، تدور بدقة متناهية فى قارات العالم أجمع .

ولو أنك سألت كل المارين والقاطنين ، على مقربة من ذلك المبنى ، عن هويته لما حصلت قط على جواب شاف ، إذ إنه

وباستثناء العاملين فيه ، لم تكن هناك سوى قلة نادرة ، فى الوطن العربى كله يمكنها معرفة أنه مبنى قيادة المخابرات العربية المشتركة ..

وفى داخل المبنى ، وفى حجرة اجتماعات خاصة ، للصفوة من أفراد جهاز المخابرات ، جلس مدير الجهاز مع عدد من القادة العسكريين العرب ، يناقشون حادث سرقة حقيبة الأسرار العسكرية ، وكان أحدهم يقول متوترًا :

- الأمر ينطوى على خطر بالغ بالتأكيد ، فتلك الحقيبة تحوى نسخة كاملة من التصميمات التى أعدتها صفوة من أكبر علمائنا وأفضلهم لأول مقاتلة نفاثة عربية ، تفوق أفضل المقاتلات الحربية المعروفة فى العالم ، وأخطر ما فى الأمر أن المقاتلة الجديدة تحوى جهازًا مدهشًا ، يتم استخدامه فى الطائرات المقاتلة لأول مرّة ، ومهمته هى اقتناص الهدف ، والتصويب نحوه إليكترونيًا ، بدقة تجعل احتمال الخطأ ينخفض إلى واحد فى كل مليون مرّة .

أومأ قائد عسكرى آخر برأسه ، مكملاً :

- هذا يخفض التكلفة القتالية إلى أدنى حد بالتأكيد ، ويضمن تفوقًا قتاليًا مدهشًا ، لكل قذيفة أو صاروخ ينطلق ، يعنى إصابة هدف مؤكدة ، خاصة وأن التوجيه يتم بوساطة الأقمار الصناعية .

لوّح قائد ثالث بيده ، وهو يقول فى حنق :

ـ وكل هذا أصبح فى قبضة عدو مجهول لا نعلم عنه شيئًا .

أشار مدير المخابرات المشتركة بيده ، قائلاً فى حزم :

ـ ليس إلى هذا الحد .. صحيح أن الحادث وقع منذ ساعتين فحسب ، إلا أننا ، وفور علمنا بحدوثه ، بدأت تحرياتنا بسرعة كافية ، وأجرينا اتصالاتنا بعدد من عملائنا السريين ، فى مختلف أنحاء العالم ، وأمكننا التأكد بصورة شبه قاطعة ، من أن أجهزة المخابرات الرسمية ليست وراء ما حدث ، وأن المسئول عنه هو أحد منظمات التجسس الخاصة ، المعروفة باسم (وولف) .. أى الذئب ، وهى منظمة عنيفة ، بدأت بشكل إجرامى ، منذ عدة سنوات ، فى قلب (أوروبا) ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى مجال التجسس ، وهى تسعى دومًا للاستيلاء على الأسرار العسكرية ، وبيعها لمن يدفع الثمن .

قال أحد القادة متوترًا :

ـ فى هذه الحالة يمكننا شراء أسرارنا ، لو أمكننا دفع الثمن الأكبر .

هزّ المدير رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ هذا ليس مضمونًا ، فيمكنهم نسخ التصميمات ، وبيعها لأكثر من جهة ..

همّ أحد القادة بقول شىء ما ، تعليقًا على الموقف ، ولكن مدير المخابرات أشار إليه بيده ، مكملاً :

ـ ولكننا لم نفقد الأمل بعد ، فعلى الرغم من استيلائهم على الحقيبة ، إلا أننا واثقون من أنهم لم يحصلوا على التصميمات بعد .

تطلّع إليه الجميع فى اهتمام ، وسأله أحدهم فى حيرة :

ـ وكيف هذا ؟

أجاب مدير المخابرات فى حزم :

ـ لضمان الأمن والسرية المطلقين ، تم تزويد الحقيبة برتاج إليكترونى خاص ، يحتاج فتحه إلى شفرة سرية من سبعة رموز ، ويقدر الخبراء الفترة اللازمة لحلها بأربعين ساعة كاملة على الأقل ، باستخدام أحدث وسائل حل الشفرة ، ومن المؤكد أن رجال (وولف) سيبدأون محاولة حلها ، فور الحصول على الحقيبة ، وهذا يعنى أننا فقدنا ساعتين ، وبقيت أمامنا ثمان وثلاثون ساعة .

تبادل القادة العسكريون نظرة أمل ولهفة ، قبل أن يسأل أحدهم :

ـ وماذا لو حاولوا فتحها عنوة ؟!

أجاب مدير المخابرات فى سرعة :

ـ فى هذه الحالة يشتعل جهاز إليكترونى خاص ، وتنفجر الحقيبة كلها ، وتضيع كل التصميمات .. ومن المؤكد أنهم يعلمون هذا ، ولن يحاولوا استخدام القوة قط .

تبادل القادة نظرة أخرى ، قبل أن يقول أحدهم فى اهتمام :

- فى هذه الحالة ينبغى وضع خطة عاجلة ، للبحث عن الحقيبة ، واسترجاع التصميمات أو تدميرها ، قبل أن يحصل هؤلاء المجرمون عليها .

ارتسم الحماس على الوجوه ، وأطل من العيون ، وتبدى فى صوت أحد القادة ، وهو يقول :

- عظيم .. دعونا نستشير الكمبيوتر ، عن أفضل الرجال الذين يمكنهم القيام بالمهمة ، و ...

قاطعه مدير المخابرات العربية المشتركة فى حزم :

- لا داعى لاستشارة الكمبيوتر .

التفتت إليه العيون كلها ، فى حيرة وتساؤل ، فأضاف حاسمًا :

- لا يوجد سوى رجل واحد ، يمكنه تحقيق الهدف ، فى هذه الفترة المحدودة .

هتف أحد القادة فى دهشة :

- رجل واحد ؟!

أومأ مدير المخابرات برأسه ، قبل أن يجيب بلهجة تحمل كل الثقة :

- نعم .. (عمر) .. المُقدَّم (عمر زاهر) .

★ ★ ★

الآن ..

لم يكد ذلك الهتاف ينطلق ، حتى اندفع المقدم (عمر زاهر) ، رجل المخابرات العربى الفذ ، داخل قاعة التدريبات الخاصة ،

وهو يحمل مسدسه ، ذا الرصاصات الست ، وفى نفس اللحظة تقريبًا ، برز جسم ما من اليسار ، فأطلق نحوه (عمر) رصاصة ، أصابته فى منتصفه بالضبط ، وبرز جسم آخر من اليمين ، فوثب الرجل ، وأطلق نحوه رصاصة صائبة أخرى ، ثم قفز أرضًا ، متفاديًا كرة تنس ، اندفعت نحوه فى قوة ، من موضع الهدف الثالث ، وتدحرج فى مهارة ، قبل أن يطلق النار نحوه ، ثم وثب واقفًا على قدميه ، فى رشاقة مدهشة ، ليطلق رصاصاته المتبقية نحو أهداف ثلاثة ، برزت من أماكن مختلفة ، وهو يتفادى الكرات التى أطلقها نحوه ، حتى فرغت رصاصاته ، فانطلق صوت فى القاعة يهتف :

- عظيم .

توقف (عمر) لاهثًا ، والتفت إلى المدرب ، الذى تقدم داخل القاعة ، قائلاً :

- نتيجة ممتازة يا (عمر) .. أصبت أهدافك كلها هذه المرة .. أخبرنى أهو حظ محض ، أم أنك طورت أسلوبك بالفعل .

ابتسم (عمر) ، وهو يقول :

- ما رأيك أنت ؟

أطلق المدرب ضحكة عالية ، قبل أن يربت على كتفه ، قائلاً :

- أهنئك .. إنك تتقدَّم باستمرار .

أومأ (عمر) برأسه ، مغمغمًا :

- أشكرك .. الفضل يعود إلى اهتمامك ، بعد عناية اللّه (سبحانه وتعالى) .

أشار المدرب بسبابته ، قائلاً :

ـ وإلى إخلاصك وجهدك ، ومواظبتك المدهشة بالتأكيد .

همّ (عمر) بقول شىء ما ، عندما انطلق من ساعته أزيز متصل ، انعقد له حاجباه ، فهتف المدرّب :

ـ ربّاه ! إنه استدعاء عاجل .. هيّا .. أسرع يا ولدى .. لاريب فى أنهم يحتاجون إليك بشدّة .. هيّا .

لم تمض خمس عشرة دقيقة على هذا الحوار ، حتى كان (عمر) بكامل هيئته يقف أمام مدير المخابرات العربية المشتركة ، الذى شرح له الموقف كله فى سرعة ودقة ، قبل أن يناوله جواز سفر دبلوماسيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ ستسافر على متن الطائرة المتجهة إلى (لندن) بعد ساعة واحدة ، وفور وصولك ستسعى لعبور (المانش)(*) ، وتستقل القطار من (كاليه) إلى (باريس) ، وهذه أسرع وسيلة للوصول إلى هناك ، على الرغم من أنها ستفقدنا تسع ساعات أخرى ، وسيتبقى أمامك تسع وعشرون ساعة فحسب ، لتحقيق المهمة .

(*) (بحر المانش) أو (القنال الإنجليزى) : بحر ضيق بين (إنجلترا) و (فرنسا) ، يتصل ببحر الشمال بمضيق (دوفر) ، ويتصل غربًا بالمحيط (الأطلنطى) ، بين جزر (سلى) وجزيرة (أوشانت) ، طوله حوالى ٥٦٣ كيلو مترًا ، ويصب فيه نهر (السين) ، وأهم موانيه (بليموث) و (ساوث هامبتون) و (فوكستون) و (دوفر) فى (إنجلترا) ، و (شربورج) و (الهافر) ، و (كاليه) فى (فرنسا) .

ثم انعقد حاجباه فى شدّة ، وهو يضيف :

ـ وتذكّر جيدًا أن الهدف الرئيسى للمهمة هو ألا يحصل رجال (وولف) على التصميمات .. اعمل على استعادتها أو تدميرها ، مهما كان الثمن ..

هل .. تفهم يا (عمر) .. مهما كان الثمن .

وبدأت المهمة ..

★ ★ ★

هطلت الأمطار فى شدة على العاصمة الفرنسية فى ذلك اليوم ، ورفع (عمر) ياقتى معطفه ، وفرد مظلته الواقية ، وهو يغادر محطة قطار (باريس) ، وتوقف أمامها ، يتلفت حوله فى هدوء ، حاملاً حقيبة متوسطة واحدة ، فاقترب منه رجل فرنسى الملامح ، وقال فى لا مبالاة :

ـ أتحتاج إلى من يحمل حقيبتك القبيحة ؟

التفت إليه (عمر) وهو يقول فى بساطة :

ـ كلا .. أنا أميل لحمل الحقائب الثقيلة .

مطّ الرجل شفتيه ، قائلاً :

ـ وخاصة إذا ماكانت مصنوعة من الخشب .

قالها ، والتقط الحقيبة من يد (عمر) الذى تبعه فى هدوء إلى سيارة أجرة ، فوضع الرجل الحقيبة فيها ، ثم فتح الباب لرجل المخابرات ، الذى جلس داخل السيارة ، وانتظر حتى انطلق بها سائقها ، ثم اعتدل قائلاً بالعربية :

ـ حسنًا : ماذا فعلتم حتى الآن ؟
ـ أجابه السائق بالعربية فى احترام :
ـ أجرينا تحرياتنا يا سيادة المقدم ، وتوصلنا إلى معرفة الرجل ، الذى قتل الملحق العسكرى ، واستولى على الحقيبة .. إنه قاتل محترف من (مارسيليا) ، يُدعى (فيليب نوار) ، له سجل حافل ، وإن لم يلق القبض عليه مرة واحدة ، ولقد تعرفه طاقم الحراسة ، أما سيارة الشرطة التى استخدمها ، فهى ليست سيارة زائفة ، وإنما هى سيارة حقيقية ، سرقها من دورية شرطة ، فى السابعة صباحًا ، وقبل ارتكاب الحادث بساعة واحدة .

سأله (عمر) فى اهتمام :
ـ وهل عثروا على السيارة ؟
أومأ السائق برأسه إيجابًا ، وهو يقول :
ـ نعم .. عثروا عليها على بعد ثلاثة شوارع ، من المبنى الذى كان يقيم فيه الملحق العسكرى ، ومن الواضح أن سيارة أخرى كانت تنتظر هناك ، ليفر بها الرجل مع الحقيبة .

صمت (عمر) بضع لحظات ، قبل أن يسأل :
ـ هل تحمل صورة (فيليب) هذا ؟
التقط السائق الصورة من جيبه ، وناولها له قائلاً :
ـ بالتأكيد ، وستجد معها كل ما استطعنا الحصول عليه من بيانات بشأنه .

أومأ (عمر) برأسه متفهمًا ، وهو يلتقط الصورة ، ويتطلع إليها فى اهتمام ، قبل أن يسأل :
ـ ما الإجراءات التى اتخذتها الشرطة الفرنسية ؟
أجابه السائق :
ـ أوصاف الحقيبة فى كل المطارات والموانى ، ويتم تفتيش كل المسافرين بمنتهى الدقة ، كما تم توزيع نشرة بأوصاف (فيليب نوار) ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :
ـ اطمئن يا سيادة المقدم .. لقد تأكدنا من أنه من المستحيل أن تغادر الحقيبة (فرنسا) .
غمغم (عمر) فى شرود :
ـ لا حاجة بهم لهذا ، فما إن يتوصلوا إلى حل شفرة الرتاج الإليكترونى ، حتى يتحقق لهم الانتصار الكامل ، دون أن ..
بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وارتسمت على وجهه علامات التفكير العميق ، قبل أن يهتف فجأة :
ـ انتظر .
ضغط السائق فرامل السيارة بحركة غريزية ، فتوقفت بغتة ، وإطاراتها تطلق صريرًا مزعجًا ، وهتف الرجل ، وأبواق السيارات تنطلق خلفه غاضبة معترضة :
ـ ربّاه ! السيارة خلفنا كادت تصطدم بنا يا سيادة المقدم .
أجابه (عمر) فى حزم :

- لا عليك .. عد بنا إلى محطة القطار .

سأله الرجل فى دهشة ، وهو يستدير بالسيارة لتنفيذ الأمر :

- ولكن لماذا ؟!

أجاب (عمر) :

- الحقيبة ليست فى (باريس) .. إنها هناك .

وانعقد حاجباه فى حزم ، وهو يضيف :

- فى (مارسيليا) .

هتف السائق فى دهشة ، والسيارة تنطلق عائدة إلى المحطة :

- وكيف يمكنك الجزم بهذا ؟

أجابه (عمر) بسرعة :

- فى موقفنا هذا لا يمكنك الجزم بشىء محدود ، والمعلومات لدينا لا تكفى لحسم الموقف ، فى الساعات القليلة المتبقية ، وهذا يعنى أنه لا مفر أمامنا من الاستنتاج الترجيحى ، ومن هذا المنطلق بدا لى أنه من الغباء أن يحتفظ رجال (وولف) بالحقيبة فى (باريس) ، فلا ريب فى أن رجال الشرطة سيفتشون كل ركن فيها طوال الساعات التالية ، والوقت هو كل ما يطلبه المجرمون فى هذا الموقف ، إذن فمن الضرورى أن يلجئوا إلى مكان آخر ، يبذلون فيه جهدهم فى أمن وهدوء لحل شفرة الرتاج الإليكترونى ، دون أن يزعجهم تدخل رجال الشرطة .

سأله السائق ، وما زالت الدهشة تملأ نفسه :

- ولكن لماذا (مارسيليا) بالذات ؟

لوّح (عمر) بيده ، قائلاً :

- أولاً : لأنها ميناء مفتوح ، اعتاد سكانه استقبال الغرباء والتعامل معهم ، ولم يعد هناك ما يدهشهم من تصرفاتهم وأحوالهم . وثانيًا : لأنها مسقط رأس (فيليب نوار) ، ولاشك فى أنه يحفظ كل شبر منها ، وسيجد أفضل مكان للاختباء فيها . وثالثًا : وهو الأهم من وجهة نظرى ، أنه بعد العمل لسنوات وسنوات فى عالمنا ، وبعد أن تخوض عشرات المعارك ، وتتعامل مع مختلف صنوف الجواسيس والمجرمين ، يصبح هناك عامل آخر فى أعماقك ، أكثر أهمية من الاستنتاج والتخمين والترجيح .

سأله السائق فى حيرة :

- وما هو ؟

صمت (عمر) لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- الغريزة .. غريزة الصياد .

ولم يلق السائق بعدها سؤالاً آخر ..

★ ★ ★

توقفت الأمطار تمامًا ، وبدا الجو صحوًا على نحو منعش ، عندما وصل (عمر) إلى (مارسيليا) ، وألقى نظرة على ساعته ، بعد أن استقر فى فندق صغير ، يطل على الميناء ، وهو يقول لنفسه فى ضيق :

- فقدنا ساعتين أخريين ، ولم يعد أمامنا سوى سبع وعشرين ساعة فحسب .

مطَّ شفتيه محنقًا ، وألقى نظرة عبر النافذة على الميناء ، الذى بدا أشبه بمنزل للنمل ، يسير كل شىء فيه بنشاط جم ، لشحن وتفريغ السفن القادمة والذاهبة ، فى حين انهمك عدد من العمال فى إصلاح سفينة كبيرة ، استقرت فى طرق الميناء كنصب تذكارى مهمل ..

ولثوان ، فحص (عمر) المكان كله بنظرة قبل أن يغمغم لنفسه :

ـ ماذا تفعل هنا باللّه عليك ؟ هيا .. انطلق للبحث ، ولا تضيع لحظة واحدة أخرى .. الوقت من ذهب .

غادر الفندق ، وهو يحمل مسدسه الصغير ، المصنوع من البلاستيك ، بحيث يمكنه المرور من أجهزة الفحص بالمطارات ، وراح يجولُ فى المكان ، وعقله يدرس الموقف للمرة العاشرة ..

ترى من أين يبدأ بحثه ؟!

مادام (فيليب نوار) قد نشأ فى (مارسيليا) ، فلا ريب فى أن أحدهم سيتعرفه حتمًا ، فى سوق المدينة ، أو الحى التجارى ، أو حتى فى أحد المقاهى المنتشرة فى كل مكان ..

ولكن ما أفضل نقطة لبدء البحث ؟ أهى السوق أم الحى التجارى ؟!

إنه يدرك أن مهمته شاقة ، ولكن عليه ألا يضيع لحظة واحدة ..

أمن الوطن كله قد يتوقف على ساعة واحدة .. بل دقائق معدودة ..

وليس أمامه سوى أن يبحث ..

وأن يسعى للنجاح فى مهمته ..

واستقر رأيه بسرعة على بدء البحث فى سوق المدينة ، المجاور لأحيائها الشعبية ، حيث يمكن أن ينشأ قاتل مثل (نوار) ، وغمغم فى حزم :

ـ فليكن .. اسع يا عبد ، وسيوفقك الخالق (عزَّ وجلَّ) .

قالها واتجه فى خطوات حاسمة نحو منطقة السوق ، و .....

وفجأة ، انعقد حاجباه فى شدَة ، وهو يحدق فى سيارة كبيرة تعبر الطريق ، متجهة إلى ميناء الشحن ..

ففى المقعد الخلفى للسيارة ، وفى صفاقة بلا حدود ، كان يجلس رجلان ، يتحدثان فى اهتمام واضح ..

أحد الرجلين كان غايته المنشودة ..

(فيليب) ..

(فيليب نوار) ..

★ ★ ★

٢ ـ فيليب الأسود ..

لم يصدق (عمر) عينيه ، وهو يتابع السيارة ببصره ، مع انطلاقها نحو الميناء ، إلا أنه لم يلبث أن سيطر على دهشته ، وهو يغمغم :

ـ يا للمصادفة ! بدلاً من أن أسعى للبحث عن ذلك القاتل الأسود(*) ، أرسلته إلىَّ العناية الإلهية .

قالها واتجه فى خطوات سريعة إلى الميناء ، محاولاً اللحاق بالسيارة التى توقفت لحظة أمام بوابة الميناء ، وأبرز أحد الجالسين داخلها بطاقته ، فانفتحت البوابة ، وعبرتها السيارة لتختفى خلف الأسوار ، وضاعف (عمر) من سرعته للحاق به ، ولكن حارس البوابة استوقفه قائلاً :

ـ إلى أين ؟

أجابه (عمر) بفرنسية سليمة :

ـ إننى أنتظر شحنة قادمة .

سأله الحارس فى صرامة :

ـ هل تحمل تصريحًا بدخول الميناء ؟

أشار (عمر) بيده ، قائلاً :

(*) اسم (فيليب نوار) يعنى بالفرنسية : (فيليب الأسود) .

ـ التصريح فى الطريق ، مع سكرتيرى الخاص ، ولقد فكّرت أن أسبقه إلى هنا .. و .....

قاطعه الحارس فى حزم ، وهو يهزّ رأسه نفيًا :

ـ الدخول بدون تصريح ممنوع تمامًا .

مطّ (عمر) شفتيه ، وهو يتنهد قائلاً :

ـ لا مفر من الانتظار إذن .

أجاب الحارس صارمًا :

ـ للأسف .

أومأ (عمر) برأسه متفهمًا ، وتحرك مبتعدًا ، متظاهرًا بالانصراف ، إلا أنه لم يكد يتوارى عن الأعين ، حتى انطلق فى خطوات سريعة ، بمحاذاة سور الميناء ، ووثب فوق مقدمة سيارة صغيرة ، ثم اعتلى سقفها ، وقفز منه يتعلق بالسور ، ودفع جسده إلى قمته ، ثم وثب منه إلى داخل الميناء ..

كانت هناك صناديق تحيط به حيث هبط ، فتحرك بينها فى سرعة وخفة ، محاولاً الخروج من ذلك المكان ، للبحث عن السيارة التى تقل (فيليب) ، ولكنه لم يكد يتجاوز أحد الصناديق ، حتى سمع صوتًا يقول فى دهشة :

ـ ماذا تفعل هنا ؟!

التفت (عمر) إلى مصدر الصوت فى سرعة ، ووقع بصره على رجل ضخم الجثة ، مفتول العضلات ، يمسك فى يده هراوة ثقيلة ، ويرمقه بنظرة نارية شرسة ، وهو يتقدم نحوه متحفزًا ، فاعتدل فى هدوء ، وهو يقول :

ـ معذرة .. يبدو أننى ضللت .. و .....

قبل أن يتم عبارته ، انتبه فجأة إلى رجل ضخم آخر ، يتقدم نحوه من الخلف ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها الأول نحوه فى وحشية مخيفة ، وهو يهتف :

ـ أيها الكاذب .

قالها ، وهراوته ترتفع فى غضب ، استعدادًا لتحطيم رأس (عمر) الذى مال جانبًا فى مرونة ، وانحنى متفاوتًا الضربة العنيفة ، وهو يقول :

ـ أخطأت يا رجل .

ثم هوى على فك الرجل بلكمة كالقنبلة ، دفعته مترين إلى الخلف ، ليصطدم بصندوق خشبى ضخم ويسقط على وجهه ، وتطير هراوته بعيدًا ، فى نفس اللحظة التى انقضّ فيها زميله على (عمر) من الخلف ، مطلقًا صيحة مخيفة ، ولكن هذا الأخير دار حول نفسه بخفة مدهشة ، وهو يثب إلى أعلى ، وركلت قدمه اليمنى الهراوة من يد الرجل ثم دار جسمه حول نفسه دورة ثانية ، ليركل الرجل نفسه فى أنفه مباشرة .

وعلى الرغم من تحطّم أنف الرجل ، وتدفق الدماء منه فى غزارة ، إلا أنه لم يسقط أرضًا ، وإنما أطلق خوارًا أشبه بخوار ثور جريح ، وهو ينقض على (عمر) فى وحشية ، ويمسك وسطه بقبضتيه القويتين ، ويرفعه عاليًا ، ثم يلقى به بكل قوته نحو كومة من الصناديق ، ارتطم بها رجل المخابرات فى عنف ، وسقط أرضًا وكل عظمة من عظامه تئن ألمًا ..

وقبل أن ينهض واقفًا على قدميه ، هبَّ الرجل الأول من سقطته ، وهوى بحذائه الثقيل على ظهره ، صائحًا فى شراسة :

ـ أنت الذى أخطأت بقدومك إلى هنا .

كانت الضربة مؤلمة للغاية ، والرجل الآخر يعاود انقضاضته الوحشية ، ولكن (عمر) احتمل كل هذا فى بسالة ، ودار حول نفسه بسرعة ، متفاوتًا ركلة ثانية من الحذاء الثقيل ، ثم وثب واقفًا ، واستقبل انقضاضة الرجل الثانى بلكمة عنيفة فى معدته ، وعندما انثنى الرجل متأوهًا ، اعتمد (عمر) بكفيه على كتفيه ، ووثب بقدميه إلى الخلف ، ليركل بهما معًا فك الرجل الأول ، ويدفعه فى عنف ليرتطم مرة ثانية بالصناديق ، ويسقط فاقد الوعى ، ثم هبط على قدميه وهو يقول للرجل الثانى الذى مازال منثنيًا من فرط الألم :

ـ معذرة لأننى استخدمتك لضرب رفيقك ، ولكن .. وضم قبضتيه ليهوى بهما على مؤخرة عنق الرجل ، ويطرحه أرضًا فاقد الوعى ، وهو يستطرد :

ـ هكذا تسير الأمور .

كانت المعركة سريعة ، ولكنه على الرغم من هذا ، شعر أنه أضاع وقتًا ثمينًا للغاية ، فعدل رباط عنقه وهو يغادر المكان فى خطوات سريعة ، ولم تكد الشمس تغمر وجهه فى الخارج ، حتى انعقد حاجباه فى توتر بالغ ..

لقد كانت السيارة تقف هناك ، فى ركن الرصيف ، خالية من البشر ، وإلى جوارها يقف سائقها لحراستها ، فى حين لم يكن هناك أدنى أثر للمدعو (فيليب نوار) ..

وفى قلق ، راح (عمر) يتلفت حوله بحثًا عن غريمه ، وهو يدرك جيدًا أنه طرف الخيط الوحيد الذى يمكن أن يقوده إلى الحقيبة ..

ولكن (فيليب) لم يكن هناك ..

لم يكن فى أى مكان فى منطقة الميناء كلها ..

وتضاعف توتر (عمر) ..

إلا أن هذا لم يكن يعنى أن يستسلم لليأس أو للغضب ..

لقد تضاعف حماسه مع توتره ، وراح يبحث عن وسيلة للصعود إلى سقف أحد المخازن ، لإلقاء نظرة أوسع وأشمل على المكان كله ..

وفى خفة ، وثب يتعلق بنافذة جانبية لمخزن بضائع ، ومنها تعلق بحاجز السقف وراح يتسلقه بسرعة ، حتى أصبح فوقه ، فرقد على بطنه وراح يزحف فى حذر نحو حافته المواجهة لرصيف الميناء ، و .....

وكانت فى انتظاره مفاجأة ثانية ..

لقد رأى (فيليب) يفتح باب السيارة الخلفى ، ويهم بركوبها ، وهو يتحدث مع سائقها فى اهتمام ..

وتساءل (عمر) فى حيرة : من أين أتى (فيليب) ؟

أين كان ؟!

ومتى عاد ؟!

ودون أن ينتظر جوابًا لتساؤلاته ، انطلق بسرعة فوق السقف ، وقفز منه إلى الأرض للحاق بالسيارة ، قبل أن تغادر المكان ، ويفقد أثرها ، وفى أعماقه يدور تساؤل آخر ..

أية جرأة وصفاقة ، تلك التى يتمتع بها (فيليب) هذا ؟!

كل رجل شرطة وأمن فى (فرنسا) كلها يحفظ ملامحه وصورته عن ظهر قلب ، وعلى الرغم من هذا ، فها هو ذا يتجول بحرية فى (مارسيليا) ، ويقضى بعض الوقت على رصيف الميناء التجارى بها ، دون أن يطرف له جفن ؟!

لا ريب أن هذا الرجل بلا قلب بحق ..

أو أن قلبه لا يعرف الخوف قط ..

وفى خطوات سريعة ، اتجه (عمر) نحو سيارة (فيليب) التى تأهب سائقها للانطلاق بها ، و (فيليب) يقول له فى سخرية :

- دعنا نتجول قليلاً فى المدينة يا رجل ، قبل أن نعود إلى البيت .

سأله السائق فى اهتمام :

- وماذا عن رجال الشرطة يا مسيو (فيليب) ؟

أطلق (فيليب) ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا رجل .. حفنة من الفرنكات تكفى ليغلق كل رجل شرطة فى (مارسيليا) عينيه ، ولا يرى (فيليب نوار) قط .

مطَّ السائق شفتيه ، مغمغمًا :

ـ أخشى أنه هناك الكثير من رجال الشرطة الشرفاء يا مسيو (فيليب) .

قهقه (فيليب) ضاحكًا مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ دعنا نتفادى الالتقاء بهم يا رجل .. أرنى مهارتك فى هذا المضمار .. وإلا فـ ..

وبتر عبارته بغتة ، وهو يتطلّع فى توتر إلى (عمر) ، الذى يقترب من السيارة فى خطوات سريعة ، ويداه فى جيبى معطفه ..

ومن النظرة الأولى إلى وجهه الأسمر وملامحه العربية ، أدرك (فيليب) أنه ليس أحد سكان (مارسيليا) ، ومن معطف المطر الأنيق والحذاء اللامع ، فهم على الفور أنه ليس أحد العاملين فى الميناء ، وهو بالتأكيد ليس أحد مقاولى الشحن والتفريغ ، الذين يعرفهم واحدًا واحدًا ..

وهكذا لم يتبق أمام (فيليب) سوى احتمال واحد ، جعله يسحب مسدسه ، هاتفًا فى السائق :

ـ انطلق يا رجل .. انطلق بالله عليك .

قالها ، وهو يطلق رصاصات مسدسه فى سخاء نحو (عمر) ..

ولكن بطلنا يمتاز أيضًا بالذكاء وسرعة البديهة ، لذا فلم يكد يلمح مسدس (فيليب) المصوب نحوه ، حتى وثب جانبًا ، وانتزع مسدسه من جيبه بدوره ، وألقى نفسه أرضًا ، ليتفادى رصاصات (فيليب) ، وهو يطلق نحوه رصاصاته بدوره ..

وحطمت رصاصات (عمر) زجاج السيارة ، وأصابت جسمها فى موضعين ، وأطاحت بمسدس (فيليب) ، والسيارة تنطلق بأقصى سرعة ، نحو بوابة رصيف الميناء ، وقفز (عمر) واقفًا على قدميه ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته خلف السيارة ، التى يهتف (فيليب) داخلها فى السائق :

ـ أسرع يا رجل .. أسرع وإلا حطمت رأسك .

كانت البوابة مغلقة ، مما اضطر السائق إلى الإبطاء قليلاً ، فقبض (فيليب) على عنقه ، وهو يصرخ :

ـ قلت لك : أسرع .. أسرع .

صاح الرجل فى ألم وذعر :

ـ لا يمكننى هذا .. البوابة ..

قاطعه (فيليب) فى ثورة :

ـ اقتحمها .. حطمها .. افعل أى شىء أيها الغبى ، ولكن لا تبطئ قط ..

ضغط السائق دواسة الوقود فى توتر ، فى نفس اللحظة التى توقف فيها (عمر) وصوب مسدسه إلى إطارها فى إحكام ، و .....

وأطلق النار ..

وفى نفس اللحظة التى ارتطمت فيها السيارة بحاجز البوابة ، انفجر إطارها الخلفى فى عنف ، إثر رصاصة (عمر) ، فدارت حول نفسها على نحو مخيف ، و (فيليب) يصرخ داخلها :

ـ أيها الغبى .. أيها الغبى .

ثم اصطدمت بالسور فى قوة ، و (عمر) يعدو نحوها بأقصى سرعته ، وبلغها فى نفس اللحظة التى قفز فيها (فيليب) خارجها ، وهو ينتزع من جيبه مسدسًا آخر ، ويهتف :

ـ أنت المسئول عما حدث .. ستدفع الثمن غاليًا .

صوب إليه (عمر) مسدسه فى سرعة ، وضغط الزناد ..

ولكن رصاصته لم تنطلق ..

وهذا ـ بكل بساطة ـ لأنه لم تتبق رصاصة واحدة فى خزانة مسدسه الصغير ..

وانطلقت من حلق (فيليب) ضحكة ساخرة عصبية ، وهو يضغط زناد مسدسه صائحًا :

ـ خسرت فرصتك يا هذا .. خسرت .. خسرت .

قفز (عمر) جانبًا ، محاولاً تفادى الرصاصات ، إلا أنه شعر برصاصة تخترق ذراعه اليسرى ، وبخيط من اللهب يحتك بعنقه ، فى حين أصابت ثلاث رصاصات الأرض من حوله ، فتناثرت قطع البلاط والأسفلت فى عنف ..

ومرة أخرى ، قهقه (فيليب) ضاحكًا فى سخرية وتوتر ، وهو يصوب مسدسه إليه ثانية ، هاتفًا :

ـ لا فائدة .. لا يمكنك الإفلات من محترف مثلى .

كان ارتطام السيارة بالحاجز قد أطلق صفارة إنذار عالية فى الميناء ، وبدا رجال أمن الرصيف من بعيد ، وهم يهرعون إلى المكان ، و (فيليب) يهم بإطلاق رصاصاته نحو (عمر) ، و .....

وبكل قوته وسرعة بديهة ، ألقى (عمر) مسدسه الفارغ نحو (فيليب) ، فأصاب يده الممسكة بالمسدس ، وأطاح به فى عنف ، فانقض عليه (عمر) ، هاتفًا :

ـ إلا لو كنت أكثر احترافًا منك .

تراجع (فيليب) بسرعة ، متفاديًا الاشتباك مع (عمر) ، وحاول عبور البوابة ، إلا أن السيارة كانت تعترض طريقه ، فانطلق يعدو نحو رصيف الميناء ، وانطلق (عمر) خلفه ..

وكانت مطاردة مدهشة على رصيف ميناء (مارسيليا) التجارى ..

(عمر) يطارد (فيليب) ، ورجال الأمن يطاردونهما معًا فى إصرار ..

ولكن المطاردة بين الرجلين كانت أكثر عنفًا .

لقد انطلق كلاهما بأقصى سرعته ، وراحا يتجاوزان كل ما يعترضهما من عقبات فيدوران حول شحنة ضخمة ، أو يقفزان عبر صندوق أو كومة من الحبال ، أو يتسلقان حاجزًا عرضيًا ليعاودا المطاردة من خلفه .

وعندما بلغ (فيليب) منطقة المخازن ، صاح فى عمال الشحن هناك :

- أوقفوا هذا الحقير ، الذى يطاردنى فى عناد .

اندفع ثلاثة من الرجال الضخام الجثة ، لاعتراض سبيل (عمر) إلا أن هذا الأخير لم يكن لديه الوقت للدخول فى صراعات جانبية ، لذا فقد قفز يستند بيده على كتف أحد الرجال الثلاثة ، ليركل الثانى ركلة عنيفة فى أنفه ، هاتفًا :

- معذرة .. لن يمكننى استقبالكم الآن .

ثم قفز معتمدًا على كتف الرجل الذى أصابته دهشة عارمة ، ليدور حول نفسه دورة رأسية فى الهواء ، ثم يهبط على قدميه ، وينطلق مرة أخرى لاستكمال المطاردة ..

وعلى الرغم من أن عمال الشحن قد اشتركوا فى تلك المطاردة العجيبة التى أصبحت تستهدف - أكثر ما تستهدف - (عمر) نفسه ، إلا أن هذا الأخير يلتفت إلى مطارديه لحظة واحدة ، وقد تحول كيانه كله إلى آلة بشرية للجرى ، تقتصر مهمتها على تقصير المسافة بينه وبين (فيليب) ..

ثم ، وبقفزة واحدة ، اختصر ما تبقى من المسافة ، ليحيط وسط (فيليب) بذراعيه ، ويدفعه أمامه ..

ولكن تلك القفزة جاءت وهما عند حافة رصيف الميناء بالتحديد ، ولهذا فقد اندفعا معًا خارج الرصيف ، وسقطا فى البحر ..

ولثانية أو ثانيتين ، غاصا فى الأعماق دون أن يفعل أحدهما شيئًا ، ثم لم يلبثا أن اشتبكا معًا فى عنف ، تحت سطح الماء ..

كان قتالاً عنيفًا ، جذبهما إلى ما تحت الرصيف الخشبى ، قبل أن يرتفع رأساهما فوق السطح ، ويهتف (فيليب) ، وهو يهوى بقبضته على فك (عمر) :

- يا للهول ! إنك تقاتل كالوحوش ..

أجابه (عمر) ، وهو يستقبل اللكمة على ساعده :

- هذا حتمى عندما أقاتل ذنبًا .

ثم حطم أنف (فيليب) بلكمة ساحقة ، سالت لها دماء هذا الأخير ، وامتزجت بمياه البحر ، وهو يهتف :

- كيف تجرؤ ؟! كيف ؟

قاطعه (عمر) بلكمة أخرى ، أحالت أنفه إلى كومة من اللحم المفرى ، ثم جذبه إليه فى عنف ، وهو يسأله فى صرامة :

- أين الحقيبة ؟ أين تخفونها ؟

ترنح رأس (فيليب) ، وغمرت دماؤه أنفه وفمه وذقنه ، وتمالك جفناه ، وهو يقول بصوت منهار :

- الحقيبة ؟! أية حقيبة ؟

كان يبدو وكأنه يوشك على فقدان الوعى ، فهزه (عمر) فى قوة ، وهو يسأله مرة أخرى :

- أين حقيبة الملحق العسكرى ؟

مال رأس (فيليب) على صدره ، وهو يغمغم :

- الحقيبة .. إنها .. إنها ..

ثم فجأة ، اعتدل رأسه ، وارتفعت يده من تحت الماء ، ممسكة بقطعة من خشب الصناديق القديمة ، وهو يهتف :

- إنها بعيدة عن متناول يدك .

انتبه (عمر) فجأة إلى الخدعة ، ولكن بعد فوات الأوان ، وقطعة الخشب تهوى على رأسه فى عنف ، و (فيليب) يطلق ضحكة وحشية ساخرة ، مفعمة بالنشاط ، هاتفًا :

- خسرت يا رجل .. خسرت .

حاول (عمر) أن يتماسك مع الدوار الشديد الذى أصابه ، إثر الضربة العنيفة ، ولكن (فيليب) هوى على رأسه بضربة ثانية ، وضحكاته تتردد ساخرة شامتة ، قبل أن يدفع (عمر) بعيدًا ، ويسبح للخروج من تحت الرصيف ، وهو يهتف :

- بلغ تحياتى لأسماك القرش(*) ، والتى ستجذبها رائحة الدم إليك .

حاول (عمر) أن يتعلق بأحد تلك الأعمدة ، التى تحمل الرصيف ، ولكن الشحم الذى يغطيها جعل يده تنزلق ، ورأسه يدور ويدور ، فلم يكن منه إلا أنه ترك جسده يستر حتى فوق سطح البحر ، وهو يحاول السيطرة على الدوار العنيف ، حتى لا يسقط فى غيبوبة عميقة ، فيلقى مصرعه غرقًا ..

أما (فيليب) ، فقد صعد إلى رصيف الميناء ، من منطقة

(*) القرش : أسماك أكثر بدائية من الأسماك العظيمة ، تكثر بالبحار الدافئة ، لها هيكل غضروفى ، دون مثانة هوائية وقشور صدفية ، تجعل ملمس الجلد خشنًا ، والفم على السطح البطنى ، والقروش كثيرة الانتشار متعددة الأنواع ، وتصطاد للزيت الذى يستخرج من أكبادها ، ويمكنها تمييز رائحة الدم بنسبة (واحد إلى مليون) ..

بعيدة عن تلك التى احتشد عندها رجال الأمن ، الذين أحاط بهم عمال الشحن ، ليخفوه عن أنظارهم ، فى حين أسرع عاملان يعاونان ، ويعدوان معه نحو أحد مخازن البضائع ، وهناك هتف هو فى حنق :

- كيف وصل ذلك الرجل إلى هنا ؟ كيف سمحتم له بهذا ؟

أجابه أحدهما متوترًا :

- لقد تسلل عبر السور الخلفى ، وتقاتل مع (جان) و (مارلو) ، وأفقدهما الوعى ، ولم نشعر به إلا عندما بدأ يطاردك .

انتزع سترته فى عصبية ، وألقاها بعيدًا ، وهو يقول :

- راقبوا البحر ، وتأكدوا من أن أسماك القرش ستؤدى مهمتها على أكمل وجه ، وأحضر لى معطفًا جافًا ، وذلك الشارب المستعار الكبير والمنظار الداكن .. لا بد وأن أعود إلى الزعيم فورًا ، فلا ريب فى أن أخبار القتال قد بلغته ، وسيبث فيه هذا التوتر حتمًا .. هيا أسرع يا رجل .. لا ينبغى أن تجعل الزعيم ينتظر ..

لم تمض عشرون دقيقة على هذا الحديث ، حتى كان (فيليب) يقف أمام (أندريه كال) زعيم منظمة (وولف) ، الذى مط شفتيه فى غضب ، وهو يقول :

- ماذا فعلت أيها الأحمق ؟! كيف تشتبك فى قتال علنى كهذا ، على مسافة أمتار من هنا ؟ ألم تدرك أن هذا كفيل بجذب الأنظار إلينا ؟

قال (فيليب) فى توتر :

- أنا لم أبدأ هذا القتال أيها الزعيم .. الرجل هاجمنى على رصيف الميناء ، وكان من الضرورى أن أدافع عن نفسى .

لوح (أندريه) بكفه فى حنق ، هاتفًا :

- وكانت النتيجة أن الرصيف يكتظ الآن بعدد هائل من رجال الشرطة والأمن .. لقد عرضت خطتنا كلها للخطر أيها الغبى .

ثم مال ، مستطردًا فى عنف :

- ألا تدرك كم تساوى هذه الصفقة ؟! العديدون مستعدون لدفع الملايين ، مقابل الحصول على التصميم العربى .. لقد قررت عرضها مقابل نصف مليار من الدولارات ، قابلة للزيادة .

ارتفع حاجبا (فيليب) ، وأطلق صفيرًا طويلاً مبهورًا ، قبل أن يهتف :

- إلى هذا الحد ؟!

أجابه (أندريه) فى انفعال :

- بالتأكيد .. هذا التصميم كفيل بتحسين الكفاءة القتالية للمقاتلات العربية ، ورفعها لتتجاوز مثيلاتها فى الدول الأخرى ، والعديدون لن يسمحوا بحدوث هذا قط ، ولكنهم لا يستطيعون منع التطور العربى ، إذن فالوسيلة الوحيدة لديهم هى الحصول على التصميمات الجديدة ، ودراستها جيدًا لغرضين أساسيين .. أولهما المبادرة بصنع الأجهزة الحديثة ، لتحطيم فارق التفوق القتالى ، وثانيهما إيجاد وسيلة للتصدى للنظم الجديدة فى إصابة الهدف ، ومع تكاليف القتال الحالية ، يصبح مبلغ النصف مليار بسيطًا معقولاً .

سال لعاب (فيليب) للمبلغ ، وراح يحسب نصيبه منه فى لهفة ، قبل أن يسأل فى انفعال :

- ومتى يمكننا الحصول على تلك التصميمات ؟

مطّ (أندريه) شفتيه مرة أخرى قبل أن يقول :

- ما زال أمامنا وقت طويل .

ثم أشار إليه ، مستطردًا :

- اتبعنى وسترى .

تبعه (فيليب) عبر ممر طويل ، انتهى بهما إلى حجرة واسعة خالية ، إلا من منضدة كبيرة ، جلس أمامها رجل قصير أصلع ، يرتدى منظارًا طبيًا سميكًا ، وأصابعه تتعامل مع أزرار جهاز كمبيوتر ، يتصل بالحقيبة بوساطة سلكين دقيقين ، وعند دخولهما التفت إليهما القصير فى توتر ، فسأله (أندريه) :

- كيف الحال يا (بيريه) ؟

تلعثم القصير ، وهو يعدل منظاره فوق أنفه ، قائلاً :

- لا .. لا بأس .. لقد .. لقد أجريت عدة محاولات ، و ... و ...

سأله (أندريه) فى حسم :

- ما الذي توصلت إليه ؟

هزّ القصير رأسه ، مغمغمًا :

- الـ .. الشفرة معقدة للغاية يا مسيو (أندريه) ، ولكن .. ولكنني أبذل قصارى جهدى .

مطّ (أندريه) شفتيه بعدم رضا ، قائلاً :

- الوقت ليس فى صالحنا يا (بيريه) .

قلب القصير كفيه ، قائلاً فى ارتباك :

- وما .. وماذا بيدى ؟

قال له (أندريه) فى حدة :

- أبحث عن وسيلة أخرى .. برنامج كمبيوتر جديد ، أو ...

قاطعه (فيليب) ، وهو يقف عند النافذة ، قائلاً :

- مسيو (أندريه) .. أعتقد أنه ينبغى أن ترى هذا .

التفت إليه (أندريه) متوترًا متسائلاً ، فأشار عبر النافذة المستديرة وهو يقول :

- الأمر يستحق المشاهدة بالفعل .

اتجه نحوه (أندريه) ، مغمغمًا :

- أتعشم لصالحك أن يكون كذلك .

ولكنه لم يكد يلقى نظرة عبر النافذة على البحر ، حتى أدرك على الفور أن الأمر يستحق ، فقد وقع بصره على حشد من رجال الأمن وعمال الميناء ، وهم يتطلعون فى انبهار إلى ثلاث من أسماك القرش ، تتصارع على تمزيق جسم كبير ، وسط بركة من الدم ، طفا فوقها معطف مطر ممزق ، تعرّفه (فيليب) على الفور .

لقد كان ذلك المعطف الذى يرتديه خصمه ..

معطف (عمر زاهر) .

* * *

٣ - البر والبحر ..

سرى توتر ملحوظ فى مقر قيادة المخابرات العربية المشتركة ، مع تلك البرقية التى وردت منذ دقائق من (مارسيليا) ، وقرأها المدير للمرة الثانية ، بعد حل شفرتها السرية ، قبل أن يتنهد ، قائلاً :

- طبقًا لهذه البرقية ، فقد لقى رجلنا مصرعه فى ميناء (مارسيليا) ، والتهمته أسماك القرش على مرأى من الجميع ، وهذا يعنى فشل هذه المرحلة من المهمة .

قال أحد القادة العسكريين فى عصبية :

- أو فشل المهمة كلها .

زفر مدير المخابرات فى توتر أكثر ، قبل أن يقول :

- لا داعى للتشاؤم ، ولا للقفز إلى النتائج السيئة بسرعة .. إننا لم نتيقن بعد من مصرع (عمر) ، ثم إنه ما زال أمامنا بعض الوقت .

هتف آخر فى انفعال :

- أىّ وقت ؟! لقد فقدنا خمس عشرة ساعة بالفعل ، وإرسال عميل آخر إلى هناك سيستهلك ست أو سبع ساعات أخرى على الأقل .

قال المدير فى حسم :

- فى هذه الحالة سيتبقى لنا ما يزيد على اثنتى عشرة ساعة ، بالإضافة إلى أن (عمر) قد أوصلنا إلى نقطة بحث رئيسية ، وعميلنا الجديد سيتجه مباشرة إلى (مارسيليا) .

ران صمت ثقيل على المكان بضع لحظات ، ثم قال أحد القادة :

- فليكن .. دعونا لا نضيع وقتًا إضافيًا ، ولننتخب عميلاً آخر ، أو بضعة عملاء ، ونرسلهم فورًا إلى هناك .

أشار مدير المخابرات بسبابته ، قائلاً :

- هذا هو الإجراء الصحيح .

وهمت أصابعه بالتعامل مع جهاز الكمبيوتر أمامه ، عندما انطلق من جهاز الفاكس الخاص صفير متصل ، فالتفت إليه الجميع ، وقال المدير فى قلق :

- يبدو أننا سنستقبل برقية مهمة جديدة أيها السادة .

راح الجهاز يطبع البرقية الجديدة على الورق الخاص به ، وعاد الصمت يغلف المكان تمامًا ، حتى انتهى وصولها ، فجذبها المدير من الجهاز ، وألقى عليها نظرة سريعة ، تعلقت خلالها أنظار الجميع به ، قبل أن يرفع عينيه إليهم ، قائلاً فى توتر زائد :

- أخشى أن الأخبار ليست سارة ، فى هذه المرة أيضًا .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد :

- شركة (ميكروسوفت) أنتجت برنامجًا جديدًا لحل الشفرة ، وطرحته منذ ساعة واحدة فى أسواق (أوروبا) و (أمريكا) ، وهذا البرنامج يختصر فترة التوصل إلى حل الشفرة إلى النصف .

انطلقت فى المكان شهقة انفعال ، واتسعت باقى العيون فى ذعر ، فى حين زفر المدير فى أسى ، وهو يضيف :

- وهذا يعنى أيها السادة أنه لم يعد لدينا وقت لإرسال عميل آخر إلى (مارسيليا) ، ولم يعد لدينا سوى أمل واحد بعد الله (سبحانه وتعالى) فى نجاح المهمة .

وأدار عينيه فى وجوههم ، متابعًا :

- أن يكون (عمر) قد نجا من أسنان القرش .

وفى هذه المرة ران على المكان صمت رهيب .. وطويل ..

★ ★ ★

ترددت ضحكة (أندريه كال) الظافرة فى المكان ، وهو يربت على ظهر خبير الكمبيوتر فى حرارة ، هاتفًا :

- مرحى يا رجل .. ما أعظم شركة (ميكروسوفت) هذه .. لقد عاونتنا معاونة عظيمة دون أن تدرى ، أو أنه الحظ ، الذى اختار جانبنا فى هذا الصراع ..

ها هو ذا برنامج الكمبيوتر الجديد لحل الشفرة ..

لقد أرسلت من ابتاعه فور علمى بطرحه فى الأسواق ..

هيا .. اختبره يا رجل ، وأخبرنى كم تحتاج معه من وقت ، لتنهى هذه المسألة ؟

التقط (بيريه) الأسطوانة المدمجة ، التى تحوى البرنامج الجديد ، ووضعها فى التجويف الخاص بها فى جهاز الكمبيوتر ، وضغط أزراره فى لهفة ، قبل أن يهتف فى انبهار :

ـ يا له من برنامج رائع !! إنهم عباقرة بحق !

سأله (أندريه) فى لهفة مماثلة :

ـ كم سيختصر من وقت البحث ؟

أجابه (بيريه) ، وهو يضغط لوحة الأزرار فى حماس :

ـ الكثير .. سأستبعد كل المحاولات التى قمنا بها بالفعل ، وأدرس الاحتمالات المتبقية ، باستخدام مبادئ الإحصاء البسيطة ، و ...

بتر عبارته ، وهو يواصل عمله فى اهتمام بالغ ، وكأنما لم يجد أهمية لشرح أسلوبه لمن لا يستوعبه ، وظلت أصابعه تعدو فوق أزرار الكمبيوتر لنصف دقيقة أو يزيد ، قبل أن يهتف فى حماس شديد :

ـ ثلاث ساعات .

اتسعت عينا (أندريه) ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟! هل تحتاج إلى ساعات ثلاث فحسب حقًا ؟!

أجابه (بيريه) بابتسامة كبيرة ، وهو يعدل وضع منظاره فوق أنفه :

ـ هذا هو الحد الأقصى .

أطلق (أندريه) ضحكة ظافرة مجلجلة أخرى ، قبل أن يهتف :

ـ عظيم .. عظيم .. لقد خسر هؤلاء العرب عميلهم ، ولن يجدوا الوقت الكافى لإرسال آخر .. هيا يا رجل .. واصل عملك بالبرنامج الجديد ، وأعدك بمكافأة عظيمة ، عندما تتوصل إلى الشفرة ، وتفتح لنا هذه الحقيبة المزعجة .

أومأ (بيريه) برأسه فى لهفة وسعادة ، وهو يواصل عمله فى حماس ، فى حين راح (أندريه) يفرك كفيه فى ظفر ، حتى دلف (فيليب) إلى المكان ، وهو يحمل بقايا معطف (عمر) الممزق ..

فالتفت إليه (أندريه) ، قائلاً :

ـ يا لك من عنيد ! ألم تهدأ حتى حصلت عليه ؟!

أجابه (فيليب) فى توتر :

ـ كان من الضرورى أن أفعل ، فهذا كل ما تم انتشاله ، بعد رحيل أسماك القرش .

قهقه (أندريه) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ أرسله إلى العرب فى طرد خاص على نفقتى .

لم يبتسم (فيليب) للدعابة ، وإنما بدا أكثر توترًا ، وهو يمط شفتيه ، ويقول فى شىء من العصبية :

ـ ولكن الرجال لم يعثروا على أية أشلاء .

هزّ (أندريه) كتفيه ، قائلاً :

ـ ربما كانت أسماك القرش جائعة للغاية .

هزّ (فيليب) رأسه نفيًا فى جدية ، وهو يقول :

ـ لقد رأيت جثث أو بقايا العديدين ، ممن هاجمتهم أسماك القرش ، وكانت هناك دائمًا أشلاء ولو قليلة ، أما في هذه الحالة فلم نعثر على أدنى أثر ، وكأنما اختفى ذلك العربي أو تبخر .

انعقد حاجبا (أندريه) في شدة ، وهو يقول :

ـ لا تكن انهزاميًا متشائمًا هكذا يا رجل .. اهدأ وقر عينا .. لقد انتصرنا هذه المرة ، وخسر العرب المعركة .. ضع هذا في رأسك دائمًا .. هل تفهم ؟ لقد انتصرنا .

زفر (فيليب) في توتر ، وهو يغمغم :

ـ فليكن أيها الزعيم .. لقد انتصرنا .

نطقها بلسانه ، ولكن عقله لم يقتنع بحرف واحد منها ..

كان واثقًا من أن اختفاء (عمر) ينطوي على أمر ما .. أمر لا علاقة له بأسماك القرش ..

لا علاقة له به على الإطلاق ..

★ ★ ★

دار رأس (عمر) في شدة ، إثر ضربات (فيليب) ، إلا أنه وبإرادة فولاذية ، استطاع السيطرة على جسده وأفكاره ، وانطلق عقله يدرس موقفه في سرعة ، وأدرك أن استعادة توازنه تحتاج منه ، أول ما تحتاج إلى الهدوء والاسترخاء ، فتمدد على ظهره ، فوق سطح الماء ، وترك جسده يسترخي لبضع دقائق ، استعاد خلالها سيطرته على نفسه ، وراح يدرس الموقف كله ..

وعلى الرغم من دقة موقفه الحالي ، إلا أنه يدرك جيدًا أن الحظ قد حالفه حتمًا ، بعثوره على (فيليب نوار) بهذه السرعة ، ومعرفة المكان الذي يختبئ فيه ..

ولكن ماذا يفعل في الميناء ؟!

وهل لهذا صلة بموضع الحقيبة ؟!

راح عقله يسترجع تفاصيل الميناء كلها ، في محاولة لتحديد المكان ، الذي يصلح للاختفاء ، أو لإخفاء الحقيبة ؟!

أهو أحد مخازن البضائع ، المنتشرة في المكان ؟!

أم أحد المباني الإدارية ؟!

أم ..

توقف تفكيره بغتة عند هذه النقطة ، عندما لمح بطرف عينه ذلك الجسم الأسود ، الذي يشق الماء متجهًا نحوه ..

كان زعنفة ظهرية ، من زعانف أسماك القرش المفترسة .. وفي تلك اللحظة فقط تذكر إصابة ذراعه ..

كان الدم ينزف منها طوال الوقت ويلوث معطفه ، يذوب منتشرًا في مياه البحر ، لتلتقطه أنوف أسماك القرش ، فيزيدها شراسة ووحشية ، ويدفعها للسعي إليه ، والانقضاض عليه ، وتمزيقه إربًا ..

وفي توتر ، راح عقله يدرس هذا الموقف الجديد .. وبسرعة ، انتزع من جيب معطفه مطواته السويسرية ، ذات الأغراض المتعددة ، واستعد لاستقبال وحش البحار ..

وفى وحشية واضحة ، انقضت عليه سمكة القرش المفترسة ، فغاص بأقصى ما يمكنه فى سرعة إلى أسفل ، وحاول طعنها فى بطنها ، إلا أنها انفلتت منه فى خفة مدهشة ، ودارت حول نفسها .. لتنقض عليه ثانية ..

كان من العسير ، إن لم يكن من المستحيل ، أن يتصدى بإصابته لوحش بحرى فى مملكته ، إلا أن الاستسلام واليأس لم يكونا قط جزءًا من تكوينه ، لذا فقد دفع قدميه وذراعيه فى الماء ، محاولاً الابتعاد ثانية .. ولكن سمكة القرش انقضت فى وحشية أكثر ، وأطبقت أسنانها بكل قوتها وشراستها ..

ولثانية أو يزيد ، خُيل للرجل أن الأسنان الحادة قد انغرست فى جسده ، ثم لم يلبث أن انتبه إلى أنها اقتنصت طرف معطفه فحسب ..

وانشبكت الأسنان المنشارية فى نسيج المعطف ، مما أثار توتر سمكة القرش وعصبيتها ، فراحت تجذبه مع صاحبه إلى الأعماق ..

وكانت هذه كارثة بحق ..

كلما توغلت السمكة فى العمق ، صار لها اليد العليا فى الصراع ، وفقد هو الكثير والكثير من قوته وقدراته ..

إنه يقاتل الآن بالفعل ، من أجل جرعة هواء واحدة ، بعد أن ضاق صدره ، واحتبست أنفاسه طويلاً ..

وفى مبادرة حتمية سريعة ، حل حزام معطفه ، وانتزعه من

جسده ، وترك السمكة تصارع نسيجه فى غضب ، وارتفع بجسده ليملأ صدره بالهواء النقى ..

ومع ذلك الصراع العنيف ، مع نسيج المعطف ، تمزقت أطرافه ، والتف حول رأس السمكة ، وأخفى عينيها ، فراحت تتخبط ، وتضرب الماء بذيلها فى عنف ورائحة الدم تقودها نحو جرح (عمر) مباشرة ..

وفى هذه المرّة لم ينتظر (عمر) انقضاضتها ..

لقد انقض هو ، وراح يطعن السمكة بمطواته فى مواضع شتى ، مستغلاً التفاف المعطف حول رأسها ..

وسالت دماء سمكة القرش بغزارة ، وانطلقت مبتعدة عن خصمها ، وهى تضرب الماء بذيلها ، وتجاهد للتخلص من المعطف الذى انشبك ذيله فى زعنفتها ، وذيلها ، و ...

وفجأة ، ظهرت أسماك القرش الثلاث الأخرى ..

لقد جذبتها رائحة دماء زميلتها ، فانقضت عليها بدورها فى وحشية ، وراحت تمزقها إربًا ..

وهذه واحدة من سمات ذلك النوع من الأسماك ..

فرائحة الدم تثير جنونه ، وتدفعه لتمزيق ضحيته ، حتى ولو كانت من نفس نوعه وجنسه ..

ومع انشغال أسماك القرش بتمزيق زميلتها ، وانشغال الجميع على الرصيف بمراقبة هذا المشهد العنيف ، راح (عمر) يسبح بعيدًا ، إلى الطرف الآخر من الميناء ، وتسلق الرصيف

فى خفة ، وصعد إليه فى حذر ، وانطلق يعدو نحو السور ، وقفز يتسلقه ، ويهبط خارج الميناء ، ثم اتجه فى خطوات واسعة نحو فندقه الصغير ، والشمس تميل إلى الغروب ، وتبدأ رحلة الغوص فى الأفق ..

كان يعلم أن الساعات تمضى فى سرعة ، وأنه لم يعد أمامه الكثير قبل انتهاء المهلة ، إلا أنه كان يحتاج بشدّة إلى تضميد جراحه ، وإلى استخراج تلك الرصاصة من ذراعه ، قبل أن يواصل القتال ..

وحتى النهاية ..

كل شىء كان يبدو مثاليًا للغاية ..

رصيف الميناء خال تمامًا ، والبدر يتوسط سماء خالية من الغيوم .. ويغمر المنطقة كلها بضوئه الفضى الهادئ ..

وقفز (عمر) عبر السور ..

كانت قفزته قوية واسعة .. قطع معها ما يزيد على ثلاثة أمتار ، قبل أن يهبط على قدميه فى خفة مدهشة ، وكأنما يسير على قدميه فى حديقة غناء ، وعندما انتزع مسدسه من جيبه ، كان المسدس من نفس الطراز الذى يميل إلى استخدامه .. (سميث ـ ويسون) ذو الماسورة الطويلة والخزانة ذات التسع الرصاصات ..

وفى هدوء ، ودون أن يبالى بالاختباء ، راح يجول على رصيف الميناء ، قبل أن يقدم على عمل عجيب ، بدا له ـ قبل غيره ـ مغرقًا فى الحماقة والاستهتار ..

لقد توقف وسط الرصيف ليهتف :

ـ (فيليب نوار) .. أنا أعلم أنك هنا .

راح صوته يتردّد فى المكان عدة مرات ، وكأنما يكرره صدى عجيب ، حتى أنه شعر بالملل ، فهتف ثانية :

ـ أعلم أنك تختبئ هنا .

لم يكن هناك مخلوق واحد على رصيف الميناء ، وضوء القمر يلقى ظلالاً طويلة واسعة ، تضفى على المكان رهبة عجيبة ..

ثم فجأة ، ظهر (فيليب) ..

لم يدر من أين جاء ، ولا كيف .. ولكنه وجده أمامه فجأة ، يبتسم فى سخرية ، على مسافة عشرة أمتار ، وهو يحمل الحقيبة ..

وفى صرامة ، هتف به (عمر) :

ـ سلمنى الحقيبة أيها القاتل ..

أطلق (فيليب) ضحكة ساخرة عالية ، وهو يلوح بالحقيبة ، قائلاً :

ـ تريد هذه الحقيبة .. خذ .. ها هى ذى .

قالها ، وألقى الحقيبة عاليًا على نحو مدهش ، فقد تجاوز ارتفاعها ستة أمتار كاملة ..

ولكن (عمر) قام بعمل أكثر إثارة للدهشة ..

لقد وثب عبر هذه الأمتار الستة ، فى خفة مذهلة ، والتقط الحقيبة ، ثم عاد يهبط على قدميه ، ولكن (فيليب) استقبله بضحكة ساخرة ، وهو يلوح بأوراق فى يده قائلاً :

- احتفظ بالحقيبة ، فلم يعد يعنينا شأنها .. لقد حصلنا على التصميمات ..

هتف (عمر) :

- مستحيل ! لن أسمح لك بهذا قط ..

قالها ، وراح يطلق رصاصاته نحو (فيليب) فى غضب ..

واستقبل جسد (فيليب) كل الرصاصات ، إلا أنه لم يهتز قط ، وإنما راح المجرم يضحك ، ويضحك ، ويضحك ، و ...

وفجأة ، استيقظ (عمر) ..

حركة خافتة ، عند باب حجرته بالفندق ، أيقظت عقله النائم ، وانتزعته من ذلك الكابوس المزعج ، فهب من فراشه ، والتقط مسدسه ، قبل أن يدق الباب .

أربع دقات متتالية منتظمة ، ويرتفع صوت يقول بالعربية :

- سيادة المقدم (عمر) .. أنا (أنور) ..

أسرع (عمر) يفتح الباب ، وجذب زميله (أنور) إلى الداخل ، وهو يقول فى توتر :

- أية حماقة هذه يا رجل .. لقد نطقت اسمى ورتبتى بمنتهى الوضوح ، ولو أن هناك شخص واحد يعرف العربية هنا ، لانكشف أمرنا على الفور ..

ارتبك (أنور) ، وهو يقول :

- معذرة يا سيادة المقدم ، ولكن اتصالك بى أدهشنى للغاية فقد أبلغونا أنك لقيت مصرعك فى الميناء ، بأسنان أسماك القرش المفترسة ، وطلبوا منا التحرك فى محاولة لإتمام المهمة .

تنهَّد (عمر) ، قائلاً :

- لقد نجوت بمعجزة والحمد لله ، ولكن دعنا من هذا الآن .. هل أبلغت القيادة بنجاتى .

أجابه (أنور) :

- بالطبع ، ولقد أسعدهم هذا كثيرًا ، وبعث فيهم الارتياح ، ولكنهم يبلغونك أن منظمة (وولف) قد حصلت على برنامج حل شفرة جديد ، يخفض المهلة إلى النصف ، وهذا يعنى أنه لم يعد أمامنا سوى ثلاث ساعات على الأكثر ، و ...

وقع بصره بغتة على رصاصة ملوثة بالدماء ، وإلى جوارها تلك المطواة السويسرية ، فبتر عبارته ليهتف :

- ربَّاه ! ماذا حدث ؟

أجابه (عمر) فى سرعة :

- رصاصة استخرجتها من ذراعى .

هتف (أنور) منزعجًا :

- وهل فعلت هذا بنفسك ؟!

لوح (عمر) بيده ، قائلاً :

- لا تشغل نفسك بهذا ، وأخبرنى .. هل فعلت ما طلبته منك ؟

أجابه (أنور) ، وهو يرمق الرصاصة بنظرة منزعجة :

- بالتأكيد .

وأخرج من جيبه ورقة كبيرة مطبوعة بوساطة طابعة الكمبيوتر ، وهو يكمل فى اهتمام :

- لقد حصلت على كشف كامل بالمخازن الموجودة فى الميناء ، وأسماء مقاولى الشحن والتفريغ ، وستجد كل التفاصيل هنا .

التقط (عمر) الورقة ، وراح يدرسها فى اهتمام ، وعقله يؤكد له ، مع كل سطر أن (فيليب) والحقيبة يختفيان فى مكان ما هنا ..

ولكن أين ؟

أين ؟!

هذا هو السؤال ..

★ ★ ★

تطلّع (أندريه) إلى ساعته فى شىء من التوتر ، قبل أن يرفع عينيه إلى خبير الكمبيوتر ، قائلاً :

- الساعات الثلاث شارفت الانقضاء يا (بيريه) ، وما زال رتاج الحقيبة مغلقًا .

تلعثم (بيريه) ، وهو يقول :

- إنـ .. إنه رتاج قـ .. قوى بالفعل يا مسيو (أندريه) .. لقد توصلت إلى خـ .. خمسة رموز حتى الآن ، و ... و ...

هتف (أندريه) فى حنق :

- كل هذا لا يعنينى .. أريدك أن تفتح هذا الرتاج .. إننى أبغض إضاعة الوقت بلا طائل .

ارتبك الرجل أكثر ، وهو يغمغم :

- الأمر ليس .. ليس بيدى يا مسيو (أندريه) إننى .. إننى أبذل قصارى جهدى .

زفر (أندريه) فى حنق ، والتفت إلى (فيليب) ، قائلاً :

- لم تعد أعصابى تحتمل .

أجابه (فيليب) ، وهو يتطلع عبر النافذة المستديمة إلى رصيف الميناء :

- لا بأس من بذل بعض التعب ، التوتر ، فى سبيل نصف مليار من الدولارات أيها الزعيم .

انعقد حاجبا (أندريه) ومطَّ شفتيه فى ضيق ، قبل أن يقول فى حدة :

- أما زلت تراقب الرصيف ؟

أومأ (فيليب) برأسه إيجابًا ، مغمغمًا :

- وسأظل أراقبه حتى ينفتح هذا الرتاج السخيف .

مطَّ (أندريه) شفتيه مرة أخرى ، قائلاً :

- ما الذى تتوقعه بالضبط ؟

أجابه (فيليب) فى اقتضاب :

ـ هجوم شامل .

ارتفع حاجبا (أندريه) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ هجوم شامل ؟! من أين جاءتك هذه الفكرة العجيبة ؟

أجاب (فيليب) فى صرامة :

ـ أنا واثق من أن ذلك العربى لم يلق مصرعه بأسنان أسماك القرش ، وأنه نجا بوسيلة ما ، ويتحفز للانقضاض علينا فى أية لحظة .

حدّق (أندريه) فى وجهه بدهشة ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ أية فكرة حمقاء هذه .. هل يمكنك أن تخبرنى كيف يمكن أن ينجو رجل واحد من ثلاث أسماك قرش مفترسة ؟! هيا استيقظ من غفوتك يا رجل .. إننا فى عالم الواقع ، ولسنا فى أحد أفلام الخيال السخيفة .. الرجل التهمته أسماك القرش ، وملأت به بطونها ، ولا ريب فى أنها ترقد هانئة بوجبتها الآن ، فى قاع البحر ، ولن ينقض أو يتحفز .. لقد انتهى أمره ، فاطرحه عن تفكيرك ، وفكر فى الملايين التى ستحصل عليها ، عندما تصبح التصميمات فى قبضتنا .

انتزع ذكر الملايين (فيليب) فى توتر ، فبرقت عيناه فى شراهة ، وسأل فى لهفة :

ـ كم سيبلغ نصيبى بالضبط أيها الزعيم ؟

ـ بعد خصم التكاليف ، والمصاريف الإضافية ، والأجر الهائل الذى سيتقاضاه (بيريه) ، أعتقد أن نصيبك سيبلغ حوالى ..

هزّ (أندريه) كتفيه ، وهو يجيب :

وصمت لحظة ، وهو يميل على أذن (فيليب) ، قبل أن يضيف فى دهاء :

ـ خمسين مليونًا تقريبًا .

اتسعت عينا (فيليب) فى لهفة وانبهار ، وهمّ بقول شىء ما ، عندما ارتفع فجأة صوت (بيريه) ، وهو يهتف :

ـ مسيو (أندريه) .. مسيو (أندريه) ..

التفت إليه الاثنان فى لهفة ، فتابع فى حماس :

ـ لقد توصلت إليه .

وخفق قلباهما فى عنف ..

★ ★ ★

٤ـ المواجهة ..

تعلقت عيون القادة العسكريين العرب بعقارب ساعة الحائط الكبيرة ، فى قاعة الاجتماعات الكبرى ، فى مقر قيادة المخابرات العربية المشتركة ، وبدا لهم عقرب الدقائق وكأنه يعدو فوقها ، فى سباق مع عقرب الثوانى ، وأن كليهما يلتهم الوقت فى شراهة مخيفة ، وسط الصمت الرهيب ، الذى ساد المكان كله ، قبل أن يرتفع صوت مدير المخابرات المشتركة ، قائلاً فى حزم :

ـ لا فائدة من كل هذا أيها السادة .. لم يعد من الممكن حساب الوقت فرجال منظمة (وولف) يمكنهم التوصل إلى حل شفرة رتاجنا الإليكترونى فى أية لحظة الآن .

زفر أحد القادة ، وهو يلقى نفسه على أقرب مقعد إليه ، مغمغمًا فى مرارة :

ـ يا للخسارة !

استدرك المدير فى سرعة :

ـ وهذا لا يعنى أنهم قد توصلوا إليه بالفعل .

قال قائد آخر فى أسى :

ـ ولكنهم فى سبيلهم إلى هذا .

أجاب المدير فى حزم :

ـ (عمر) مازال هناك .

ـ تطلع إليه أحدهم لحظة ، قبل أن يسأله :

ـ قل لى يا سيادة المدير :

لماذا تولى ذلك الرجل ثقتك كلها على هذا النحو ؟

أجاب المدير :

ـ لأنها ليست مهمته الأولى .. لقد سبق وأسندنا إلى (عمر زاهر) مهام أخرى شديدة الدقة والصعوبة والخطورة ، وأبلى فيها كلها بلاءً حسنًا .

وعلى نحو يستحق التقدير والإعجاب .

سأله قائد آخر :

ـ وهل تعتقد أنه يمكن أن يكرر هذا هذه المرة ؟

هزَّ المدير كتفيه ، مجيبًا :

ـ ولِمَ لا ؟! اللّه (سبحانه وتعالى) ينصر من ينصره ، ويده (عزَّ وجلَّ) تعلو أيدى الطغاة والمتجبرين .

حسم قوله المناقشة ، وعاد الصمت يغلف القاعة كلها ، وعادت العيون تتطلع إلى عقارب الساعة وهى تمضى ..

وتمضى ..

وتمضى ..

★ ★ ★

انتهى (عمر) من صلاته ، ونهض يلملم البساط الصغير ، ويطويه فى حرص ، ونهض زميله (أنور) بدوره ، وهو يغمغم :

ـ تقبل اللّه

أجاب (عمر) :

ـ منا ومنكم ..

ثم تنهد فى عمق ، واتجه إلى النافذة ، يراقب رصيف الميناء للمرة العاشرة ، فسأله (أنور) فى قلق :

ـ أما زال الأمر يثير حيرتك ؟

أجابه (عمر) ، دون أن يبعد عينيه عن النافذة :

ـ بالطبع ، فأنا واثق من أن (فيليب) والحقيبة فى مكان ما هنا ، ولكننا تسللنا أنت وأنا إلى الميناء ، وفحصنا كل المخازن ، ولم نجد أدنى أثر لكليهما .

صمت (أنور) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ربما هما فى مكان آخر .. ألم تقل : إنه كان فى طريقه إلى الانصراف ، عندما حدثت المواجهة بينك وبينه ؟

أجابه (عمر) ، وعقله يدرس الأمر للمرة العاشرة :

ـ هذا صحيح ، ولكنه اختفى أيضاً فى الميناء ، ولم يغادره ، كما أكدت تحريات الزملاء ، وهذا يعنى أنه فى مكان ما هنا..

تنهد (أنور) ، قائلاً :

ـ وكيف يمكن أن يختفى رجل هنا ، وسط كل هذا النشاط ، من شحن ، وتفريغ ، وإصلاح للسفن ، و ..

قاطعته صيحة (عمر) :

ـ يا إلهى ! .. هذا صحيح .

سأله (أنور) فى دهشة :

ـ ما هذا الصحيح ؟!

هتف (عمر) فى انفعال :

ـ كيف لم أنتبه إلى هذا منذ البداية .. لقد عرفت المخبأ المثالى .

هبَّ (أنور) فى مقعده ، هاتفاً :

ـ أين ؟

أشار (عمر) بيده ، قائلاً فى حماس :

ـ هناك .. فى قلب هذه السفينة .

قالها ، وهو يشير إلى السفينة التى يتم إصلاحها فى ركن الميناء ، فارتفع حاجبا (أنور) ، وقد بدا له أنها بالطبع المخبأ المثالى ..

والوحيد ..

★ ★ ★

قفز (أندريه كال) فى لهفة نحو خبير الكمبيوتر (بيريه) ، وهو يهتف :

ـ هل توصلت إلى حل شفرة الرتاج الإليكترونى ؟!

أجابه (بيريه) فى انفعال :

ـ بل .. بل توصلت إلى الرمز السادس .

ارتد (أندريه) فى حنق غاضب ، وهو يقول :

ـ أيها الغبى .. لقد تصورت أن المشكلة قد انتهت .

ارتبك (بيريه) وهو يقول :

- ولكنها أوشكت على الانتهاء بالفعل يا مسيو (أندريـه) ، فالوصول إلى الرمز السابع والأخير لن يستغرق أكثر من ربع الساعة على الأكثر .. يمكنك أن تستعد للاحتفال الآن .

برقت عيناه (أندريه) ، وهو يهتف :

- حقًا ؟!

ثم انطلق يقهقه فى سعادة ظافرة ، ويربت على كتف الرجل فى حرارة ، مستطردًا :

عظيم .. عظيم يا (بيريه) .. ستحصل على مكافأة كبيرة عندما تفتح هذا الرتاج السخيف .. مكافأة ستجعلك لا تحتاج إلى شىء بعد اليوم أبدًا .

تهللت أسارير (بيريه) ، وراح يعمل على أزرار الكمبيوتر فى لهفة ، فى حين ابتعد عنه (أندريه) ، متجهًا نحو (فيليب) ، الذى همس فى استخفاف :

- هل ستمنح هذا المتحذلق مكافأة ضخمة بالفعل ؟

أومأ (أندريه) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- لقد وعدته ألا يحتاج إلى شىء بعد اليوم ، والأحياء يحتاجون إلى الأشياء حتمًا ، مهما بلغت درجة ثرائهم .

ابتسم (فيليب) فى سخرية ، قائلاً :

- هل تعنى أنك ..

قاطعه (أندريه) بإشارة من يده ، وهو يهمس فى خبث :

- نعم يا عزيزى (فيليب) .. أعدّ مسدسك الآن ، ففور فتح ذلك الرتاج ، سيكون عليك أن تمنح عزيزنا (بيريه) رصاصة فى رأسه مباشرة .

ضحك (فيليب) بصوت خافت ، وهمّ بقول شىء ما ، و ..

وفجأة ، انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدق فى رصيف الميناء ، عبر النافذة المستديرة ، فسأله (أندريه) متوترًا :

- ماذا هناك ؟

أشار (فيليب) إلى الرصيف فى توتر بالغ ، وهو يقول :

- هناك .. انظر هناك .. رجل يتجه إلينا مباشرة ، تطلع (أندريه) عبر النافذة إلى ذلك الرجل ، الذى يحمل مسدسًا كبيرًا ، على نحو سافر مستفز ، ويتجه نحو السفينة التى يختبئون فيها مباشرة ، ثم هتف فى عصبية :

- إنه ذلك العربى .. أليس كذلك ؟

أجابه (فيليب) ، وهو يلتقط مسدسه من جيب سترته :

- كلا ، إنه شخص آخر ، ولكن من الواضح أن ...

وقبل أن يتم عبارته ، حدث الاقتحام ..

(عمر) المتعلق بحبل قوى ، انقض بقدميه على النافذة الأخرى للقاعة ، واقتحمها بدوى عنيف ، واندفع جسده داخل المكان ، مع شهقة عنيفة أطلقها (بيريه) ، وهو يقفز من مقعده مذعورًا ..

- وفى ارتياع ، صرخ (أندريه) :



لم يكد يسقط داخل المكان حتى راح يتدحرج مبتعدًا فى سرعة ، فأصابت رصاصات (فيليب) كلها الأرض ..

ـ ما هذا بالضبط ؟

أما (فيليب) ، فقد استدار إلى موضع الارتطام بسرعة مدهشة ، تليق بمحترف حقيقى ، وصوب مسدسه إلى (عمر) ، وهو يهتف :

ـ كنت أعلم ... كنت أتوقع هذا

وأطلق رصاصاته فى غضب ..

ولكن (عمر) أيضًا كان محترفًا حقيقيًا ..

إنه لم يكد يسقط داخل المكان ، حتى راح يتدحرج مبتعدًا فى سرعة ، فأصابت رصاصات (فيليب) كلها الأرض ، وتناثرت لها عشرات الشظايا فى نفس اللحظة التى انتزع فيها (أندريه) نفسه من ذهوله ، واندفع نحو خبير الكمبيوتر ، هاتفًا :

ـ هيا بنا يا رجل .. هذا المكان لم يعد آمنًا .

وانتزعه من مقعده فى عنف ، واختطف الحقيبة باليد الثانية ، و (بيريه) يهتف فى رعب هائل :

ـ انتهينا يا مسيو (أندريه) .. انتهى أمرنا .

قالها و (فيليب) يقفز خلف حاجز معدنى سميك ، متفاديًا رصاصات (عمر) ، فصاح به (أندريه) :

ـ لم ينته الأمر بعد أيها الجبان الحقير .. لقد حصلنا على ستة رموز ، وسنجد الوقت للعثور على الرمز السابع والأخير فى مكان آخر .

رآهما (عمر) يندفعان عبر المخرج الخلفى ، فقفز محاولاً اللحاق بهما ، ولكن (فيليب) أطلق رصاصاته نحوه ، هاتفًا :

- هيا .. اخرج من مكانك أيها العربى ، حتى أسعد بنسف رأسك العربى ، الذى لا يهدأ قط .

تراجع (عمر) فى سرعة ، متفاديًا الرصاصات ، واحتمى بحائل آخر ، وهو يقول :

- هذا الرأس ، الذى لا يهدأ أبدًا ، هو الذى خدعك أيها المتحذلق .. لقد كشفت مخبأكم ، وجعلت زميلى يجذب انتباهكم إليه ، فى نفس الوقت الذى تسللت أنا فيه إلى سطح السفينة ، وهبطت منه إليكم ، لأباغتكم باقتحام المكان .

أطلق (فيليب) ضحكة ساخرة عصبية ، وهو يقول :

- وماذا فعلت باقتحامك له أيها المغرور ؟ إنك هنا تختبئ كجرذ مذعور ، فى حين يفر الزعيم من هنا ، مع حقيبتكم وخبير الكمبيوتر ، ولن تعثر عليه قط ، إلا عندما يعلن للعالم انتصاره عليكم ، ويقيم مزاده لبيع تصميماتكم .

انعقد حاجبا (عمر) ، وهو يسمع هذه العبارات الساخرة الشامتة ، وأدرك على الرغم من غضبه وحنقه ، أن (فيليب) محق تمامًا فى قوله ، وأنه من المستحيل أن يظل مختبئًا إلى الأبد ، تاركًا زعيم منظمة (ولفٍ) يفر بالحقيبة والتصميمات ..

وكان من المحتم أن يجد حلاً لهذا ..

أى حل ...

وفى نفس اللحظة ، التى عقله يبحث فيها عن الحل ، كان (أندريه) يجذب (بيريه) خلفه فى قسوة ، فى طريقهما إلى سطح السفينة ، وهذا الأخير يهتف فى ألم ورعب :

- رويدك يا مسيو (أندريه) .. رويدك .. لست أحتمل هذا .

صاح به (أندريه) فى غلظة :

- احتمل يا رجل .. لابد وأن تحتمل .. من الضرورى أن نتوصل إلى الرقم السابع .

هتف الرجل فى انهيار :

- لا تقس علىَّ هكذا يا مسيو (أندريه) .. أرجوك .. التوصل إلى الرقم السابع لن يحتاج إلى جهد شديد كما تتصور .. يكفى أن توصل الرتاج الإليكترونى ببرنامج الكمبيوتر الجديد ، وتضغط زر التشغيل ، وسيقوم البرنامج بالعمل وحده .

توقف (أندريه) بغتة ، والتفت إليه ، قائلاً بلهجة عجيبة :

- أتعنى أن الأمر لم يعد يحتاج إلى خبير مثلك لحسمه ؟

لهث (بيريه) فى شدة ، من فرط التعب والانفعال ، وهو يقول :

- كلا يا مسيو (أندريه) .. فى هذه المرحلة الأخيرة ، لم يعد الأمر يحتاج إلا لـ ..

قبل أن يتم عبارته ، انتبه بغتة إلى مغزى السؤال ..

وانتفض جسد خبير الكمبيوتر كله ، وهو يهتف فى ارتياع :

- مسيو (أندريه) .. لعلك لا تقصد أن ...

قاطعه (أندريه) فى برود ، وهو يصوب مسدسه إليه :

- للأسف يا عزيزى (بيريه) .. هذا ما أقصده بالضبط .

صرخ (بيريه) فى رعب هائل :

- لا يا مسيو (أندريه) .. لا .. الرحمة .. الرحمة .

ولكن ذرة واحدة فى كيان (أندريه كال) لم تهتز رحمة أو شفقة ، وإنما ضغط زناد مسدسه فى هدوء مفزع ، وترك رصاصاته تخترق الرأس العبقرى ، الذى باع ذكاءه لقوى الشر ، فاتسعت عينا خبير الكمبيوتر ألما وهلعا ، وهوى تحت قدمى (أندريه) جثة هامدة ، فهز هذا الأخير كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يعيد مسدسه إلى حزامه ، قائلاً :

- سامحنى يا عزيزى (بيريه) .. إنه ليس بغضًا شخصيًا ، وإنما ضرورات العمل هى التى حتمت هذا .. الوداع يا عزيزتى .. الوداع .

قالها ، وانطلق يواصل عدوه ، حاملاً الحقيبة العربية ، حتى بلغ سطح السفينة ، فاتجه فى خطوات سريعة نحو كابينة القيادة ، مغمغمًا :

- من حسن الحظ أننى احتطت لهذا .

وأخرج من جيبه جهاز تحكم عن بعد (ريموت كنترول) ، صوبه إلى الكابينة ، وهو يضغط أحد أزراره ، فانشقت الكابينة إلى قسمين ، انزلقا إلى الجانبين ، فوق قضيبين ملتويين لتنكشف خلفها ساحة واسعة ، واستقرت فى وسطها طائرة هليكوبتر صغيرة ، اندفع نحوها (أندريه) ، وهو يطلق ضحكة ساخرة عالية ، قائلاً :

معذرة يا عزيزى (فيليب) .. ضرورات العمل أيضًا هى التى حتمت فرارى بدونك .. تقبل أسفى .

وقفز داخل الهليكوبتر ، وأدار محركها ، وهو يطلق ضحكة أخرى عالية ..

ضحكة ساخرة ..

وظافرة ..

★ ★ ★

لم يعد أمام (عمر) سوى دقائق معدودة ، إما أن يربح خلالها معركته ، ويحقق الهدف الرئيسى لمهمته ، أو يخسر كل شىء ..

وهو يبغض الفشل والخسارة ..

وفى سرعة مدهشة ، راح عقله يدرس الموقف ، ويبحث عن مخرج مناسب منه ..

وفجأة ، تركزت أفكاره كلها على مشهد فرعى واحد ..

على المسدس الذى يحمله (فيليب) ..

كان مسدسًا ألمانى الصنع ، من طراز شاع استخدامه إبان الحرب العالمية الثانية(*) .

تحوى خزانته ثمان رصاصات فى المعتاد ..

ثمان رصاصات ..

تكرر الرقم فى رأس (عمر) طويلاً ، قبل أن يهتف :

(*) الحرب العالمية الثانية : (١٩٣٩ - ١٩٤٥) : حرب اشتعلت بسبب السياسة العدوانية لدول المحور آنذاك (ألمانيا - إيطاليا - اليابان) والنهج الاستعمارى للقوات النازية ، بقيادة (أدولف هتلر) ، مما أدى إلى دخول الحلفاء الحرب (فرنسا - إنجلترا - روسيا - أمريكا) ، وانتهى الأمر بفوز الحلفاء ، واحتلال (ألمانيا) ، مما دفع (هتلر) إلى الانتحار فرارًا من الهزيمة .

- يدهشنى أنك كثير التبجح يا (فيليب) ، على الرغم من أنك لا تجيد التصويب بدرجة كافية .

صاح القاتل فى غضب :

- هراء .. أنا أصيب الهدف أفضل منك بثلاث مرات على الأقل أيها العربى .

اندفع (عمر) فى مكانه فجأة ، هاتفًا :

- دعنا نختبر هذا .

كانت الاندفاعة مباغتة ، ولكن (فيليب) أطلق ثلاث رصاصات ، أصابت كلها الأرض ، على قيد سنتيمترات من قدمى (عمر) ، الذى وثب خلف حاجز جديد ، أصابته فى نفس اللحظة رصاصتان ، وارتدتا عنه فى عنف ، فاندفع (عمر) من خلفه ، صائحًا فى لهجة تحمل رنة ساخرة :

- أرأيت ؟

كانت فكرته تعتمد على مجازفة شديدة ، ولكنه لم يبال ، ففى ذهنه تتردد عبارة مدير المخابرات الأخيرة بلا انقطاع ..

نريدك أن تنجح فى مهمتك .. مهما كان الثمن ..

مهما كان الثمن ..

مهما كان ..

ومن خلفه ، انطلقت ثلاث رصاصات أخرى ، خدشت إحداها ساقه اليسرى ، وأصابت الثانية الجدار ، على بعد سنتيمتر واحد من رأسه ، فى حين اخترقت الثالثة كتفه الأيسر ..

ولكنه توقف بغتة ..

توقف واستدار يواجه (فيليب) ، ويندفع نحوه ، هاتفًا :

- خزانتك فرغت يا رجل

انتبه (فيليب) إلى خدعة (عمر) ، وتراجع مبهوتًا ، وحاول أن يصد ذلك الهجوم ، ولكن (عمر) ، الذى يدرك أن لكل دقيقة ثمنها ، كان قد تحول إلى وحش كاسر ، وهو ينقض عليه ، ويهوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، هاتفًا :

- ولن أمنحك فرصة لاستبدالها .

ثم حطم أنفه بلكمة ثانية كالصاعقة ، ولم ينتظر حتى يشاهد سقوطه ، وإنما دار على عقبيه ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته ، محاولاً اللحاق بالزعيم قبل فراره ، وعلى الرغم من إصاباته والجهد الهائل الذى بذله ، كان (عمر) يجرى بسرعة مذهلة ، كما أنه لم يعد له من هدف فى الحياة سوى الجرى .

وسوى اللحاق بالزعيم ..

وفى طريقه وجد جثة خبير الكمبيوتر ، وسط بركة من الدم ، إلا أنه لم يتوقف ليلقى عليها نظرة واحدة ، وإنما واصل طريقه نحو السطح ، وعقله يتساءل فى توتر بلا حدود :

- هل سيصل فى الوقت المناسب ؟!

هل ؟!

ولم يكد ذلك التساؤل الأخير يطرق ذهنه ، حتى صك مسامعه هدير مروحة الهليكوبتر ، وهى تدور على السطح ..

وعلى الرغم من أنه كان ينطلق بأقصى سرعته بالفعل ، إلا أن سماع صوت مروحة الهليكوبتر دفع فى عروقه حماسًا

إضافيًا جعل سرعته تتضاعف ، وجعله يثب فى درجات السلم وثبًا ، حتى بلغ السطح ، و ...

وانتفض جسده كله فى عنف ..

لقد رأى الهليكوبتر ترتفع عن السطح بالفعل ، وبداخلها (أندريه) والحقيبة ..

ولم يكد بصر (أندريه) يقع عليه ، حتى هتف فى توتر شديد :

- إنه ذلك العربى .. يا للسخافة !

وصوّب مسدسه إليه فى سرعة ، ولكن (عمر) أطلق رصاصة ، أطاحت بمسدس (أندريه) ، الذى هتف :

- فليكن أيها العربى .. لقد خسرت مسدسى ، ولكننى سأربح المباراة كلها .

وجذب عصا القيادة فى قوة ، فارتفعت الهليكوبتر ، وراحت تندفع نحو حافة السطح ، وضغط (عمر) زناد مسدسه مرة أخرى ، فى محاولة لإصابة (أندريه) ، إلا أن المسدس أصدر تكّة معدنية ، تعلن فراغ خزانته تمامًا من الرصاصات ، فأطلق (أندريه) ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

- أرأيت أيها العربى ؟ لقد خسرت .. خسرت ..

ولكن (عمر) .. كما سبق أن أشرنا .. لم يكن يبغض فى حياته كلها أكثر من الفشل والخسارة ..

لذا فقد انطلق بأقصى سرعته نحو الهليكوبتر ، التى تجاوزت السطح بالفعل ، وقائدها يطلق ضحكة ظافرة مجلجلة ..

وقفز (عمر) ..

ومن موقعه على رصيف الميناء .. شاهد (أنور) زميله (عمر) يسبح فى الهواء ، متجهًا نحو الهليكوبتر ، التى تبتعد بسرعة ، و ...

وفعلها رجل المخابرات العربى ..

تعلق بالهليكوبتر ، وتشبث بها فى قوة ، وهى تنطلق إلى عرض البحر ..

وصرخ (أندريه) فى غضب مذعور :

- لا .. لا .. هذا مستحيل !

وبكل قوته ، رفع الحقيبة ، وضرب بها (عمر) على رأسه فى عنف ، صارخًا :

- ابتعد أيها العربى .. ابتعد .. لن تظفر بى أبدًا ..

كانت الضربة مؤلمة بالفعل ، فرفع (عمر) مسدسه نحو الرجل ، إلا أن (أندريه) أطلق ضحكة ساخرة ، وهو يهوى على رأسه بالحقيبة ثانية ، وهتف :

- أنسيت أيها العربى ؟ مسدسك صار فارغًا .. صار مجرّد قطعة من الحديد بلا فائدة .

هتف به (عمر) :

- أخطأت يا رجل .. مازالت له فائدة شديدة الأهمية ..

وبكل قوته ، هوى بالمسدس على الرتاج الإليكترونى للحقيبة ، ثم أفلت الجزء الذى تشبث به من الهليكوبتر ، مستطردًا :



- والآن تحدث عن المكسب والخسارة يا رجل .

ولوهلة ، لم يفهم (أندريه) ما حدث بالضبط ، وهو يحدق فى (عمر) الذى يهوى نحو البحر ، ليغوص فى أعماقه ، ثم فجأة ، ومع ذلك الأزيز الذى أطلقه الرتاج ، فهم زعيم منظمة (وولف) الموقف كله ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يهتف :

- يا للداهية !

لقد تعرض الرتاج الإليكترونى لمحاولة عنيفة ، مع ضربة المسدس ، فاشتعل داخله جهاز التفجير الذاتى ، و ..

ودوى الانفجار ..

انفجرت الحقيبة مع التصميمات العربية ، والهليكوبتر ..

وعندما صعد (عمر) برأسه إلى السطح ، كانت الشظايا تتساقط حوله فى كل مكان ، مع أشلاء (أندريه كال) ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ..

لقد حقق الهدف من المهمة بالضبط ، ودمر التصميمات حتى لا يحصل عليها العدو ..

الآن لم تعد هناك سوى نسخة التصميمات ، التى تمتلكها الجيوش العربية ..

والآن .. الآن فقط انتهت المهمة ، وانتهت معها تلك الساعات الرهيبة ..

ساعات الخطر .

[تمت بحمد اللّه]

١ـ المرتزقة ..

على الرغم من أن عقارب الساعة لم تكن قد تجاوزت الحادية عشرة صباحًا ، إلا أن تلك السفارة التابعة لدولة عربية ، فى قلب العاصمة البريطانية ، اكتظت عن آخرها بالرواد ، من مختلف الجنسيات ، للحصول على تأشيرة دخول ، على عكس المعتاد ، فى تلك الفترة من العام ، حيث ترتفع درجات الحرارة عن معدلاتها الطبيعية ، مما أثار دهشة وحيرة العاملين فيها ، فمال أحدهم على أذن صاحبه ، هامسًا :

ـ عجبًا ! هل تحول بلدنا فجأة إلى مزار سياحى من الطراز الأول ، دون أن يبلغنا أحد بهذا ؟!

ابتسم زميله ابتسامة حائرة ، وهو يدير عينيه فى الحاضرين ، مغمغمًا :

ـ لست أدرى ، ولكن من المؤكد أن اليوم يختلف عن كل الأيام السابقة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يتطلع فى اهتمام شديد إلى حلقة من الرجال ، احتلت ركنًا من أركان صالة التأشيرات ، وأحاطت به على نحو عجيب ، وكأن أصحابها يحاولون إخفاء شىء ما فيها ، فسأله زميله فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟ لماذا توقفت عن الحديث بغتة ؟

أشار الرجل إلى ذلك الركن المزدحم ، وهو يقول :

ـ شىء ما يحدث هناك .. على نحو يثير الريبة ، وأخشى أن هؤلاء الرجال يدبرون أمرًا ما ..

انعقد حاجبا زميله ، وهو يتطلع بدوره إلى ذلك الركن ، قبل أن يتمتم :

ـ أنت محق فى شكوكك .. الأفضل أن تبلغ الأمن ، أو ..

قبل أن يتم عبارته هذه المرة ، تفجر الموقف كله دفعة واحدة ..

هؤلاء الرجال الذين يحتلون الركن ، انفرط عقدهم بغتة ، وبرز فى وسطهم ثلاثة من الأقوياء مفتولى العضلات ، يحمل كل منهم مدفعًا آليًا عجيب الشكل ، وصاح أحدهم فى صوت جهورى مخيف :

ـ أول من سيتحرك سننسف رأسه بلا إنذار .. فلينبطح الجميع أرضًا ، وليضع كل منكم كفيه على رأسه .

تحرك أحد حراس السفارة بسرعة فى محاولة للتصدى لهؤلاء الثلاثة ، فى حين اندفع الموظفون ، يحاولون الاختباء خلف الأبواب المغلقة ، والنوافذ المضادة للرصاص ، إلا أن المدافع الآلية انطلقت كلها فى آن واحد ، ودوت الرصاصات فى المكان على نحو مخيف ، وسقط حارس السفارة صريعًا مع اثنين من زملائه ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها خمسة رجال آخرون مكاتب الموظفين ، وهم يستلون من جيوبهم

مسدسات صغيرة ، أطلقوا نيرانها على أرتجة الحجرات المغلقة ، وهم يصرخون فى وحشية :

– إياكم والمقاومة .. أول من سيتحرك سيتلقى سيلاً من الرصاصات ، تحوله إلى غربال قديم .

تعالت صرخات وشهقات الموظفين ورواد السفارة القلائل ، الذين كشفوا بغتة أن هذا الازدحام لم يكن سوى جيش من الإرهابيين ، الذين أخرج كل منهم مسدسه ، ولوح به فى الهواء ، صارخًا :

– تجمعوا هنا ، من يريد الموت ، ويسعى إليه فقط ، له الحق فى مخالفة أوامرنا .. كان واحدًا من أكثر المواقف ، التى تعرضت لها السفارة صعوبة وخطورة ، مما أثار الرعب والفزع فى قلوب الجميع ، وسمح للإرهابيين بالسيطرة على المكان بسرعة ، وخاصة بعد قضائهم على رجال الأمن ، وهتف القنصل العربى فى دهشة :

– ولكن كيف ؟! كيف تجاوزتهم بوابات الفحص ، وأنتم تحملون كل هذه الأسلحة ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (ماسيل جان) ، زعيم الإرهابيين ، وهو يجيبه بلهجة قاسية خشنة :

– فلنشكر الصناع المهرة فى (تايوان)(*)، لأنهم نجحوا فى

(*) (تايوان) : (جزيرة يفصلها عن ساحل جنوب شرق (الصين) مضيق (فرموزا) عاصمتها (تايبيه) ، وسطحها جبلى مرتفع ، من أهم =

ابتكار مسدسات ورصاصات من البلاستيك الصلب ، لا تنجح هذه البوابات الإليكترونية قط فى كشفها ، أما بالنسبة للمدافع الآلية ، فهى مصنوعة بمهارة ، تجعل فكها وإعادة تركيبها من أبسط الأمور ، التى يمكن أن يقوم بها صبى صغير .

سأله القنصل فى توتر :

– ولماذا سعيتم لاحتلال سفارتنا ؟!

مال (ماسيل) نحوه ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، بنظرة وحشية ، أشبه بنظرة ذئب مفترس ، وهو يجيب فى بطء مستفز :

– لا تتعجل الأمور يا رجل .. لن يمضى وقت طويل ، إلا وتصبح كل الأمور واضحة .

ثم تراجع فى بطء ، وانكشفت أسنانه الصفراء الضخمة ، وهو يطلق ضحكة عالية مجلجلة مخيفة ، قبل أن يضيف :

– واضحة للغاية ..

وانطلقت من حلقه ضحكة أخرى ..

ضحكة أكثر قوة ..

وأكثر وحشية ..

* * *

= معادنها الفحم والذهب والنحاس ، تدار فى الوقت الحالى بإدارة أمريكية وحققت إنجازًا رائعًا فى المجال الاقتصادى ، فى السنوات الخمس الأخيرة .

و (هونج كونج) اسمها بالصينية (هسيانج ـ تشيانج) ، وهى مستعمرة بريطانية مجاورة لمقاطعة (كوانجتونج) ، وهى ميناء حر ، ومرفق جوى دولى ، ومركز صناعى وتجارى ضخم ، ولقد استولت عليها (اليابان) فى الحرب العالمية الثانية ، واستردتها (بريطانيا) بعد الحرب وعادت الآن إلى الصين .

أطلق (عمر زاهر) ، رجل المخابرات العربى ، ضربة إرسال قوية ، عبر ملعب التنس ، استقبلها خصمه بمضربه فى مهارة ، وأعادها إلى ركن الملعب ، فوثب (عمر) يستقبلها فى براعة ، وضرب الكرة بمضربه على نحو مدهش جعلها تتجاوز الشبكة على ارتفاع منخفض ، ثم تنقض كالصاروخ على أرض الملعب بين ساقى خصمه ، الذى وثب محاولاً استقبالها ، إلا أنها لم تكد تضرب الأرض ، حتى ارتفعت بزاوية عجيبة غير متوقعة ، ومالت فى عنف ، حتى إن وثبة الخصم ، على الرغم من قوتها وجودتها ، فشلت فى اللحاق بها ، وهى تتجاوز حدود الملعب ، معلنة انتصار (عمر) فى الشوط ، والمباراة كلها .. وعندما التقيا عند الشبكة ، فى منتصف الملعب .. وارتسمت على شفتى (عمر) ابتسامة أنيقة ، وهو يصافح خصمه ، ويشدّ على يده فى حرارة ، قائلاً :

ـ كانت مباراة ممتعة بحق .. أتمنى لك حظًا أفضل فى المباريات القادمة ..

أطلق الرجل ضحكة مرحة ، وهو يقول :

ـ لا داعى للتواضع يا (عمر) .. كلانا يعلم أنها ليست مسألة حظ .. أنت تزداد مهارة بالفعل فى كل مرة ، على نحو ملحوظ .

ثم مال نحوه ، يسأله فى اهتمام حقيقى :

ـ قل لى .. كيف تفعل هذا ؟

أجابه (عمر) فى هدوء ، وهما يغادران الملعب :

ـ إنه توفيق من الله (سبحانه وتعالى) ، ثم إننى أواظب على التدريب دائمًا ..

هزّ الرجل رأسه ، قبل أن يقول :

ـ ليس هذا فحسب يا (عمر) فأنت أيضًا لاتدخن ، ولاتقرب الخمر ، وقلبك يعرف الخشوع للّه (سبحانه وتعالى) ، على الرغم من أنه ـ فى الوقت ذاته ـ لايهاب الخطر ، ولايخشى أعتى العتاة .

أجابه (عمر) :

ـ هذا أمر طبيعى يا .. فمن يخش اللّه (العلى القدير) ، لن يخاف بشريًا قط .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انطلق من ساعته أزيز قوى متصل ، انعقد له حاجباه فى شدّة ، وجعل زميله يهتف :

ـ آه .. يبدو أنه استدعاء عاجل يا (عمر) .. ربما كان من الـ ...

ولكنه لم يستطع إكمال عبارته قط ..

هذا لأن الشخص المفترض أن يستمع إليها لم يعد هناك ..

لقد انطلق فور تلقيه النداء ليبدل ثيابه ، ويستقل سيارته ، ويتجه بها إلى مبنى قيادة المخابرات العربية المشتركة لتلبية ...

ولم تمض ربع الساعة على حديث زميله ، حتى كان المقدم (عمر زاهر) يقف أمام مدير المخابرات العربية المشتركة ، الذى

استقبله فى توتر ملحوظ، يشف عن مدى أهمية وخطورة الأمر ، وهو يقول :

- بعض الإرهابيين احتلوا سفارة عربية فى (لندن) يا (عمر) .

انعقد حاجبا (عمر) ، وهو يسأل :

- هل أعلنوا هدفهم من هذا ؟

أجابه المدير :

- ليس بعد ، ولكنهم يحتفظون بأكثر من ستين رهينة ، بين موظفى السفارة ، والمسئولين ، وبعض الذين ذهبوا للحصول على التأشيرة ، ولقد حولوا المبنى ، خلال ساعة واحدة ، إلى قلعة حصينة ، وزرعوا فيه عددًا من العبوات الناسفة ، وهددوا بنسفه ، فى حالة حدوث أى هجوم ، مما دفع الشرطة البريطانية إلى الاكتفاء بمحاصرة المكان ، فى انتظار الخطوة التالية .

سأله (عمر) :

- وماذا عن إمكانيات التعاون ؟

هزّ المدير رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لقد رفضوا تمامًا فكرة تدخل أى شخص فى الأمر ، وأعلنوا أنهم قادرون على السيطرة على الأمر ، دون الحاجة لأى تعاون خارجى .

ثم أشار إلى شاشة (التليفزيون) ، التى تنقل الأحداث أولاً فأول ، على الهواء مباشرة ، مضيفًا :

- ولن يمكنهم التراجع فى هذا قط ، وإلا كانت فضيحة عالمية ، تشير إلى أنهم يعجزون عن حماية السفارات المختلفة على أرضهم ، وأن .....

قبل أن يتم عبارته ، انطلق صوت مذيع القناة الإخبارية الشهير ، وهو يقول فى حماس :

- وأخيرًا أيها السادة ، أعلن الإرهابيون ، الذين احتلوا السفارة العربية مطالبهم .

قالها ، ونقل إلى المشاهدين تسجيلاً صوتيًا لمحادثة هاتفية تحمل صوت (ماسيل جان) ، وهو يقول فى خشونة قاسية :

- سنعلن مطالبنا مرة واحدة ، وهى غير خاضعة للتكرار أو المساومة أو التسويف ، والجدول الذى سنعلنه حاسم ونهائى .. إننا نطالبكم بالإفراج فورًا ، ودون مفاوضات ، عن (جيم دورانت) الذى ألقيتم القبض عليه منذ أسبوعين ، وبتسليمنا الملايين العشرة ، التى كانت بحوزته ، والتى صادرتموها له ، مع عشرة ملايين أخرى على سبيل التعويض ، خلال اثنتى عشرة ساعة فحسب ، وسنطلق النار على رأس رهينة فى كل عشر دقائق تمضى بعد هذه المهلة ، ولقد تم حساب هذه الفترة بمنتهى الدقة قبل تحديدها ، وهى ستكفى تمامًا لإحضار المبلغ ، من فئات لا تتجاوز المائة دولار ، وبدون ترتيب متسلسل ، وللإفراج عن (جيم) فورًا ، وإرساله بطائرة خاصة إلى هنا ، وعند وصوله ، سيكون عليكم تدبير أربع طائرات هليكوبتر ، لحملنا

مع الرهائن إلى المطار ، حيث سينتظرنا (جيم) فى طائرة خاصة ، مزودة بالوقود ، مع طاقم قيادة ماهر ، ودون تحديد وجهة الإقلاع ، وسيتم الإفراج عن الرهائن فى أول مطار يمكننا الهبوط فيه .. لقد سمعتم مطالبنا ، وكل سؤال تلقونه اعتبارًا من الآن ، سنجيبه بقتل أحد الرهائن ، وإرسال جثته إليكم .. انتهى .

تطلع المدير إلى (عمر) ، قائلاً :

– هل سمعت ما قاله ؟

أومأ (عمر) برأسه إيجابًا ، وقال :

– ليس هذا فحسب ، وإنما استطعت تعرف صوته أيضًا .

هتف المدير فى لهفة :

– حقًا ؟!

أومأ (عمر) برأسه مرة أخرى ، قبل أن يجيب فى حزم :

– من العسير أن أنسى هذا الصوت ، والظروف التى سمعته فيها .

نطقها ، وعقله يستعيد مشهدًا قديمًا لألسنة لهب تحيط به ، وانفجار يدوى من بعيد ، ممتزجًا بضحكة وحشية ، تسبق صوتًا خشنًا قاسيًا يصيح :

– لم يعد لك مخرج أيها العربى .. انتهى أمرك هذه المرة ..

وخُيِّل إليه أن تلك الضحكة الوحشية ، مازالت تتردد فى أذنيه ، ومديره يسأله :

– ومتى كان هذا ؟

انتزعته عبارة المدير من ذكرياته ، فاعتدل فى سرعة وشدّ قامته ، قائلاً :

– فى (أمريكا اللاتينية) ، منذ ثلاث سنوات ، فى أثناء عملية مهربى المخدرات .

سأله المدير فى اهتمام :

– ومن هذا الرجل بالتحديد ؟

أشار (عمر) بيده ، قائلاً :

– اسمه (ماسيل جان) أرجنتينى الجنسية ، ولكنه لا ينتمى فعليًا إلى أى شىء فى الدنيا سوى النقود ، فهو أحد المرتزقة الذين لا يتورعون عن فعل أى شىء فى سبيلها ، ومن المؤكد أن (جيم دورانت) قد استأجره بوسيلة ما ، للسعى من أجل الإفراج عنه وإنقاذه من حكم الإعدام الذى ينتظره .

انعقد حاجبا المدير بضع لحظات ، قبل أن يسأله :

– وهل تعتقد أنه جاد فى تهديده ، بشأن قتل الرهائن ونسف السفارة ؟

صمت (عمر) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

– إنه لم يتورع عن نسف مدرسة أطفال فى (بوينس أيرس) ، ليؤمن لنفسه وسيلة للفرار .

هتف المدير :

– إلى هذا الحد ؟!

أومأ (عمر) برأسه إيجابًا ، فالتقط المدير نفسًا عميقًا ، وهزّ رأسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا يحسم الأمر يا (عمر) .. لقد ناقشنا المشكلة فور حدوثها ، ووجدنا أن الوسائل التقليدية لن تجدى ، فى مثل هذا الأمر ، وأن أفضل ما يمكن فعله هو أن نلجأ إلى أسلوب غير متوقع ، يفاجئ هؤلاء الإرهابيين ويُفقدهم قوتهم ، ولقد اقترح البعض إرسال فرقة من القوات الخاصة ، لاقتحام السفارة ، مع غياب الشمس ، ولكن الخبراء قدروا الخسائر ، فى هذه الحالة بأكثر من ثلاثين فى المائة من الرهائن والقوات الخاصة .

غمغم (عمر) :

ـ إننى أعتبر هذه خسارة بشعة .

أجابه المدير :

ـ هذا صحيح ، ولكنها أفضل وسيلة ، وأقل نسبة خسائر محتملة .

وتطلع إليه بنظرة خاصة ، مستدركًا :

ـ لو أننا اتبعنا الوسائل المألوفة .

أدرك (عمر) مغزى النظرة على الفور ، وقال فى سرعة :

ـ إذن فمن الأفضل أن نلجأ إلى وسيلة غير مألوفة على الإطلاق ، ولا يمكن استنتاجها أو حتى تصورها .

أشار إليه المدير ، قائلاً :

ـ بالضبط ، ولهذا اقترحت على الجميع فكرة بدت مجنونة ،

وأدهشتهم فى شدة ، وهذا فى حد ذاته دليل على أن الإرهابيين لن يتوقعوا حدوثها قط .

سأله (عمر) :

ـ وما هذه الفكرة يا سيادة المدير ؟!

التقى حاجبا المدير فى شدّة ، وهو يرمقه بنظرة طويلة ، قبل أن يجيب فى مزيج من الحزم والصرامة :

ـ أن ترسل رجلاً واحدًا لحسم الأمر .

شدّ (عمر) قامته ، وأدرك بالتحديد ما تعنيه العبارة ، قبل حتّى أن يكمل المدير :

ـ أنت يا (عمر) .

وبدأت المهمة ..

* * *

اعتدل (جيم دورانت) ، مهرب المخدرات العالمى ، جالسًا على فراشه ، داخل زنزانته الانفرادية فى السجن ، وتطلع فى حذر إلى الرجل الذى دلف إلى الزنزانة ، والذى رمقه بنظرة صارمة ، جعلته يقول فى عصبية :

ـ ماذا هناك ؟ هل قررتم إعدامى مبكرًا ؟

تجاهل الرجل السؤال بضع لحظات ، وهو مستمر فى نظرته الصارمة ، قبل أن يسأل المهرّب فى لهجة قاسية :

ـ ارتد ثيابك يا (دورانت) .. سنغادر هذا المكان معًا .

سأله (جيم) فى قلق :

- إلى أين ؟!
صمت الرجل بضع لحظات ، ثم أجاب فى ضيق واضح :
- إلى (لندن) .
حدّق (جيم دورانت) فى وجهه بدهشة ، قبل أن تتألق عيناه ، وينفجر ضاحكًا بغتة فى ظفر ، قبل أن يهب واقفًا ، ويهتف :
- آه .. إذن فقد نجح (ماسيل) .. يا له من رجل ! كنت أعلم أنه سيفعلها .
دفعه الرجل أمامه ، قائلاً :
- لا داعى للتباهى بما فعله ذلك المجرم .. لو أن الأمر فى يدى ، لأطلقت النار على رأسك بلا رحمة ، ولكننى مضطر للإفراج عنك ، والإشراف على نقلك إلى (لندن) .
أجابه (جيم) فى صفاقة :
- فى هذه الحالة ينبغى أن تعاملنى معاملة جيدة ، فمصير الرهائن يعتمد على سلامتى الشخصية .
انعقد حاجبا الرجل ، وهو يقول :
- إذن فأنت على دراية بما حدث .
قهقه (جيم) ضاحكًا فى شماتة ، قبل أن يجيب :
- بالطبع .. من وضع الخطة كلها فى رأيك ؟! فلتعلم أن (ماسيل جان) مجرّد منفذ لما آمره به فحسب ، أما أنا فالعقل المدبر لكل شىء .

رمقه الرجل بنظرة غاضبة ، وهو يقول فى سخط :
- قلت لك : إنه لو أن الأمر بيدى ، لنسفت رأسك على الفور .
قهقه (جيم) ضاحكًا مرة أخرى ، وقال فى صفاقة :
- ولكنك مضطر لمعاملتى على نحو جيد .. أليس كذلك ؟
قالها ، وعادت ضحكاته تجلجل فى المكان ، وهو يغادر المكان كله ، دون أن يدرى أن مدير المخابرات المشتركة كان يراقبه من حجرة مدير السجن ، الذى قال فى قلق :
- لست أشعر بالارتياح ، وذلك المجرم يغادر السجن على هذا النحو .
أجابه المدير فى حزم :
- لو أن كل شىء سيسير كما خططنا بإذن الله ، فلن يفلت من بين أيدينا قط .
سأله مدير السجن فى لهفة :
- إذن فلديكم خطة بشأنه .. إنكم تتظاهرون باستعدادكم لتلبية مطالب الإرهابيين ، حتى تستعدوا لشن هجوم شامل عليهم ..
أليس كذلك ؟
أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وهو يغمغم فى اقتضاب :
- هذا صحيح .
سأله مدير السجن فى لهفة :

- أعتقد من واقع خبرتى ، أنكم ستحتاجون إلى عشرين من الرجال الأشداء المدربين ، للقيام بالعملية .

هزّ مدير المخابرات المشتركة رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- خطأ .. العملية سيقوم بها عدد أقل بكثير .. وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى حزم :

- سيقوم بها رجل واحد .

تراجع مدير السجن كالمصعوق ، وهو يهتف فى مزيج من الذهول والارتياع والاستنكار :

- رجل واحد ؟

ومع هتافه ، تعلقت عيناه بسيارة الحراسة الخاصة ، التى تغادر السجن ، وبداخلها (جيم دورانت) ، ومندوب المخابرات المشتركة ، فى طريقهما إلى المطار ..

وفى أعماقه ، تضاعف قلق مدير السجن ..

تضاعف ألف مرة ..

* * *

هبطت الطائرة القادمة من (باريس) فى مطار (هيثرو) بالعاصمة البريطانية (لندن) ، وغادرها المقدم (عمر زاهر) ، بعد رحلة سريعة ، اضطر خلالها للسفر إلى (باريس) ، ومنها إلى (لندن) ، ليصل فى الوقت المناسب ، دون انتظار موعد الإقلاع المباشر ، من دولته العربية إلى الجزيرة البريطانية ، ولم يكد ينتهى من إجراءاته الجمركية ، ويغادر مبنى المطار ،

حتى استقبله شاب مفتول العضلات ممشوق القامة ، وصافحه فى حرارة ، قائلاً :

- مرحبًا بك فى (لندن) يا سيادة المقدم .. لقد أعددنا كل شىء ، وهناك اثنان من رجالنا يراقبان السفارة طوال الوقت ، كما أمكننا جمع كل المعلومات اللازمة عن الإرهابيين .

سأله (عمر) فى اهتمام ، وهو يتجه معه إلى سيارة رياضية صغيرة :

- هل استأجرتم الطائرة التى طلبتها ؟

انطلق الشاب بالسيارة ، وهو يجيب :

- إنها مستعدة للإقلاع وقتما تشاء يا سيادة المقدم ، ولكن هناك مشكلة ..

سأله فى قلق :

- وما هى ؟!

أجابه الشاب بسرعة :

- هناك اثنان من الإرهابيين يقومان بحراسة سطح السفارة طوال الوقت ، كما أن الرادار الصغير على سطحها ما زال يعمل ، ومن الواضح أن أحدهم يفهم أسلوب تشغيله ، ويواصل استخدامه لرصد أية محاولة للهجوم جوًا .

عقد (عمر) حاجبيه ، فى تفكير عميق ، وهو يغمغم :

- من الواضح أن هؤلاء المجرمين مدربون للغاية .

أجاب الشاب فى أسف :

- هذا ما كنا نخشاه .

صمت (عمر) بضع لحظات ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى حزم :

- لا عليك .. مهما بلغت درجة تدريبهم ومهارتهم ، فلن يمكنهم التفوق علينا بإذن الله .

قال الشاب ، فى شىء من القلق ، وهو يتوقف أمام مبنى عتيق ، فى قلب (لندن) :

- إنهم ليسوا هواة يا سيادة المقدم ، وما زالت أمامهم ساعات سبع ، قبل انتهاء المهلة ، التى منحونا إياها ، ولست أدرى كيف يمكنك حل المشكلة ، فى هذا الوقت القصير .

غمغم (عمر) :

- لكل شىء حل يا فتى .. لكل شىء حل .

حمل الشاب حقيبة (عمر) الصغيرة ، واستقل معه المصعد ، إلى الطابق الأخير من البناية ، حيث أحد المنازل الآمنة ، التابعة للمخابرات العربية المشتركة ، ولكنه لم يكد يفتح بابه ، حتى اندفع أحد زملائه نحوه من الداخل ، هاتفًا فى انزعاج واضح :

- كارثة .. الأمور تغيرت كلها فجأة .. الإرهابيون خفضوا المهلة إلى ثمانى ساعات فحسب .

وكانت مفاجأة عنيفة للمقدم (عمر زاهر) ..

مفاجأة قد تعنى أن مهمته قد فشلت قبل أن تبدأ ..

فشلت تمامًا .

* * *

٢ـ أجنحة الخطر ..

انهمرت دموع الفزع من عينى طفل صغير ، فى الصالة الكبيرة ، التى جمع فيها الإرهابيون رهائنهم ، وتعالى صوت بكائه ، فصاح به أحد المجرمين فى غلظة :

- اصمت أيها الصغير ، وإلا قطعت لسانك هذا .

هتف به أحد موظفى السفارة فى توتر :

- لا تعامل الصغير بهذه القسوة .. إنه مجرّد طفل ، شاء له سوء حظه أن يأتى مع والده ، فى هذا الصباح بالذات ، للحصول على تأشيرة الدخول .

التفت إليه الإرهابى فى غضب ، وصاح به فى قسوة :

- هكذا ؟! إذن فأنت تتصور أنك قادر على تلقينى درسًا فى التهذيب وحسن المعاملة .. أنت أيها الحقير تتصوّر هذا .

ثم انقضّ عليه فى وحشية مخيفة ، وهو يستل خنجرًا ماضيًا ، ويكمل فى شراسة :

- ما رأيك لو تحل محله ، وأقطع لسانك بدلاً من لسانه ؟ هه .

شحب وجه الموظف ، وهو يتطلع إلى الخنجر الحاد ، وإلى حامله الضخم الغليظ ، وحاول أن يقول شيئًا ، إلا أن الخوف ألجم لسانه تمامًا ، فى حين تعالى بكاء الصغير أكثر وأكثر ، وهو

يتطلع إلى الإرهابى الذى دفع خنجره نحو شفتى الموظف ، وكأنما يزمع قطع لسانه بالفعل ، و ...

« كفى يا رجل » ..

انطلق صوت (ماسيل) صارمًا قاسيًا ، فتجمدت يد الإرهابى ، على نحو يشف عن قوة (ماسيل) ، وسيطرته على رجاله ، وهو يكمل :

- لا تفسد البضائع الآن يا رجل .. إننا نحتاج إلى كل رهينة سليمة هنا ، حتى يحين الوقت المناسب .

انعقد حاجبا الإرهابى فى شدّة ، وكأنما أحنقه أن يحرمه زعيمه من هذه المتعة الوحشية ، ومطّ شفتيه فى حنق ، وهو يلتفت إلى الموظف ، قائلاً :

- لا تتصوّر أنك سعيد الحظ يا رجل .. كل ما حدث هو أن نهايتك قد تأجلت قليلاً ، فعندما تحين اللحظة المناسبة ، أعدك أن تكون أول من يلقى مصرعه .

قالها ، ودفع الرجل فى عنف ، ليرتطم بالصغير ، ويسقطان معًا ، فانطلق الصغير يبكى فى حرارة أكثر ، على الرغم من محاولات والده لتهدئته ، فى حين اتجه إرهابى آخر نحو (ماسيل) ، وسأله فى اهتمام :

- قل لى أيها الزعيم : لماذا خفضت المهلة بغتة ؟

ابتسم (ماسيل) على نحو جعله أشبه بذئب مفترس ، وهو يجيب :

- إنها لعبة مدروسة يا رجل ، فالمهلة الأولى ستجعلهم يضعون خطتهم وينقحونها ، تبعًا للوقت الممنوح لهم ، ثم فجأة ، وبعد أن تكتمل خطتهم ، تخفض أنت المهلة أربع ساعات كاملة ، فترتبك خطتهم ، ويضطرب قادتهم ، ويخسرون وقتًا ثمينًا بالغ الأهمية .

سأله الإرهابى فى قلق :

- وماذا لو أن المهلة الجديدة لم تمنحهم الوقت الكافى لإحضار (جيم) ؟

أجابه (ماسيل) فى ثقة :

- بل سيفعلون يا رجل .. اطمئن .. (ماسيل جان) هو الذى يحكم الأمر هنا .

واستعاد ابتسامته الذئبية ، وهو يكمل :

- و (ماسيل جان) لم ينهزم فى حياته قط .

واتسعت ابتسامته أكثر وأكثر ..

وامتلأت بالسخرية ..

وبالوحشية ..

* * *

انعقد حاجبا (عمر) فى شدّة ، وهو يدرس الموقف ، طبقًا لهذا التغيير المباغت ، وألقى نظرة على ساعته ، مغمغمًا :

- هذا المجرم محترف بحق .. لقد خفض المهلة بغتة لإرباكنا ، وليفسد أية خطة نكون قد دبرناها ، خلال الساعات الخمس الماضية .

قال زميله الشاب فى توتر :

ـ ومن الواضح أنه نجح فى هذا ، فالساعة الآن الثانية والربع بعد الظهر ، والمهلة تنتهى فى السابعة مساءً ، ولا يمكننا عمل أى شىء فى وضح النهار .

شرد (عمر) ببصره لحظة ، قبل أن يقول فى شىء من الحزم :

ـ الشمس ستغرب فى الخامسة وعشر دقائق .

قال الشاب فى حيرة :

ـ هذا صحيح ، ولكن الظلام لن يحل تمامًا قبل السادسة ، وهذا يعنى أنه ستتبقى أمامنا ساعة واحدة ، قبل انتهاء المهلة .. ما الذى يمكن عمله ، فى هذا الوقت القصير ؟

أجابه (عمر) فى سرعة وحزم :

ـ الكثير .

ثم هبَّ من مقعده ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ أخبر قائد الطائرة أننا لن نحتاج إليها ، وحاول أن تعثر على خريطة لشبكة الكهرباء ، فى المنطقة المحيطة بالسفارة .

قال الشاب فى شىء من الحذر :

ـ لو أنك تفكِّر فى قطع التيار عن السفارة ، فمعذرة لو قلت : إننى لا أظنها فكرة صائبة .

تطلعِ إليه (عمر) فى هدوء ، قائلاً :

ـ حقًا ؟!

أجابه الشاب فى توتر :

ـ بالتأكيد ، فمبنى السفارة يحوى مولِّدًا احتياطيًا قويًا ، يمكنه إعادة التيار الكهربى إليها ، بعد دقيقة واحدة من انقطاعه ، ثم إن هذا التصرف سيثير شكوكهم حتمًا .

سأله (عمر) فى هدوء أكثر :

ـ وماذا تظنهم فاعلين ، عندما تثار شكوكهم ؟

أجابه فى عصبية هذه المرة :

ـ لا أحد يدرى .. سيراجعون كل إجراءات الأمن حتمًا ، وربما قتلوا أحد الرهائن للإنذار .

أومأ (عمر) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ نعم .. (ماسيل جان) يمكنه أن يفعل أى شىء .

ثم تنهد ، قبل أن يستطرد :

ـ لهذا ينبغى أن يتم كل شىء بدقة بالغة خلال الفترة التى يمكننا العمل خلالها .

سأله الشاب فى اهتمام :

ـ أتقصد خلال الساعة ، التى تفصل ما بين حلول الظلام ، انتهاء المهلة ؟

هزَّ (عمرٍ) رأسه نفيًا ، وأسبل جفنيه فى هدوء ، وهو يجيب :

ـ بل أقصد خلال الدقيقة التى سينقطع خلالها التيار الكهربى .

هتف الشاب فى دهشة :

- دقيقة واحدة ؟! وما الذى يمكن فعله خلال دقيقة واحدة ؟!

ارتسمت على شفتى (عمر) ابتسامة محدودة ، دون أن يجيب عن السؤال ، ولكن هذه الابتسامة حملت الكثير .. الكثير من الثقة ..

ومن الغموض ..

★ ★ ★

بدا عقرب الدقائق وكأنه يزحف فى بطء قاتل ، فوق ميناء الساعة الكبيرة ، فى صالة التأشيرات بالسفارة ، وبدا الإجهاد واضحًا على وجوه الرهائن ، من فرط الإرهاق والانفعال ، فى حين ظل (ماسيل جان) قويًا ممشوقًا ، وهو يجول فى المكان فى استهتار واضح ، حاملاً مدفعه الآلى ، ومتطلعًا إلى الساعة التى أشارت إلى تمام الرابعة ، قبل أن يتجه إلى الهاتف ويلتقط سماعته ، ويقول فى خشونة :

- صلنى برجال الشرطة .

ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يستمع إلى محدثه ، قبل أن يتابع :

- بالضبط .. إنهم أولئك الرجال ، الذين يحيطون بمبنى السفارة من كل الجهات ، ويقفون صامتين منذ العاشرة صباحًا ، دون أن يفعلوا شيئًا .. هيا .. صلنى بهم على الفور .

ومضت لحظة من الصمت ، وهو يحتفظ بابتسامته الساخرة ، ويتطلع إلى الرهائن بنظرة دموية مخيفة ، قبل أن يشدّ قامته ، ويقول فى حزم :

- أهلاً أيها المفتش (روجر) .. إنه أنا .. (ماسيل جان) أبرع مقاتل محترف فى العالم أجمع .. قل أيها المفتش المعتوه .. هل انتهيتم من اختيار الفريق ، الذى سيشن هجومًا على السفارة مع غروب الشمس ، للقضاء علينا ، وإنقاذ الرهائن ؟

قالها ، وقهقه ضاحكًا فى سخرية ، ثم أضاف :

- أرجوك .. لا تسلنى كيف عرفت هذا .. هل نسيت أننى محترف يا رجل ، وأنها ليست أولى عملياتى فى هذا المجال ؟ لقد درست وحفظت كل أساليبكم عن ظهر قلب ، ومشكلتكم أنكم لاتمتلكون موهبة الابتكار والتجديد ، وهذا يمكن أن يصلح فى التعامل مع أى مجرم تقليدى ، وليس مع أمثالنا من المحترفين .

بدا الحنق والغضب على وجه المفتش (روجر) ، وهو يقول :

- حسنًا يا (ماسيل جان) .. لقد استمعنا مرغمين إلى محاضرتك السخيفة هذه ، والآن دعنا ننتقل إلى الجزء المهم .. ما الذى تريده باتصالك هذا ؟

أجابه (ماسيل) فى سخرية مغلفة بالقسوة :

- فقط أردت أن أخبركم أننى مستعد لاستقبال أى هجوم انتحارى ، وسأقتل كل المشاركين فيه ، أما من يتبقى منهم فسيشاركنا مصيرًا محتومًا .

ثم أخرج من جيبه جهاز إرسال صغير ، فى حجم علبة ثقاب ، به زر واحد أحمر اللون ، وهو يستطرد فى صرامة :

- فبضغطة واحدة على زر جهاز التحكم عن بعد ، سيشتعل فتيل كل القنابل ، المزروعة فى مخابئ سرية بالسفارة ، وخلال عشر ثوان فحسب ستنفجر القنابل كلها دفعة واحدة ، ويتحول المكان إلى أنقاض محترقة بكل ما فيه ، و ...

واستعاد ابتسامته الساخرة ، وهو يضيف بلهجة ذات مغزى :

- ومن فيه .

فهم المفتش ما يعنيه (ماسيل) على الفور ، وانعقد حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يقول :

- فليكن يا زعيم المجرمين .. لقد اقتنعنا بوجهة نظرك ، وخاصة بعد أن استرجعنا تاريخك الإجرامى كله ، وعرفنا ما فعلته فى (بوينس أيرس) .

قهقه (ماسيل) ضاحكًا ، وهو يقول :

- عظيم .. عظيم .. من الرائع أن تسبق المرء سمعته فى كل مكان .

ثم اكتسب صوته قسوة مباغتة ، وهو يستطرد :

- ولكن المهم أنه يجبر الآخرين على طاعته طوال الوقت .

عضَّ المفتش (روجر) شفتيه غيظًا ، دون أن يجيب ، فى حين تابع (ماسيل) فى حزم :

- وبمناسبة الحديث عن الطاعة .. أريد إجراء اتصال مع (جيم دورانت) .

أجابه المفتش فى حدة :

- ليس فى الوقت الحالى .. (جيم دورانت) يستقل طائرة خاصة الآن فى طريقه إلى هنا .

قال (ماسيل) فى غلظة :

- صلنى به إذن .. ولا تحاول الادعاء ، بأن هذا مستحيل ، وإلا لأغضبنى هذا بشدة ، ودفعنى لقتل ثلاثة أو أربعة من الرهائن ، حتى يهدأ غضبى .

زفر المفتش (روجر) فى حنق ، وهو يقول :

- فليكن .. سأوصلك به .

لم تمض دقائق خمس على هذا القول ، حتى كان (جيم دورانت) يهتف ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى فى الطائرة :

- (ماسيل) .. كيف حالك يا رجل ؟ كنت أعلم أنك ستفعلها .. كنت واثقًا من هذا .

أجابه (ماسيل) ساخرًا :

- هذا أمر طبيعى يا رجل ، ما دمت قد دفعت نصف الثمن مقدمًا ، ولكننى أتساءل ، وبشدة ، عن النصف الثانى .

أطلق (جيم) ضحكة مرحة ، قبل أن يقول :

- اطمئن يا (ماسيل) .. ستحصل على أكثر من المتفق عليه .. من الواضح أنك أنجزت العمل بصورة رائعة يا رجل .. أهنئك .

انعقد حاجبا (ماسيل) ، وهو يقول فى حذر :

- قل لى يا (جيم) : كيف أتأكد من أنك تتحدث دون أية ضغوط خارجية ؟

قهقه (جيم) ضاحكًا للمرة الثانية ، وهو يقول :

- آه .. معذرة يا (ماسيل) .. ربما أصابتنى نوبة برد .

ابتسم (ماسيل) فى ارتياح ، وقال :

- فليكن يا (جيم) .. اتصل بى فور وصولك إلى (لندن) .

وأنهى المحادثة ، وهو يرفع عينيه إلى الرهائن ، الذين تطلعوا إليه فى رهبة ، وهو يقول بلهجة لا تدعو إلى الاطمئنان :

- اطمئنوا أيها السادة .. لحظة النهاية تقترب .

قالها ، وانفجر ضاحكًا ، على نحو مخيف ، دفع الجميع إلى تركيز أفكارهم كلها على الكلمة التى نطقها ..

كلمة النهاية ..

★ ★ ★

مالت الشمس إلى المغيب ، وراحت تغوص رويدًا رويدًا فى الأفق ، لتختفى خلف المبانى اللندنية العريقة ، وتطلع (عمر زاهر) إلى ساعته فى هدوء ، وهو يرقد على سطح أحد المبانى المرتفعة ، المطلة على ذلك الميدان ، الذى تحتل السفارة العربية إحدى نواصيه ، وغمغم وكأنه يتحدّث إلى نفسه :

- حارسان ورادار على السطح .. عظيم .

سأله زميله الشاب فى دهشة :

- وما العظيم فى هذا ؟! إنهما حارسان مسلحان بالمدافع الآلية ، والمسدسات ، وكل منهما يحمل جهازًا لاسلكيًا ، يمكن بوساطته تحذير (ماسيل) فى لحظة واحدة ، فور شعوره بما يريب ، والرادار يمكنه كشف أى جسم طائر يقترب .

أجابه (عمر) فى هدوء ، وكأنما يتحدث عن أمر بسيط :

- لا تنس أنه أمامنا دقيقة كاملة فى الإظلام ، عندما تقطع التيار الكهربى عن المنطقة .

سأله فى توتر :

- وما الذى يمكن أن تفعله دقيقة ؟

أجابه (عمر) فى سرعة :

- الكثير .. يمكنها أن تفعل الكثير .. قم أنت بدورك فحسب ، واقطع التيار فى الوقت المتفق عليه ، واترك الباقى لله (سبحانه وتعالى) .

سأله الشاب فى كثير من القلق :

- هل لى أن أعرف ما الذى ستفعله بالضبط ؟

ابتسم (عمر) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- لا تقلق نفسك بهذا .. هيّا .. عليك أن تتجه إلى المكان الذى ستقطع منه التيار الكهربى ، ولتلتزم بالتوقيت تمامًا .. راجع ساعتك على ساعتى .

قارنا الوقت فى ساعتيهما ، ثم انطلق الشاب لتنفيذ دوره ، فى حين تطلع (عمر) مرة أخرى إلى الأفق ، حيث غربت الشمس تمامًا ، قبل أن يتجه إلى صندوق كبير ، ويخرج محتوياته ، التى لم تكن سوى مجموعة من الأنابيب المصنوعة من الألومنيوم ، ولفائف من القماش ..

وفى صبر وهدوء ، راح (عمر) يوصل الأنابيب ببعضها ،

البعض ويحيطها بلفائف القماش ، فى تتابع مدروس ، حتى انتهى من تركيب طائرته الشراعية الخاصة فى السادسة إلا خمس دقائق ..

كانت طائرة من الطراز المسمى بالخفاش الطائر (نوع من الطائرات البسيطة بلا محرك ، عبارة عن جناحين متصلين ، تربطهما عدة قوائم معدنية ، يمكن لفرد واحد استخدامها فى الطيران المنفرد ، شريطة أنه يهبط بها فى مكان مرتفع) والمستخدم فى رياضة تعرف بالاسم نفسه ، وفى قاعدتها قائم أفقى ، يتيح للمتعلق بها استخدامها وتوجيهها ، بالاستفادة باتجاه الرياح وزاوية ميلها على سطح الأرض .

وفى حزم ، تشبث (عمر) بالقائم الأفقى ، فى انتظار اللحظة الحاسمة ، وعيناه معلقتان بعقربى ساعة يده ..

وفى بطء ، راح عقرب الدقائق يمضى ، ملتهمًا الوقت فى تمهل ، حتى بلغت الساعة السادسة ، وتجاوزتها بدقيقتين ، و ...

وفجأة ، انقطع التيار الكهربى من المكان كله ..

وفى نفس لحظة انقطاعه ، اندفع (عمر) نحو حافة السطح ، وألقى نفسه مع طائرته الصغيرة فى الهواء ، وراح يسبح بها ، وهو يوجهها فى براعة نحو سطح مبنى السفارة ، فى نفس اللحظة التى سادت فيها موجة من التوتر داخل السفارة العربية ، وصاح (ماسيل) فى غضب :

ـ آه .. لقد فعلوها .. لقد جرؤوا على فعلها .

قالها ، وأطلق صيحة غضب هادرة ، قبل أن ينقض على أقرب الرهائن إليه ، صارخًا :

ـ فليكن .. سأرسل إليهم جثة أحد الرهائن .. سأعلمهم ألا يعبثوا مع (ماسيل جان) .

تعالت الصرخات وسط الرهائن ، وصرخ الرجل الذى يمسك به (ماسيل) مذعورًا :

ـ لا .. لا تقتلنى .. أنا لم أفعل شيئًا .

جذب (ماسيل) إبرة مسدسه ، وهو يلصق فوهته بصدغ رهينته ، صارخًا :

ـ هم فعلوا ، وأنت ستدفع الثمن .

صاح القنصل ، وهو يندفع محاولاً منع المذبحة :

ـ لا .. التيار الكهربى سيعود خلال ثوان معدودة .. لدينا مولد كهربى احتياطى .

ولم يكد ينتهى من صيحته ، حتى ارتفع صوت المفتش (روجر) ، يقول من الشارع ، عبر مكبر صوت قوى :

ـ (ماسيل جان) .. لا تقدم على أية حماقات يا رجل .. لسنا المسئولين عن انقطاع التيار الكهربى .. أقسم لك على هذا .. سنبذل قصارى جهدنا لإعادته على الفور .. أكرر .. لا تقدم على أية حماقات .

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها النداء ، كان (عمر) يحلق

فى الهواء ، مستخدمًا خفاشه الطائر ، الذى يحسن توجيهه فى مهارة يُحسد عليها ، متجهًا نحو سطح مبنى السفارة ، وقد تحول إلى جزء من الظلام الدامس ، بعد أن طلى طائرته الشراعية الصغيرة باللون الأسود ، وارتدى زيًا من اللون نفسه ، حتى إن أيًا من الإرهابيين ، فوق سطح المبنى لم ينتبه إليه ، وهو يقترب فى سرعة ومهارة ، مستغلاً انقطاع التيار ، وتوقف الرادار عن العمل ..

وقبل أن تنتهى الدقيقة بثانية واحدة ، بلغ (عمر) السطح ، وهبط فوقه بخفاشه الطائر ، الذى ارتطم طرف جناحه بأحد الرجلين ، فهتف فى حدة عصبية :

- ما هذا بالضبط ؟

لم يكد ينطقها ، حتى بدا المولد الاحتياطى عمله ، وسطعت الأضواء بغتة فى السطح ، فشهق الإرهابى فى هلع ، وهو يحدق فى (عمر) ، الذى هتف :

- مفاجأة .. أليس كذلك ؟

قالها ، وركل جهاز اللاسلكى من يد الرجل فى سرعة ، ثم قفز يدور حول نفسه فى مهارة مدهشة ليركل أنف الرجل مباشرة ، قبل أن يهبط على قدميه ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها الرجل الآخر فى ذهول :

- ما هذا بالضبط ؟

ثم أسرعت يده تلتقط جهاز اللاسلكى ليطلق إشارة التحذير ،

ولكن (عمر) انتزع مسدسه المزود بكاتم للصوت فى سرعة مدهشة ، وأطلق منه رصاصة صامتة ، نسفت الجهاز بين أصابع الإرهابى ، الذى تراجع مذعورًا ، ثم رفع فوهة مدفعه الآلى ، صارخا :

- لن يفلح هذا يا رجل .

كان (عمر) يدرك جيدًا أن رصاصة واحدة ، تنطلق من هذا المدفع كفيلة بإشعال الموقف كله ، ودفع (ماسيل جان) إلى الإقدام على حماقة وحشية أخرى ، وقتل عدد مخيف من الأبرياء ، لذا فقد وثب إلى الأمام فى سرعة مدهشة ، وألقى جسده أرضًا ، وهو يدور حول نفسه ، ويطلق رصاصات مسدسه الصامتة نحو الرجل ..

لم يكن يبغض فى حياته كلها أكثر من القتل وسفك الدماء ، إلا أنه يعلم أيضًا أن الدفاع عن النفس ، والقضاء على المجرمين ، لإنقاذ حياة الأبرياء ، أمر شرعى ومقبول ، بأى مقياس بشرى .

وعلى الرغم من هذا ، فقد انقبض صدره لحظة ، عندما رأى الرجل يسقط جثة هامدة ، والدماء تغرق صدره ، إلا أنه نفض هذا الشعور عن نفسه فى سرعة ، وهو يستدير لمواجهة الثانى ، الذى نهض غاضبًا ثائرًا ، ممسكًا مدفعه الآلى ، والدماء تغرق وجهه وأنفه ، وهو يهتف :

- لن تفلح يا هذا .. (ماسيل جان) لن يسمح لك بالانتصار قط .

ركل (عمر) المدفع من يده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ومن سيطلب إذن هذا المجرم ؟

ثم هوى على فك الرجل بلكمة كالقنبلة ، مستطردًا .. أو يبالى به لحظة واحدة .

سقط الرجل ، وارتطم بالأرض فى قوة ، إلا أنه لم يفقد وعيه ، وإنما وثب واقفًا على قدميه ، ومسح خط الدم المنساب من أنفه ، وهو يقول فى شراسة :

ـ إذن فأنت تتصور نفسك مقاتلاً فذًا .. فليكن يا هذا .. سأريك كيف أقاتل أنا ، وما طعم لكماتى القوية .

قالها ، وانقض على (عمر) ، وهوى على فكه بلكمة قوية ، تفاداها بطلنا بانحناءة رشيقة ، وهو يقول :

ـ ليس المهم أن تكون لكماتك قوية يا رجل ..

ثم غاص بقبضته اليسرى فى معدة الرجل ، مستطردًا :

ـ المهم أن تصيب هدفها .

أطلق الرجل شهقة قوية ، وهو ينثنى فى ألم ، إثر اللكمة ، فاستقبل (عمر) فكه بلكمة أخرى من يمناه ، مضيفًا :

ـ وتحقق المطلوب منها .

تراجع الرجل بضع خطوات ، وهو يلهث فى عنف ، ثم توقف بغتة ، وانعقد حاجباه الكثان فى قوة ، قبل أن تنطلق من حلقه صرخة قوية :

ـ ستدفع الثمن .

ثم انقض على (عمر) ووثب وثبة مدهشة ، لا تتناسب قط مع ضخامته ، وركل (عمر) بكل قوته فى صدره ..

ومع عنف الضربة ، تراجع (عمر) بضع خطوات ..

وارتطم بحاجز السطح ..

واختل توازنه ، و...

ووجد جسده يهوى ..

يهوى من ارتفاع ثلاثة طوابق ..

ودفعة واحدة .

* * *

٣ ـ المحترف ..

ثانية واحدة أنقذت الرهينة من الموت ..

ثانية واحدة ، سطع خلالها الضوء فى السفارة ، و (ماسيل جان) يستعد لنسف رأس رهينته برصاصات مسدسه ، فتوقف بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدّة ، وهو يغمغم :

ـ آه .. لقد بدأ المولّد الاحتياطى عمله بالفعل .

تنفس القنصل العربى الصعداء ، وهو يغمغم :

ـ ألم أقل لك ؟

نقل (ماسيل) بصره لحظات ، بين رهينته والقنصل ، ثم دفع الأول فى ازدراء عجيب ، وهو يعيد مسدسه إلى جرابه ، قائلاً فى شراسة :

ـ لن يمكنهم تحدى (ماسيل جان) .

والتقط جهاز الاتصال اللاسلكى من حزامه ، وضغط أزراره ، وهو يقول :

ـ من (ماسيل) إلى كل وحدات المراقبة .. حددوا موقفكم ، بعد عودة التيار الكهربى .

أجابه إرهابيان من حديقة السفارة :

ـ كل شىء على ما يُرام يا (ماسيل) .

وتردّد القول نفسه خمس مرات متتالية ، من مواقع المراقبة المختلفة ، ثم حان دور مراقبى السطح ، ولكن (ماسيل) لم يتلق منهما شيئًا ، فانعقد حاجباه فى توتر ، وهو يقول :

ـ هنا (ماسيل) .. ما الموقف على السطح ؟!

ولم يتلق جوابًا ، فازداد انعقاد حاجبيه ، وقال فى عصبية :

ـ أريد جوابًا واضحًا .. ماذا حدث على السطح ؟

لم يأته الجواب فى هذه المرة أيضًا ، فرفع عينيه إلى الرهائن فى قسوة ، وهو يقول :

ـ هذا ما كنت أتوقعه .

ثم صرخ فى غضب :

ـ أرسلوا إليهم جثة أو جثتين .. لابد وأن يدفعوا الثمن .

وقبل أن تتلاشى صرخته ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية فى وجوه الرهائن ، فانطلقت صرخاتهم المذعورة البائسة ، و ...

وابتسم الشر ..

* * *

ارتطم (عمر) بحاجز السطح ، واختل توازنه ، ووجد جسده يهوى من ارتفاع ثلاثة طوابق ، و ...

وفجأة ، تشبثت يده بالحاجز ، وبكل قوة ، فتوقف جسده عن الهبوط بغتة ، وانقبضت عضلاته كلها فى عنف ، فسرى فيها ألم رهيب ، انتشر حتى عموده الفقرى ، قبل أن يرتطم جسده بالجدار ، وتنتقل الآلام إلى صدره وضلوعه .

وانعقد حاجبا الإرهابى ، وهو يندفع نحوه ، قائلاً فى شراسة :

ـ يا لك من محظوظ ! كيف نجوت على هذا النحو ؟!

ثم استل خنجره من حزامه ، ورفعه مستطردًا :

ـ ولكن ما الداعى للسؤال .. حتى الحظ يمكن طعنه فى مقتل .

قالها ، وهو يستعد لطعن يد (عمر) أو رأسه ، وهو متعلق بحاجز السطح على هذا النحو ..

ولكن (عمر زاهر) لم يكن بالرجل الذى يمكن أن يستسلم فى سهولة لأمر كهذا ..

لقد انتزع مسدسه المزود بكاتم للصوت من حزامه ، فى سرعة مدهشة ، وصوبه إلى الإرهابى ، قائلاً :

ـ للأسف .. إنك لم تترك لى الخيار .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط الزناد ..

وانطلقت الرصاصة ..

وكان المشهد بشعًا بحق ..

لقد نسفت الرصاصة رأس الإرهابى الشرس ، ودفعت جسده إلى الخلف فى عنف ، والدماء تتناثر على وجه (عمر) ويديه ، قبل أن يسقط جثة هامدة فوق السطح ..

وفى أعماقه ، شعر (عمر) بمزيج من المرارة والاشمئزاز ، لأن الظروف اضطرته إلى إزهاق روح آدمية ، على الرغم من

الشرور التى ارتكبها صاحبها ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يستنفر قواه ، لتتقبض عضلات ذراعيه ، وتدفع جسده إلى السطح ، الذى وثب إليه فى مرونة ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت (ماسيل جان) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى الذى لم يتحطم ، هاتفًا فى عصبية :

ـ هذا ما كنت أتوقعه .. أرسلوا إليهم جثة أو جثتين .. لابد وأن ...

وقبل أن يتم عبارته ، وثب (عمر) يلتقط جهاز الاتصال ، وضغط زره ، وهو يهتف محاولاً تقليد صوت الرجل ، الذى نسف رأسه منذ لحظات :

ـ مهلاً يا (ماسيل) .. هأنذا .

لم يصدق الرهائن أنفسهم ، عندما انبعث ذلك الهتاف ، من جهاز الاتصال الخاص بزعيم الإرهابيين ، الذى أشار إلى رجاله فى حزم ، قائلاً :

ـ توقفوا .

بدا الغضب على الإرهابيين ، لحرمانهم من سفك الدماء على هذا النحو ، فى حين تنفس الرهائن الصعداء ، وهتف (ماسيل) عبر جهاز الاتصال فى غضب :

ـ أين أنت يا رجل ؟ وأين (بوفين) ؟ لماذا لم تجيبا منذ البداية ؟

بحث (عمر) فى رأسه بسرعة عن أى سبب منطقى ، قبل أن يجيب :

ـ لقد سمعناك منذ البداية يا (ماسيل) .. أقصد أنا سمعتك ، فزميلى يقضى حاجته ، وزر الاتصال فى جهازى تعطل ، فعجزت عن إجابتك .

صاح به (ماسيل) فى ثورة :

ـ إياك أن تفعل هذا مرة أخرى .. هل تفهم ؟ سأقتلك بنفسى ، لو أهملت الرد على الفور .

وأنهى الاتصال فى حنق ، قبل أن يلتقط مدفعه الآلى ، ويتطلع إلى عقارب الساعة ، التى أشارت إلى السادسة والربع ، ثم يعقد حاجبيه فى توتر شديد ..

المهلة شارفت على الانتهاء ، ولم يصل (جيم) بعد ..

وهذا يقلقه فى شدّة ..

ثم إن هناك أمرًا آخر ، يثير فى نفسه الكثير من التوتر ، وإن لم يستطع تحديده بالضبط ..

أمر يضرب فى أعماقه على وتر خاص ..

وتر فى قيثارة الشك ..

والخوف ..

★ ★ ★

زفر (عمر) فى ارتياح ، وهو يغلق جهاز الاتصال اللاسلكى ، بعد أن أجاب (ماسيل) ، ثم علقه فى حزامه ، وهو ينحنى ليلتقط المدفع الآلى الخاص بأحد مراقبى السطح ، ويعتدل ليتجه إلى مدخله ، الذى توقف عنده لحظات فى حذر ، قبل أن يفتح بابه فى حرص ، ويعبره فى خفة ..

كان الباب يقود إلى السلم مباشرة فهبط (عمر) فى درجاته ، ممسكًا مدفعه فى حزم ، وعيناه ترصدان كل حركة فيما حوله ، حتى اقترب من الباب الكبير الذى يقود إلى الطابق الثانى من مبنى السفارة ، و ...

وفجأة ، فتح شخص ضخم الباب ، وعبره فى سرعة ، ثم أغلقه خلفه بحركة غريزية ، قبل أن يرفع عينيه إلى (عمر) ، ثم يتراجع كالمصعوق ، هاتفًا :

ـ عجبًا ! من أنت بالضبط ؟

وتحركت يده فى سرعة ، واستند بكعب المدفع الآلى إلى واحدة من درجات السلم ، ثم اعتمد على المدفع ، ليثب إلى الأمام فى قوة ، ويضرب الرجل بقدميه فى صدره ضربة قوية ، تراجع معها الإرهابى فى عنف ، وكاد يرتطم بالجدار ، لولا أن أمسك (عمر) سترته ، قائلاً :

ـ كلا .. لو فعلت ستفسد كل شىء ..

وجذبه إليه وهوى على فكه بلكمة كالقنبلة مستطردًا :

ـ فيسمعون صوت ارتطامك بالجدار حتمًا .

ثم حطم أنفه بلكمة ثالثة ، مضيفًا :

ـ ويهرعون إلى هنا .

أطلق الرجل خوارًا كالثور ، وهو يترنح فى عنف ، دون أن يفقد وعيه ، فوثب (عمر) يدور حوله فى خفة ، ثم أحاط عنقه بذراعه فى قوة ، وضغط عليه فى قسوة ، وهو يسأله :

- كم عددكم هنا ؟

أجابه الرجل فى صوت مختنق :

- هل تتصور أننى سأخبرك ؟

لكمه (عمر) لكمة قوية فى ظهره ، قبل أن يكرّر سؤاله فى صرامة :

- كم عددكم ؟

تأوه الرجل فى ألم ، ولهث فى شدة ، قبل أن يقول :

- نحن ثلاثة وعشرون رجلاً ، موزعين فى المكان كله .

سأله (عمر) :

- وكم منكم يحرسون الرهائن ؟!

زمجر الرجل معترضًا ، ولكن (عمر) لكمه لكمة ثانية ، فقال فى ألم :

- رويدك .. أعطنى فرصة للإجابة .. هناك عشرة منا يحرسونهم .

وعلى رأسهم (ماسيل) نفسه .

سأله (عمر) وهو يضغط على عنقه أكثر :

- وأين تحتفظون بهم ؟

أجابه الرجل فى صوت مختنق :

- فى صالة التأشيرات ، المطلة على الحديقة مباشرة .

انعقد حاجبا (عمر) ، وهو يغمغم :

- آه .. فى آخر مكان يمكن أن يتوقعه رجال الشرطة .. من الواضح أن (ماسيل جان) هذا لا يتصرف بعشوائية قط .

سعل الرجل فى عنف ، فخفف (عمر) ضغط ساعده على عنقه بحركة غريزية ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى انحنى الرجل إلى الأمام فى سرعة تليق بالمحترفين ، ووثبت يداه عبر كتفيه ، لتقبض أصابعهما على كتفى (عمر) ، ويجذبهما فى قوة ، ارتفع معها جسد (عمر) عن الأرض ، والإرهابى يقول غاضبًا :

- بالتأكيد .. لا نحن ولا (ماسيل) نتحرك بعشوائية .

وجد (عمر) جسده يسبح فى الهواء ، قبل أن يرتطم بحاجز السلم ، ويتدحرج فى عنف ..

وعلى الرغم من الآلام الرهيبة ، فى كل عظمة من عظامه ، وثب (عمر) واقفًا على قدميه فى خفة ، وهو يقول :

- يا لها من مصادفة !! أنا أيضًا لا أتحرك بعشوائية قط ..

ومع قوله ، وثب إلى أعلى ، ودار جسده كله حول نفسه فى مرونة ، لتضرب قدمه جانب وجه خصمه فى عنف ، وعندما ترنح الرجل ، وهو يطلق سبابًا غاضبًا ، هوت قبضة (عمر) على وجهه كالقنبلة ، ثم انقضت قبضته الثانية على معدته ، ومع انحناء الرجل إثر الآلام الرهيبة فى معدته ، ضم (عمر) قبضتيه ، وهوى بهما معًا على مؤخرة عنق خصمه ، الذى أطلق شهقة مختنقة ، وسقط على وجهه فاقد الوعى ..

كان القتال سريعًا ، لم يستغرق أكثر من ثوان معدودة ، إلا أن (عمر) شعر وكأنه قد بذل جهدًا خرافيًا ، حتى إنه استند إلى حاجز السلم ، وراح يلهث لثانية أو ثانيتين ، قبل أن يغمغم :

ـ ثلاثة وعشرون رجلاً .. منهم عشرة فى صالة التأشيرات ، مع الرهائن .. وثلاثة توليت أمرهم ، وهذا يترك لنا عشرة آخرين ، موزعين فى الطابقين الأول والثانى من السفارة ..

نطق هذه الكلمات ، وهو يراجع فى ذهنه خريطة السفارة ، بكل حجراتها ومداخلها ، التى حفظها عن ظهر قلب ، خلال رحلته فى (القاهرة) إلى (لندن) ، وراح يضع خطته فى هدوء ، وهو يلقى نظرة على ساعته التى أشارت عقاربها إلى السادسة والنصف ..

كان الوقت يمضى فى سرعة مخيفة ..

والساعة التى حددها (ماسيل جان) لقتل الرهائن تقترب .. وتقترب ..

وتقترب ..

وكان هذا يعنى أن فرصة (عمر) فى النجاح تتضاءل كثيرًا ..

كثيرًا جدًا ..

★ ★ ★

تطلع (ماسيل) إلى ساعته فى عصبية ، وهو يقول :

ـ السادسة والنصف .. خطأ .. كان ينبغى أن يصل (جيم) إلى هنا ، منذ أكثر من الساعة .

ثم اختطف سماعة الهاتف فى غضب ، وقال فى حدة :

ـ أين ذلك المفتش الغبى ؟ أريد التحدث إليه .

أتاه صوت المفتش (روجر) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا تريد يا (ماسيل) ؟ ما زال أمامنا نصف الساعة ، قبل انتهاء المهلة .. أليس كذلك ؟

صاح (ماسيل) :

ـ أنا الذى يحدد المتبقى يا رجل .. هل تفهم ؟ لا أحد سواى يحدد هذا .. إنكم تلعبون لعبة قذرة .. لم يعد لدى شك فى هذا .. أين (جيم) ؟

لماذا لم يصل بعد ؟

أجابه المفتش فى حنق :

ـ ولماذا تلقى علىَّ هذا السؤال ؟ ألقه عليه مباشرة .. سأوصلك به .

انعقد حاجبا (ماسيل) لهذا التجاوب غير المتوقع ، وسرت فى عروقه موجة من التوتر ، فى تلك اللحظات ، التى انقضت قبل أن يأتيه صوت (جيم) عبر الهاتف ، وهو يقول فى حماس :

ـ مرحبًا يا (ماسيل) .. كيف حالك يا رجل ؟ الطائرة تستعد للهبوط فى مطار (هيثرو) ، وهذا يعنى أنك نجحت تمامًا .

سأله (ماسيل) فى حذر :

ـ لماذا تأخرت هكذا يا (جيم) ؟

أجابه (جيم) ضاحكًا :

ـ المطبات الهوائية يا رجل .. لا تقلق .. كل شىء يسير

على ما يُرام ، ولو أنننى شعرت بذرة واحدة من الشك ، لما تظاهرت بالعكس ، ولا تنس أننى مصاب بنوبة برد .. أليس كذلك ؟

كانت العبارة الأخيرة هى كلمة السر ، المتفق عليها بينهما ، والتى تؤكد أن (جيم) يتصرف بإرادته الحرة ، وعلى الرغم من هذا فلم يشعر (ماسيل) بالارتياح قط ..

كان هناك شىء ما يؤرقه ، دون أن يستطيع تحديده بالضبط ..

شىء أيقظ فى أعماقه بذرة الشك والقلق ، وجعله عصبيًّا متوترًا ، دون أن يقبض على دليل واحد ، يرشده إلى سبب كل هذا ..

وكعادته ، كلما استيقظت تلك البذرة ونمت فى أعماقه ، راح (ماسيل) يراجع كل ما حدث ، طوال الساعات الماضية ، قبل أن تتسع عيناه فى شدة ، ويصرخ :

ـ آه .. كيف لم انتبه إلى هذا ! (جيم) الغبى تحدث إلىَّ فى وضوح ، فى المرة السابقة ، وأشار إلى نوبة البرد فى نهاية حديثه ، ولا ريب فى أن أولئك القانونيين قد سجلوا محادثته ، ودرسوها جيدًا ، وأدركوا من فحواها كلمة السر ، ثم استعانوا بممثل لتقليد صوت (جيم) وأسلوبه الخداعى ..

واختطف سماعة الهاتف مرة أخرى ، صائحًا :

ـ أريد مفتش الشرطة الآن .

أتاه صوت المفتش (روجر) ، وهو يقول :

ـ ماذا حدث يا (ماسيل) ؟

صرخ (ماسيل) فى غضب :

ـ لقد خدعتمونى أيها الحقراء .. الرجل الذى تحدثت إليه هذه المرة لم يكن (جيم دورانت) .. ماذا فعلتم بالرجل ؟

انعقد حاجبا المفتش فى حنق ، وكتم سماعة الهاتف بكفه ، وهو يغمغم :

ـ يا للسخافة ! لقد كشف الخدعة .

ثم أزاح كفه عن السماعة ، وتابع متظاهرًا بالدهشة :

ـ أى رجل ؟! أنت تحدثت إلى (جيم دورانت) نفسه ، و ...

قاطعه (ماسيل) ، صارخًا فى ثورة :

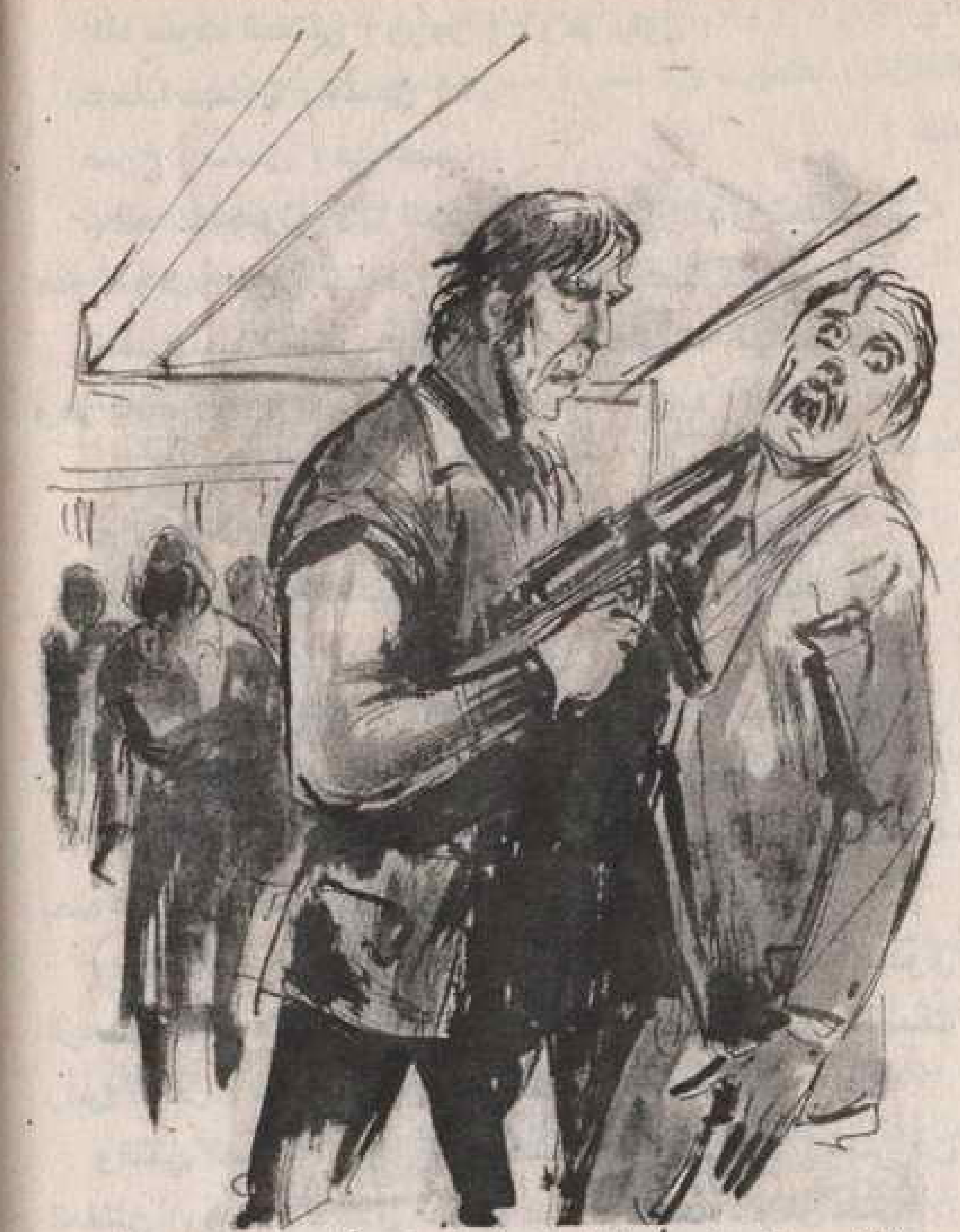
ـ أخطأت يا رجل .. أخطأت بشدَة .. أنت تجهل مع من تتعامل .. اسمع هذه الموسيقى ، وستدرك أى خطأ ارتكبت .

قالها ، وجذب إليه أحد الرهائن فى قسوة ، وألصق مدفعه بصدغه ، وضغط الزناد دون تردّد ..

وانطلقت صرخات الرعب والفزع هادرة ، مختلطة بدوى الرصاصات ، التى انطلقت من فوهة المدفع الآلى ، لتنسف رأس الرجل ، فى واحد من أكثر مشاهد الدنيا بشاعة ..

وانتقل الصراخ ودوى الرصاصات عبر الهاتف ، إلى أذن المفتش (روجر) ، الذى انقبض قلبه فى عنف ، وهو يصرخ :

ـ أيها المتوحش .. أيها المجنون ..



قالها ، وجذب إليه أحد الرهائن فى قسوة ، وألصق مدفعه بصدغه ، وضغط الزناد دون تردّد ..

صرخ فيه (ماسيل) فى وحشية رهيبة :

ـ إنها ليست النهاية ، ما زال لدى المزيد .

وجذب أحد موظفى السفارة ، فصرخ الرجل فى رعب هائل :

ـ لا .. لا تفعل .. لا تفـ ..

وقبل أن يتم عبارتـه ، كـانت الرصاصات تخترق رأسـه ، وتمزق مخه بنفس البشاعة ..

وفى اشمئزاز مرير غاضب ، هتف المفتش (روجر) :

ـ ما الذى تريده ؟ قل لى ما الذى تريده ؟ ولا تسفك الدماء بهذه الوحشية .

صاح (ماسيل) :

ـ أنتم تعرفون ما أريده .. بقيت أمامكم ثلث الساعة فحسب ، وبعدها سأقتل الرهائن كلهم ، واحدًا بعد الآخر .. هل تفهمون ؟ أريد (جيم) سالمًا فى المطار ، قبل مرور ثلث الساعة .

قالها ، وأنهى المحادثـة فـى عنـف ، زفـر معـه المفتـش (روجر) فى مرارة ، وهو يقول محنقًا :

ـ ذلك الحقير قتل رهينتين بلا رحمة ، ولن يتورع من نسف الجميع عند أدنى شعور بالخطر .

قال أحد زملائه فى توتر :

ـ فلننفذ مـا طلبه إذن .. أليس مـن المفـترض أن (جيم دورانت) هذا هنا بالفعل ؟

أومأ المفتش (روجر) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بلى .. لقد أطلقوا سراحه من الدولة العربية ، التى أصدرت ضده حكم الإعدام ، ليمنحوه الشعور بأن خطته نجحت ، وليسمحوا له بالتحدث إلى (ماسيل) ، لمعرفة كلمة السر المتفق عليها بينهما ، وعندما توصلوا إليها ، احتجزوا (جيم) فور وصوله إلى مطار (هيثرو) ، وما زالوا يحتفظون به هناك .

ثم زفر فى مرارة ، مغمغمًا :

- ولكن يبدو أننا سنضطر للإفراج عنه حتمًا ، و ...

أوقفته شهقة مباغتة أطلقها زميله ، فالتفت إليه قائلاً فى توتّر :

- ماذا حدث ؟!

أشار زميله إلى مبنى السفارة ، مجيبًا فى انفعال :

- انظر هناك .

حدّق (روجر) فى النقطة التى يشير إليها زميله ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويغمغم فى دهشة :

- ما هذا بالضبط ؟

فهناك وعند النقطة التى يشير إليها زميله بالضبط ، رأى (روجر) رجلاً يهبط على الجدار الخارجى للمبنى ، بوساطة حبل سميك ..

وكان هذا الرجل هو (عمر) ..

المقدم (عمر زاهر) ..

* * *

انتقى (عمر) نقطة الهبوط بدقة مدهشة ، تستحق كل الإعجاب والتقدير ..

لقد حدّد موضع الرهائن وحراسهم بالضبط ، وانتقى بقعة يصعب مراقبتها والانتباه إليها ، من حديقة الفيلا ، أو النوافذ المطلة عليها ، على الرغم من وضوحها للناظر من بعيد ، إذ لم يكن من الممكن رؤيته ، ومن داخل الفيلا وحديقتها ، إلا لو نظر الشخص إلى موضعه مباشرة .

كانت مبادرته هذه جريئة بحق ، إلا أنه لم يكن أمامه سواها ، وخاصة بعد أن تناهى إلى مسامعه دوى رصاصات المدفع الآلى ، وأدرك أنها تعنى حتمًا قتل بعض الرهائن بوحشية مخيفة ..

وكان هذا يزيد من غضبه وحنقه على (ماسيل جان) ، ذلك الوحش الآدمى ، الذى لايتورع عن سلخ الأطفال أحياء ، لو أن هذا يمنحه لحظة واحدة زائدة فى الحياة ..

أو حتى على سبيل المتعة والاستمتاع بسفك الدماء ..

وفى حذر ، هبط (عمر) بوساطة الحبل ، وهو يتطلع إلى الإرهابيين ، الذين يقفان عند الحديقة الخلفية ، و ...

وفجأة تخلى عن الحبل ، وانقض على الرجلين من أعلى ، فارتطم بهما ، وسقط معهما أرضًا ، وهو يلكم أحدهما بكل قوته فى مؤخرة عنقه ، لكمة جعلت وجهه يرتطم بالأرض ، قبل أن يفقد وعيه على الفور ، ثم استدار إلى الثانى ، الذى حاول أن

يطلق صرخة استغاثة ، ولكنه لم يكد يفتح شفتيه حتى لكمه (عمر) فى أسنانه مباشرة ، وسمع صوت تحطم اثنتين من أسنانه الأمامية قبل أن يعقب لكمته بأخرى ، هشمت أنف الرجل وأحالته إلى كومة من اللحم المفرى ، ثم تكفلت اللكمة الثالثة بإسقاط الرجل فاقد الوعى ، إلى جوار زميله ..

وارتفع حاجبا المفتش (روجر) فى دهشة بالغة ، وهو يراقب المشهد ، وهتف مبهورًا :

ـ ربّاه ! ذلك الرجل محترف بحق .. لقد أسقط الرجلين فى ثوان معدودة ، ودون أن يصدر أدنى صوت يمكن أن ينبه الآخرين ، ولكن كيف وصل إلى هناك ؟ إنه حتمًا ليس أحد رجالنا .

غمغم زميله بانبهار أكثر :

ـ كم أتمنى لو كان كذلك .. ولكن أخبرنى .. ما الذى يفعله بالضبط ؟

راقب المفتش تحركات (عمر) فى انتباه ، قبل أن يغمغم :

ـ يلوح لى أنه يزرع بعض القنابل المحدودة ، عند إطار النافذة الكبيرة ، وحول باب صالة التأشيرات المطل على الحديقة.

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

ـ وأخشى أنه يرتب لعملية اقتحام منفردة .

اتسعت عينا زميله فى ذعر ، وهو يهتف :

ـ منفردة ؟! أى جنون هذا الذى ...

ثم بتر عبارته بغتة ، ليصرخ :

ـ ربّاه ! انظر هناك .. لقد انكشف أمره .

وفى نفس اللحظة التى انطلقت فيها صرخته ، كان أحد الإرهابيين يدور حول جانب المبنى ، ولم يكد بصره يقع على (عمر) المنهمك فى زرع قنابله المحدودة ، حتى تراجع كالمصعوق ، وصرخ بكل قوته :

ـ خيانة يا (ماسيل) .

وارتفعت فوهة مدفعه الآلى ، وانطلقت رصاصاته ، و ...

وتفجّر الموقف كله دفعة واحدة .

* * *

٤ ـ الانفجار..

برقت عينا (جيم دورانت) فى ظفر واضح ، يتطلع إلى رجل المخابرات الواقف أمامه فى شماتة مستفزة ، قائلاً :

ـ لقد أهنتم ذكائى أيها السادة عندما تصورتم أننى من السذاجة بحيث لا يمكننى اختيار رجالى .. هل توقعتم أن يكون (ماسيل جان) غرًا ساذجًا حتى تنطلى عليه خدعتكم ؟! ألم تقرءوا ملفه ؟

أجابه رجل المخابرات فى صرامة :

ـ الانطباع الوحيد الذى يخرج به من يقرأ ملف (ماسيل جان) ، وهو الرغبة فى قتله ، وبأكثر الطرق إيلامًا .

قهقه (جيم) ضاحكًا ، وهو يقول فى سخرية :

ـ الرغبة فحسب يا رجل ، أما التنفيذ ، فهو أمر مختلف .

ثم هب واقفًا ، وأكمل فى غرور :

ـ والآن دعونى أتصل به ، وإلا نسف عددًا آخر من الرءوس .

ناوله رجل المخابرات سماعة الهاتف ، وهو يطلب رقم السفارة العربية ، وارتفع الرنين من الجانب الآخر للخط ، قبل أن يسمع الاثنان صوت (ماسيل) ، وهو يقول فى شىء من التوتر :

ـ مَن المتحدث ؟

هتف (جيم) فى مرح ظافر :

ـ إنه أنا يا (ماى) .. أنا (جيم) الحقيقى هذه المرة ، فقد كشفت بذكائك خدعة هؤلاء السذج .

سأله (ماسيل) فى شك وحذر :

ـ ومن يضمن لى أنك (جيم) الحقيقى ؟

قهقه المجرم ضاحكًا ، قبل أن يجيب :

ـ هذا هو الحرص الذى أنتظره من رجل مثلك ، تقاضى خمسة ملايين دولار ، كدفعة مقدمة من وكيل أعمالى فى (باريس) .

ـ قال (ماسيل) :

ـ هذا أمر يمكن انتزاعه من (جيم) الحقيقى قسرًا :

أجابه (جيم) ضاحكًا :

ـ بالطبع ، ولكن من يمكنه أن يعرف قصة ذلك الرجل ، الذى ذبحته فى (كولومبيا)[*] منذ عام واحد لتستولى على سيارته (البورش)[**] لقد كنا وحدنا حينذاك .. أليس كذلك ؟

ابتسم (ماسيل) عند هذه النقطة ، وقال :

ـ بلى .. هذا يثبت أنك (جيم دورانت) الحقيقى .

(*) جمهورية شمال غرب أمريكا الجنوبية ، عاصمتها (بوجوتا) ، وهى الدولة الوحيدة فى القارة التى لها سواحل على المحيطين (الأطلنطى) و (الهادى) ، وتتكون من سلاسل جبلية ومرتفعات ، تعانى من الاضطرابات الأمنية المستمرة ، كما صارت فى الآونة الأخيرة مركزًا لزراعة وتجارة وتصدير المخدرات .

(**) سيارة ألمانية الصنع ، تعد من أفضل وأقوى السيارات الرياضية فى العالم ، وأغلاها سعرًا .

لم يكد ينطقها ، حتى سمع صوت أحد رجاله يصرخ من الحديقة الخلفية :

ـ خيانة يا (ماسيل) .

ثم انطلقت رصاصات مدفع آلى ، بلغت مسامع (جيم) عبر أسلاك الهاتف ، فصرخ :

ـ ماذا حدث عندك يا (ماسيل) .. ماذا حدث ؟!

ولكن (ماسيل) أنهى المحادثة فى عنف على نحو احتقن له وجه (جيم) ، وابتسم له رجل المخابرات فى سخرية ، وهو يقول :

ـ عجبًا .. يبدو أن الأمور لاتستقر على حال هناك يا (جيم) .

قالها ، دون أن يدرى أن الموقف فى السفارة لم يعد يعانى من عدم الاستقرار فحسب ..

لقد تحول المكان فى لحظة واحدة إلى ساحة معركة .

معركة مصيرية أخيرة ..

★ ★ ★

انطلقت صرخة الإرهابى وهو يرفع مدفعه ليطلق النار على (عمر) ، إلا أن هذا الأخير تحرك فى سرعة مدهشة ، ووثب جانبًا ، وانبطح أرضًا ، وهو يطلق نيران مدفعه نحو خصمه ويصيبه إصابة قاتلة أطاحت به فى عنف ، مع دوى الرصاصات الذى تردد فى المكان ، على نحو أعلى اشتعال الموقف ، وبدء المواجهة المباشرة ..

ولم يضع (عمر) لحظة واحدة ..

لقد أدرك مع انطلاق الرصاصات أن (ماسيل) سيشتعل غضبًا ، ولن يتورع لحظة واحدة عن قتل كل الرهائن بلا رحمة ..

وأنه لم يعد هناك مجال للتردد أو التراجع ..

وفى حزم وسرعة ، ضغط (عمر) زر جهاز التفجير ، فانفجرت كل القنابل المحدودة ، حول إطار النافذة الكبيرة ، وفى قاعدة باب الحديقة ، وانتزع الانفجار الأول النافذة من إطارها ، فى حين حطم الثانى رتاج باب صالة التأشيرات ، المطل على الحديقة ..

وفى اللحظة نفسها تقريبًا ، قفز (عمر) عبر الإطار المنتزع إلى الصالة ، وهو يضع على عينيه منظارًا خاصًا ، يتيح له وضوح الرؤية عبر سحب الدخان ، وصاح فى حزم :

ـ انبطحوا أرضًا .

كان يقصد الرهائن بصيحته ، وهو يطلق نيران مدفعه الآلى على (ماسيل) ورجاله ..

ومع الهجوم الأول ، وعامل المفاجأة ، أطاح (عمر) بثلاثة من رجال (ماسيل) ، إلا أن السبعة الباقين استعادوا سيطرتهم على أنفسهم فى سرعة ، وراحوا يتبادلون معه إطلاق النار وسط موجة من صراخ الرهائن وصيحات الرعب والفزع ، التى يطلقونها طوال الوقت ..

وفى الوقت ذاته ، رأى المفتش (روجر) ما حدث ، فصاح فى رجاله :

ـ اهجموا يا رجال .. لن تتاح لنا فرصة ثانية كهذه ..

انطلق رجال القوات الخاصة البريطانية ينقضون على مبنى السفارة ، واشتبكوا فى قتال عنيف ، مع من تبقى من رجال (ماسيل) فى الحديقة الخارجية ، فى حين كان (ماسيل) نفسه يواصل إطلاق النار داخل صالة التأشيرات ، وهو يجذب القنصل العربى واثنين من موظفى السفارة فى غلظة ، صائحًا فيهم فى وحشية :

ـ تحركوا أو أنسف رءوسكم .. هيا ..

رآه (عمر) يدفع الثلاثة أمامه إلى خارج الصالة ، فى حين يواصل رجاله تبادل إطلاق النيران ، فصاح فى باقى الرهائن بدوره :

ـ اخرجوا إلى الحديقة الخلفية عبر النافذة المحطمة .. سأحمى ظهوركم .

انطلق الجميع يعدون فى ذعر نحو النافذة ، وهو يسقط ثلاثة آخرين من رجال (ماسيل) ، وشعر بخيط من النار يخترق ذراعه اليسرى ، وآخر يغوص فى عضلة ساقه اليمنى ، ومزقت رصاصة ثالثة قميصه ، وجرحت رابعة عنقه ..

ولكن كل هذا لم يوقفه ..

كان يقاتل كالليث ، مستخدمًا كل ما تدرب عليه ، منذ التحق

بجهاز المخابرات العربية المشتركة ، ومدركًا حتمية الصمود أمام هؤلاء الإرهابيين ، لتغطية هروب الرهائن الذين ألقاهم سوء حظهم فى هذا الموقف العسير ..

ولقد لقى أحد الرهائن مصرعه فى أثناء الفرار ، وأصيب ثلاثة آخرون برصاصات الإرهابيين ، فى مواضع غير قاتلة ، فى حين نجح الباقون فى الوصول إلى الحديقة الخلفية للسفارة ، عبر النافذة المحطمة ، حيث استقبلتهم القوات الخاصة البريطانية ، وراحت تعاونهم على الخروج من المكان كله ، والوصول إلى بر الأمان فى نفس الوقت الذى أصاب فيه (عمر) اثنين آخرين من رجال (ماسيل) ، ثم اندفع نحو الثالث ، وهو يطلق نيران مدفعه ، هاتفًا :

ـ كفى .. لقد سئمت هذا القتال .. إننا نضيع وقتًا ثمينًا ، و (ماسيل) يفر برهائنه .

فوجئ الإرهابى بهذه المبادرة الجريئة ، فتراجع فى دهشة متوترة ، و (عمر) ينقض عليه ، و ..

وفجأة ، نفذت رصاصات المدفع الآلى ، الذى يحمله (عمر) ..

ومع التكة المعدنية التى أصدرها المدفع ، برقت عينا الإرهابى الأخير فى لهفة ظافرة ، وهتف وهو يرفع فوهة مدفعه الآلى فى وجه (عمر) :

ـ خسرت يا رجل .. خسرت معركتك الأخيرة ..

وضغط زناد مدفعه ..

ودوّت الرصاصات فى المكان كله ..

دفع (ماسيل جان) رهائنه الثلاث أمامه فى قسوة ووحشية ، عبر درجات سلم السفارة إلى الطابق الثانى ، وهو يتلفت حوله كالذئب المحاصر ، وقد اصطبغت عيناه بلون الدم ، وارتسمت فيهما نظرة شرسة مخيفة ، جعلت أحد الموظفين يسأله فى قلق :

ـ هل تنوى قتلنا ؟

صاح به (ماسيل) :

ـ اصمت يا رجل .

وأجاب القنصل فى شىء من العصبية :

ـ إنه لا ينوى قتلنا فى الوقت الحالى ، إنه يتخذ منا رهائن حتى يضمن لنفسه وسيلة للفرار ، وسيقتلنا لو اقتضى الأمر وشعر أنه هالك لا محالة .

صرخ (ماسيل) فى توتر شديد :

ـ اصمت يا رجل .. اصمت أو أجعلك أول القتلى .

كان الإرهابى الدولى يشعر بحرج موقفه وتوتره ، ويدرك جيدًا أنه قد خسر معركته الأساسية ، ولم يعد يعنيه أمر (جيم دورانت) أو الملايين التى لم يقبضها بعد ، وإنما أصبح همه الوحيد هو الخروج من هذا المأزق ..

ومهما كان الثمن ..

ولكن كيف ؟!

كيف ؟!

القوات الخاصة البريطانية تحاصر السفارة ، والقتال يدور فى الطابق السفلي ، و ..

ولكن مهلاً ..

ما زالت فى يده ورقة رابحة .

القنابل ..

وفى عنف ، دفع رهائنه الثلاث أمامه حتى بلغ حجرة مكتب السفير ، وصاح بهم فى شراسة : التصقوا بذلك الركن .. هيا ، وإياكم أن تحاولوا الفرار ، وإلا حولّت كل منكم إلى مصفاة ، من كثرة الرصاصات .

ثم اتجه نحو المكتب الخشبى الكبير ، وضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، المتصل بمكبرات الصوت المنتشرة فى المبنى كله ، وقال فى عصبية :

ـ نداء إلى كل من يهمه الأمر .. هنا (ماسيل جان) .. ما زلت أحتفظ بالقنصل ، وباثنين من موظفى السفارة وما زال جهاز التحكم فى التفجير فى يدى ، وضغطة واحدة على زره ستنسف المكان كله .. استمعوا إلىّ جيدًا .. غادروا المكان على الفور ، وإلا فستتحملون مسئولية المذبحة القادمة .. هل تفهمون ؟! إنه الإنذار الأول والأخير .

والعجيب أنه ، ومع إطلاقه للإنذار ، بدأ يستعيد ثقته بنفسه وسيطرته على أعصابه ، وبدا له أنه حتى وإن خسر كل رجاله ما زال يحتفظ باللقب ..

لقب زعيم الإرهابيين فى العالم ..
وبلا منازع ..

★ ★ ★

لم يتوقف (عمر) عن الانقضاض على الإرهابى ، حتى بعد أن نفدت رصاصات مدفعه الآلى ، ورأى خصمه يصوب إليه مدفعه ..

وبكل ما يمتلك من قوة وحزم وإرادة ، قطع (عمر) المسافة التى تفصله عن خصمه بوثبة واحدة ، وهوى على فكه بكعب مدفعه فارتد الإرهابى فى عنف شديد ، وانطلقت رصاصات مدفعه فى سقف الصالة ، قبل أن يرتطم بالجدار ، ويندفع ثانية إلى الأمام ، فاستقبله (عمر) بضربة أخرى حطمت فكه وألقته عند قدميه فاقد الوعى .

وفى نفس اللحظة ، التى سقط فيها الإرهابى ، انقض رجال القوات البريطانية الخاصة على المكان ، وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية نحو (عمر) ، واندفع المفتش (روجر) إلى المكان بدوره ، وهو يهتف :

ـ رائع يا رجال .. لقد سيطرنا على الموقف تقريبًا ، و ..

بتر عبارته بغتة ، عندما وقع بصره على (عمر) ..

لم يكن قد رصد ملامحه فى وضوح ، عندما رآه وهو يهبط إلى الحديقة الخلفية وينقض على الإرهابيين هناك ، ولكن شيئًا ما فى أعماقه جعله يدرك على الفور أن الواقف أمامه هو نفس

الرجل الذى رآه ، فانعقد حاجباه وهو يشير إليه ، قائلاً فى انفعال :

ـ إنه أنت .. أليس كذلك ؟!

اعتدل (عمر) ، وأجاب فى حزم :

ـ بلى .. هو أنا .

ولثوان ، ران على المكان صمت عجيب و (روجر) و (عمر) يتطلعان إلى بعضهما البعض ، ووجه الأول يحمل تأثرًا واضحًا قبل أن تنفرج شفتاه ، ويهم بإلقاء سؤال ، ولكنه لم يجد الوقت ليفعل ، فقد ارتفع فى اللحظة نفسها نداء (ماسيل) الذى رددته مكبرات الصوت فى كل مكان بالسفارة ، فانعقد حاجبا (عمر) فى شدة ، فى حين هتف (روجر) فى غضب :

ـ يا للحقير ! .. يتصور أنه مازال يسيطر على الموقف .

أجابه (عمر) فى حزم :

ـ إنه كذلك بالفعل ، فمازال لديه ثلاث من الرهائن ، أحدهم القنصل نفسه ، وباستطاعته نسف المبنى كله ، لو تأزم الموقف أكثر .

التقى حاجبا (روجر) بدوره ، وهو يسأله :

ـ هل تعتقد أنه يمتلك الوحشية اللازمة ليقتل نفسه مع الجميع ، لو اقتضى الأمر ؟

أجابه (عمر) فى اقتضاب صارم :

- نعم ..

مرت لحظة أخرى من الصمت ، وكلاهمـا يتطلع إلـى الآخر قبل أن يلتفت (روجر) إلى رجاله ، ويقول بلهجة آمره :

- غادروا المكان علـى الفور .. لا أريد واحدًا منكم هنـا .. هيا ..

أشار أحد رجاله إلى (عمر) قائلاً :

- هل نلقى القبض على هذا ؟

صاح به (روجر) فى حدة :

- لن تلقى القبض على أى مخلوق ، ما دمت لم آمرك بهـذا .. هيا .. غادر المكان مع رفاقك .. هيا ..

انطلق الجميع يغادرون مبنى السفارة ، على مـرأى ومسمع من (ماسيل جان) ، الذى برقت عيناه فى ظفـر ، وهو يراقب المشهد ، قبل أن يلتقط سماعة جهاز الاتصال الداخلى ، ويقول عبر مكبرات الصوت :

- لو ظل شخص واحد هنا ، سأنسف المبنى كله ..

التفت (روجر) إلى (عمر) ، وسأله :

- هل ستصحبنى إلى الخارج ؟

هزَّ (عمر) رأسه نفيًا ، وقال فى حزم وبلهجة لا تقبل المناقشة :

- كلا .. سأبقى .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى المفتش (روجر) ، وهو يغمغم :

- كنت أتوقع هذا .

واستدار ليغادر المكان ، ولكنه لم يكد يصل إلى باب الحديقة حتى التفت إليه مرة ثانية ، وسأله :

- قل لى يا رجل : أعلم أنك لـن تفصح عن اسمك وطبيعة عملـك ، ولكننـى أتمنـى أن تجيب سؤالاً واحـدًا .. مـا جنسـيتك بالضبط ؟

صمت (عمر) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

- عربى

لم يبد على المفتش (روجر) أن الجواب قد أدهشـه ، أو أثار عجبه ، وإنما اتسعت ابتسامته قليلاً وأومأ برأسـه فـى صمـت ، ثم استدار يغادر المكان ، و (ماسيل) يتابعه ببصره فى اهتمام حتى أصبح بعيدًا ، ورآه يلتفت إليـه ، ويمسك مكبر الصوت ، قائلاً :

- اسمعنى جيدًا يا (ماسيل جان) .. لقد غادر رجالى كلهم المبنى .. ولم يعد هناك واحد منهم بالداخل .. اقسم لك بشرفى على هذا .

نطقها فى كل ثقة ، دون أن يشير إلى (عمر) باعتباره ليس واحدًا من رجاله ، ولكن (ماسيل) لـم ينتبـه إلـى هـذا ، وهـو يقول فى صرامة ظافرة وقحة :

- أحسنت فعلاً أيهـا المفتـش الغبـى .. والآن اسمع مطلبـى الجديد .. أريد طائـرة هليكوبتر لتنقلنـى مع الرهـائن الثـلاث إلى

المطار ، حيث تنتظرنى طائرة خاصة ، مزودة بالوقود ، دون تحديد وجهة إقلاعها ، على أن يتم كل هذا خلال نصف الساعة فحسب ، وإلا فسأقتل رهينة كل خمس دقائق تلى هذه المهلة .. هل تفهم ؟!

أجابه (روجر) فى هدوء عجيب :

ـ سنلبى كل مطالبك يا (ماسيل) .. اطمئن .

انعقد حاجبا (ماسيل) وهو يستمع إلى الجواب ، وتفجرت فى أعماقه بذرة الشك العملاقة ، وتنامت بسرعة ، وهتف بغتة فى حنق :

ـ أنت تخدعنى أيها المفتش .. أنت تخدعنى .

وأنهى الاتصال فى عنف ، ثم انقض على الرهائن الثلاث وانتزع القنصل من بينهم ، صائحًا :

ـ لن ينتصروا .. لن ينتصروا أبدًا على (ماسيل جان) .

ولم يكد يفعل هذا ، حتى تفجر رتاج الباب فى عنف ، وإثر رصاصات مسدس (عمر) الذى اندفع إلى المكان كالليث ..

وبكل ثورته ، راح (ماسيل) يطلق رصاصاته نحو (عمر) الذى قفز يحتمى بأحد المقاعد الضخمة فى الحجرة ، فى حين صنع (ماسيل) من القنصل العربى درعًا ، وهو يتراجع معه إلى باب الحجرة الخلفى ، صارخًا :

ـ لن تفلح يا هذا .. لن تنتصر على (ماسيل) ..

صاح به (عمر) فى صرامة :

ـ لا تتفاعل إلى هذا الحد يا (ماسيل) .. لقد انتصرت علىَّ فى لقائنا السابق ، لأنك نسفت مدرسة أطفال كاملة .

انعقد حاجبا (ماسيل) ، وهو يهتف :

ـ مدرسة أطفال ؟!

استعاد ذهنه فى لحظة واحدة ذلك المشهد القديم ، قبل أن يستطرد بضحكة ظافرة وحشية :

ـ آه .. إذن فهو أنت أيها العربى .. يبدو أن قدرك أن تتذوق الهزائم على يدى .

قالها ، وهو يتراجع أكثر ، ثم يدفع القنصل أمامه عبر الباب الخلفى ، ويغلقه خلفهما فى إحكام ، ولم يكد يفعل هذا ، حتى قفز (عمر) من خلف المكتب ، هاتفًا فى الرهينتين الأخريين :

ـ غادرا المبنى على الفور .. أسرعا .

لم يكد ينطقها ، حتى اندفع الموظفان يغادران المبنى بأقصى سرعتهما ، فى حين لم يحاول (عمر) حتى التعامل مع باب مكتب السفير الخلفى ، وإنما أسرع إلى النافذة وفتحها ، ووثب عبرها فى رشاقة مدهشة ..

ولم تكن تلك الخطوة حمقاء أو مجنونة ، وإنما كان (عمر) يدرك أن الحبل السميك الذى استخدمه للهبوط من السطح مازال فى مكانه ، يتدلى إلى جوار النافذة ، فقفز يتعلق به ، ثم دفع قدميه فى الجدار ، وراح يتسلق فى سرعة ورشاقة مدهشتين ، ليبلغ السطح قبل (ماسيل جان) .

وعلى الرغم من سرعته ومهارته ، بلغ (عمر) السطح فى نفس اللحظة التى بلغه فيها (ماسيل) مع رهينته ، ولكن (عمر) انقض عليه ، هاتفًا :

- نهاية الخط يا رجل .

كانت انتفاضة عنيفة مباغتة ، انتزعت الإرهابى من مكانه وأسقطته أرضًا مع القنصل ، فصاح فى غضب وهو يدير فوهة مسدسه نحو عنق (عمر) :

- أيها المخادع .. لن تنتصر علىّ بعامل المفاجأة وحده .

قبض (عمر) بأصابع من الفولاذ على معصم (ماسيل) ، ولواه بكل قوته ، ليبعد فوهة المسدس عن عنقه ، وهو يقول :

- إنه ليس العامل الوحيد ، كما ستدرك حتمًا أيها المجرم .

انطلقت رصاصة مسدس (ماسيل) ، وأصابت ماسورة الغاز الطبيعى على سطح السفارة ، فثقبتها ، واشتعلت النيران فى الغاز المندفع ، و (عمر) يهتف بالقنصل العربى :

- غادر المكان بأسرع ما يمكنك يا سيادة القنصل .. هيا بالله عليك .

تردّد القنصل لحظة فى أن يترك (عمر) وحده ، فى قتاله مع (ماسيل جان) ، إلا أنه أدرك بسرعة أنه لن يمكنه مجرد الاقتراب من قتال عنيف شرس كهذا الذى يراه أمامه ، فانطلق يغادر المكان بأقصى سرعة ، مطيعًا تعليمات (عمر) الذى اشتبك مع (ماسيل) فى معركة عنيفة ، وهذا الأخير يهتف :

- هل تتصور أنك ستهزم (ماسيل) ؟ هل تتصور هذا ؟

هوى (عمر) على فكه بلكمة كالقنبلة ، وهو يقول فى حزم :

- ولِمَ لا ؟ (ماسيل جان) مجرد إرهابى حقير ، لا يقيم وزنًا

للقيم والأخلاقيات ، ولا للنفوس البشرية ، والله (سبحانه وتعالى) ينصر فقط من ينصره ، ويقيم عدالته فى الأرض .

استجمع (ماسيل) قوته ، ولكم (عمر) فى معدته ، قائلًا :

- لقد استمتعت حقًا بمحاضرتك الفلسفية الطريفة ، ولكن ينبغى أن تعلم أننى كنت أكره شيئًا واحدًا طوال حياتى الحافلة .

ولكمه لكمة ثانية فى فكه ، مستطردًا :

- الفلسفة .

احتمل (عمر) اللكمة فى بسالة مدهشة ، ثم وثب إلى أعلى ، ودار حول نفسه فى مرونة ورشاقة مبهرتين ، وارتفعت قدماه فى تتابع عجيب سريع ، فركلت اليسرى المسدس من يد (ماسيل) وأطاحت به بعيدًا ، فى حين ضربت اليمنى هذا الأخير فى صدره ، وألقته على مسافة مترين .

وعندما هبط (عمر) على قدميه كان يصوب مسدسه إلى (ماسيل) ، قائلًا :

- والآن ما رأيك ؟! ألن يعترف (ماسيل جان) بهزيمته ؟!

عض (ماسيل) شفتيه فى غضب ، وأخرج جهاز التفجير من جيبه ، صائحًا :

- (ماسيل جان) لا ينهزم أبدًا أيها العربى ، لا ينهزم وحده على الأقل .

قالها ، وضغط زر التفجير فى قوة ، وأشعل فتيل القنابل .

وكان هذا يعنى أنه لم يعد باقيًا سوى ثوان عشر ، وينفجر المبنى كله .

لقد انطلق بكل قوته نحو الخفاش الطائر ، الذى تركه على سطح المبنى ، والتقط قائمه الأفقى ، واندفع به نحو حاجز السطح ، هاتفًا :

ـ ربما ينهزم وحده هذه المرة .

اتسعت عينا (ماسيل) عندما وثب (عمر) بخفاشه الطائر خارج السطح ، وراح يسبح به فى الهواء مبتعدًا ، وصرخ فى غضب مذعورًا :

ـ لا .. ليس من حقك أن تفعل هذا .. لا ..

ومع آخر حروف كلماته ، دوى الانفجار ..

انفجار متسلسل أطاح بمعظم حجرات ومبنى السفارة ، وصنع ضجيجًا هائلاً فى المنطقة ، دام لدقائق خمس كاملة ، قبل أن يتلاشى وتهدأ الأمور نسبيًا ..

وعلى الرغم من كل ما أذاعته وكالات الأنباء ، ونشرته الصحف والمجلات فيما بعد عن هذا الحادث ، وكل ما قدمته من تهنئة وتقدير للقوات الخاصة البريطانية ، على إنقاذ كل هذه الرهائن تقريبًا ، بأقل خسائر متوقعة ، لم يشر صحفى واحد أو حتى المفتش (روجر) إلى الفارس الذى كان له الفضل ، بعد الله (سبحانه وتعالى) فى نجاح المهمة على هذا النحو تبعًا لما تحتمه ضرورات الأمن والسرية ، فى الجهاز الذى ينتمى إليه ذلك الفارس ..

الفارس العربى ..

[تمت بحمد الله]



د. نبيل فاروق





ساعات الخطر

سلسلة
الأعداد
الخاصة

فى هذا الكتاب

صفحة

رجل العدالة

مغامرات باسل

ملف المخابرات العربية

ساعات الخطر

- تنظيم إجرامي خطير ، ينجح في الاستيلاء على التصميمات الكاملة ، لأول مقاتلة نفاثة عربية ويتحرك مجلس الدفاع العربي كله ، لمنع كشف الأسرار العسكرية .
- أربعون ساعة فحسب تكفي لحل الشفرة السرية ، والاستيلا على كل التفاصيل ..
- وفي ظروف كهذه ، وفي ظل ساعات الخطر ، يكفي رجل واحـــد لمواجهة الموقف كله ..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وعش م مغامرة جديدة ..

وبطل جديد

د. نبيل فاروق



الثمن في مصر ٣٠٠ مـ
ومايعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم